التحقيق الصحفي

أساليب وتقنيات متطورة

تأليف

جون اولمان

جامعة ويسكونسن، اوكلير

ترجمة

ليلى زيدان

مراجعة

أميرة فريد

الدار الدولية للنشر والتوزيع

مصر - القاهرة

التحقيق الصحفي الطبعة الأولى 2000 م رقم الإيداع 99/9704
I.S.B.N 977-282-063-3

INVESTIGATIVE REPORTING : ADVANCED METHODS AND TECHNIQUES
by John Ullmann.

نشر بالاتفاق بين بيدفورد/ سانت مارتنز والدار الدولية للنشر والتوزيع .
Published by arrangement with Bedford/St. Martin's in association with International Publishing and Distribution House

---

8 إبراهيم العرابى ـ النزهه الجديدة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ج.م.ع.
ص.ب: 5599 هليوبوليس غرب/ القاهرة ـ تليفون: 2957655/2972344 فاكس : 2957655 (00202)

to Wendy S. Tai,

the best journalist in my home

تصدير

على مدى الأربعة عشر عاما الماضية ظللت أردد ما أقوله فى هذا الكتاب أو بعضا منه على الأقل لآلاف الصحفيين. ولقد عن لى أن أصل بما قلته إليكم جميعا فى خبطة واحدة.

إن هذا الكتاب يتصدى لمشكلتين عامتين فى نفس الوقت : مشكلة أولئك المحررين والصحفيين الذين يفرطون فى الاعتزاز بجدية حرفتهم، بينما لا يأخذون عملية إخراج تحقيقات صحفية جيدة بنفس الجدية.

وإليكم ما تتضمنه الفصول الرئيسية للكتاب :

* **الفصل الأول** : يتصدى هذا الفصل للتعرف على العقبات التى يواجهها التحقيق الصحفى ويقترح سبل الالتفاف حولها.

الفصل الثانى : يتناول الطريقة التى تعينك على أن تصبح مخبرا أفضل. ذلك أن بعض الاخباريات تجئ من داخل محيط الصحافة ذاتها، ولكن معظمها يأتى من حرف ومهن أخرى متعلقة بالتحريات.

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل إجلاء الغموض الذى يحيط بانجاز التحقيقات الصحفية بمساعدة الكمبيوتر. مع تقديم الكثير من الأمثلة، يتضمن هذا الفصل، بالاضافة إلى العمودين الجانبيين أساليبا موثوق بها لكيفية الشروع فى تعلم هذه الحرفة.

الفصل الرابع : يتضمن بعض الأفكار المفيدة عن كيفية البحث عن قاعدة بيانات متطورة بدون أن تدفع أنت أو منظمتك أى شئ على الإطلاق، هذا بالإضافة إلى بعض الأفكار المفيدة.

* **الفصل الخامس** : يتناول كيفية استخدام أساليب علم الاجتماع للارتقاء بمستوى تحقيقك الصحفى. لاداعى للانزعاج. اقرأ هذا الفصل ثم انطلق إلى عمل مثل هذه الأنواع من التحقيقات الصحفية الاخبارية.

الفصلان السادس والسابع : يتضمن هذان الفصلان الأخيران الكثير من النصائح عن كيفية زيادة الفرص أمامك فى العثور على تحقيقات صحفية وإنجازها بصورة أفضل.

وفى ختام كل فصل يوجد أعمدة جانبية تبين الجوانب المهمة للسياسات العامة والمشروعات المتعلقة بالتحقيقات الصحفية الاخبارية. وقد ساهم بالعديد من هذه أعمدة الجانبية محررون صحفيون ممارسون. فهناك ستيف وينبرج الذى يلقى مزيدا من الضوء على التاريخ المهنى لدون بارليت وجيمس ستيل. وهما اثنان من أفضل الصحفيين على الاطلاق فى مجال التحقيقات الصحفية. كذلك يشارك جيرى أورهامر ببعض أسرار عمله هو ومارى هارجروف. وأوليف تاليى ومارى نيزويندار إزاء الجوانب المختلفة للقاءات الصحفية التى تتضمنها التحقيقات الصحفية. كذلك تبين لنا آن سول كيف يتسنى لأى شخص الشروع فى الاستعانة بالكمبيوتر للمساعدة فى عمل التحقيق وذلك باستخدام السجلات المحلية لتسجيل الناخبين. كما يبين لنا توم هامبورجر كيف استطاعت أساليب علم الاجتماع الارتقاء بمستوى التحقيق الكلاسيكى الذى كتب عن هيئة المرافق العامة فى مينيسوتا والشركات الكبيرة التى كانت تفضل التعامل معها. ويقدم لنا جو ريجيرت نصيحة غالية حول تنظيم الكم الهائل من البيانات ونتائج التحريات واقتفاء أثرها.

الملحق الأول، والثانى، والثالث : هذه الملاحق الثلاثة تناقش مايمكن لنا أن نتعلمه من العديد من المراقبين فى مجال التحقيق الصحفى ممن يعملون بجد فى الاكاديمية.

وفى هذا الكتاب، تكون النصحية أحيانا لرؤساء التحرير، وأحيانا أخرى للمحررين الصحفيين وجميعها للدارسين الذين يرغبون فى أن يصبحوا هذا أو ذاك.

إن الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب تتمثل فى أن التحقيق الصحفى - أى ذلك التحقيق الذى يهدف إلى تقديم تقارير إخبارية من أى نوع - له من الأهمية ما يجعلنا لا نتركه فقط لمديرى التحرير.

ذلك أن أشد وأصعب العقبات التى يتعين على المحرر الصحفى التغلب عليها هى تلك العراقيل التى يضعها فى طريقه أو طريقها أشخاص فى صالة التحرير.

ومما لاشك فيه أن الحكم على الحصاد الراهن من المحررين / المديرين، فى الصحف اليومية فى السنوات القادمة، سيكون مع استثناءات قليلة، أنهم بصفة عامة قد أساءوا إلى الصحافة، وربما أساءوا إلى الصحف بصفة خاصة.

ولو كان هذا الكتاب مجرد نوع آخر من الكتب، لكنت قد صغت الكثير من فصوله شعراً، بل وحتى بالتفعيلة الخماسية الآيامبية. وربما يكفى فى هذا الصدد مثالان:

- هناك أكثر من 1750 صحيفة يومية فى الولايات المتحدة. وقد أنشأ أكثر من 1200 صحيفة منها نوعاً من الخدمة الهاتفية التى يستطيع المشتركون فى الجريدة عن طريقها الحصول على معلومات. وفى الوقت الذى بدأت فيه الصحف فى مواجهة منافسة شرسة من الأنواع المتعددة من وسائل الاعلام الاليكترونية القديمة والحديثة، ولاسيما من شركات التليفونات، فان الصحف تقوم بتدريب قارئيها على عدم اللجوء إلى الذهاب إلى الصحيفة للعثور على إجابات لأسئلتهم والاكتفاء بالهاتف للوصول إلى هذا الهدف.
- إن إدارة الصحف فى جميع أنحاء الولايات المتحدة - صحيفة بعد أخرى - تطالب محرريها بمقالات أقصر، والاستعانة بالرسوم الجرافيكية بكثافة أكبر، وبموضوعات أكثر خفة، بينما يقل اهتمامها أكثر فأكثر بالمقالات التى وضع بسببها التعديل الأول فى الدستور الأمريكى First Amendment، أى الخاص بحرية الصحافة فى الحصول على معلومات.

إنه نوع من الهبوط إلى مستوى المنافسة مع التليفزيون.

ويرجع هذا الاتجاه من ناحية إلى محاولة «تدليل القارئ» وإلى الخضوع لمستوى الحصاد الراهن من المحررين من الناحية الأخرى. ففى أى مكان أذهب إليه فى مهمة

لالقاء محاضرة أو مهمة استشارية، يقول لى المحررون الصحفيون أنه أصبح من الصعوبة بمكان نشر مقالات ذات اتجاهات طموحة فى الصحيفة.

إن الصحف يجب أن تعول الكثير على عنصرى القوة اللذين تتفوق بهما على غيرها من وسائل الإعلام والمتمثلان فى أن 60 مليون قارئ اعتادوا قراءة الصحيفة، وأن هناك بالفعل، نعم، واقرأ معى، تجمع هائل من الصحفيين الموهوبين والمتحمسين والقادرين على جلب المعلومات وجمعها كما لايستطيع غيرهم من المنافسين أن يفعلوه، ناهيك عن أن يفهموه.

إن المحررين الصحفيين المعاصرين يضمون أعظم جيش من جالبى المعلومات ونشرها يمكن جمعه على الاطلاق فى الزمان والمكان.

وحسبما يقول فرانك باروز رئيس التحرير بصحيفة شارلوت أوبزيرفر «إن مستقبل الصحف فى سعة الأفق وفى العمق».

والعمق بطبيعة الحال، هو الميزة التى يتفوق بها المحررون الصحفيون ممن يعملون بأسلوب التحقيق الصحفى. وهذا الكتاب سوف يساعدك فى القيام بتحقيقات أفضل.

إنك عندما تعمل بأسلوب الاخباريات، وأن تتبنى الاستراتيجيات وأن تستخدم التكتيكات، وأن تقول مايجب أن يقال، وأن تسير مايجب عليك أن تمشيه من مسافات، فإنك تستطيع القيام بتحقيقات أفضل فى صحيفتك أو فى محطة التليفزيون التى تعمل بها، سواء أرادوا لك أن تقوم بذلك أم أبوا عليك.

وملاحظة أخيرة عند القراءة: إن هناك بعض الأشياء القليلة التى جاء ذكرها مراراً فى هذا الكتاب، وذلك لأن المعالجة الخاصة لفكرة ما قد لاتكتمل إلا بتكرار نصيحة ما، حتى وإن كانت هذه النصيحة مناسبة أيضا فى موضع آخر. ويجب ألا تشعر بالاستياء إذا حدث ذلك. والق باللائمة على جون ديوى، الذى أشار بأن مايستحق أن يقال مرة

يستحق أن يقال مرات عديدة. وكما تعرف عزيزى القارئ، إن كنت ممن تلقوا دراستهم فى الولايات المتحدة، فإن هذه المشورة لديوى هى الوحيدة التى يعرفها كل مدرس ويسير عليها.

وفى الختام أقول، إنك عندما تصل إلى نهاية حياتك الوظيفية وتصبح ممن يمارسون متعة الجلوس على الأرجوحة، والحفيدة تجلس بانتباه على ركبتيك، وحكايات الحرب تتدفق منسابة فى خواطرك، حكاياتك أنت لا حكاياتها - فما هى بالضبط أكثر ما تفخر به من حكايات؟ هل هى : (1)«أنا من المواظبين على الخروج من العمل فى زحمة الساعة الرابعة بعد الظهر»؟ أم (2)«كان بوسعى أن أنتهى من كتابة موضوع فى أربع ساعات فقط»؟ أم (3)«قمت مرة بكتابة أو تحرير تحقيق صحفى خلق ظروفا أفضت إلى تغيير كان له مغزى كبير لعدد قليل من الأشخاص»؟.

ولا أعنى القول أن كل شئ فى الصحيفة يجب أن يكون تحقيقا صحفيا فهناك مكان لتحرير المواد الخبرية، وللمقالات، وللرياضة، وللفكاهة- غير أن أيا من هذه المجالات ليس هو السبب فى أن أخوض أنا أو أنت فى هذه المهنة. ولو كنت قد وصلت فى القراءة إلى هذا الحد، فإننى على يقين من أننى أعطى أوصافك عندما أقول، أنك تود المشاركة، حتى ولو مرة واحدة، فى عمل صحفى من الطراز الأول. وإن كنت قد قمت بهذا العمل من قبل، فانك تود التغلب على العقبات التى إما أنها تحول بينك وبين القيام بمزيد من هذه الأعمال وإما أنها تمنعك من القيام بها بصورة أفضل.

إن هذا الكتاب ينطوى على كثير من النصائح لكلتا الحالتين ولأن معظم ماخضته من تجارب مطبوع، فإن معظم الأمثلة من وسائل الاعلام المطبوعة، غير أن معظم ما احتواه الكتاب له نفس القيمة بالنسبة للمحررين الصحفيين فى مجالات وسائل الاعلام المطبوعة (الصحف والمجلات) والصحفيين الاذاعيين.

شكر وتقدير

إذا كان التليفزيون قد أعلن عن صدور «الوصايا العشر» فإن قارئ نشرة أخبار الساعة العاشرة كان سيذيعها كما يلى :«إن الله قد أعطى موسى الوصايا العشر اليوم. وإذا ما اتبعناها، فإننا سننعم بالسلام الدائم. وأما إذا خالفناها، فإننا سنبتلى باللعنة الأبدية. وإليكم أهم ثلاث وصايا من تلك الوصايا العشر».

ولقد قدمت لى مساعدات كثيرة فى سبيل إخراج هذا الكتاب إلى النور. وإليكم بعض من أدين لهم بالشكر فى مساعدتى فى إخراجه بالصورة الملائمة.

أنا وأنت مدينين إلى الصحفيين الذين شاركوا بتقنياتهم فى هذا الكتاب بما فى ذلك توم هامبورجر، ومارى هارجروف، ومارى نيزويندار، وجو ريجيرت، وأوليف تاللى، وجيرى أورهامر، وستيف وينبرج.

كما أدين بالشكر بصفة خاصة لمعلمى الصحافة الذين قرأوا النسخ المبكرة من هذا الكتاب واقترحوا إجراء بعض التغييرات وهم : مارجريت جى. باترسون، من جامعة دوكسن، وديفيد بروتيس، من جامعة نورثويسترن، وشيرى ريكياردى، من جامعة إنديانا، إنديانا بوليس، وكارل سيشنز ستيب، من جامعة ميريلاند.

ولقد وفر عليكم المحررون الذين راجعوا لى فى مطبعة مارتن تلك الدعابات المبكرة التى كنت أطلقها بلا قيود وهم كاثى بوساتيرى، وجين لامبرت، ونانسى لايمان، وسوزان فيلبس وير، واليزابيث تومى.

كما أدين بالشكر لريتش رايت، رئيس مؤسسة أوميجا لخدمات النشر، ولورا ستاريت مراجعة التحرير اللذين ترجما طريقتى فى الكتابة إلى الجليزية صحيحة.

كما أدين بالشكر لبوب جرين والمئات من مساعديه من أعضاء نقابة IRE والمستشارين والموظفين فيها، وأيضا لزملائى السابقين فى صحيفة ستار تريبيون، الذين علمونى كل شئ لى به علم.

اشكرهم جميعا.

المحتويات

الفصل الأول

البدايـــــات

هناك العـديد من العـقـبـات التى تعـرقل تقديـم التحـقـيق الصحـفى الاخبارى الجيد. ولـكن من الممكن التغلب على كل هذه العقبات وهى رغبة تستحق مايبذل فيها من عناء.

مازال يوجد بيننا من يؤكد أن كل التقارير الصحفية هى تحقيقات صحفية. بمعنى أن كل المحررين الصحفيين «يحققون» أو «يتحرون» بدقة فى مايكتبون عنه. هذا الرأى الذى يصبح فيه مصطلح «التحقيق الصحفى» غير ذى معنى، لاغبار عليه إلى أن نقرأ أول جريدة تقع فى أيدينا، أو إلى أن نشاهد نشرة أخبار المساء.

إن ذلك التقرير الذى يذاع عن الأحوال الجوية، أو ذلك الموضوع الذى يتناول كيف تستطيع الرؤية فى الظلام، أو ذلك التقرير المتعمق المنشور على الصفحة الأولى حول التركيب السياسى للمجلس التشريعى القادم للولاية، لايبدو فيها على نحو ما كثير من سمات التدقيق الصحفى.

وتتزايد شكوكنا عندما نقارن هذه الاخبار (و كافة الاخبار الأخرى فى ذلك اليوم) بالموضوع الرئيسى المنشور على الصفحة الأولى عن «العمدة الذى تقاضى تكاليف السفر مرتين» لرحلات يقوم آخرون بتسديد تكاليفها. إن هذا المقال يعرض كيف أن العمدة قد صرف 22 ألف دولار من خزانة المدينة لمصروفات دفعتها من قبل مصالح خاصة هى التى وجهت الدعوة إلى العمدة لالقاء خطاب.

إن هذه القصة يبدو فيها نوع معين من القدرات وقدر أكبر من الجهد عن القصص السالف الاشارة إليها.

بمعنى آخر، إذا قلنا إن جميع التحقيقات الصحفية فيها نوع من التحقيق الدقيق، فما هو السبب فى وجود مثل هذا الاختلاف بين ما يطلق عليه تحقيق صحفى مدقق وبين كافة أنواع التقارير الاخبارية الأخرى؟

هل لنا أن نستنتج من ذلك أن التحقيق الصحفى المدقق، مثله فى ذلك مثل الأفلام والكتب الاباحية، واحد من هذه الأشياء التى لا يمكن أن نضع لها تعريفا ولكننا نعرفها عندما نراها؟

كلا هذا ليس صحيحاً بالمرة.

إن أفضل تعريف هو ذلك الذى قدمه روبرت جرين، مساعد مدير التحرير السابق لصحيفة نيوزداى.

«إنه ذلك التقرير الاخبارى، من خلال جهد شخصى يبذله المرء نفسه (بداية)، للكشف عن أشياء ذات أهمية يود بعض الاشخاص أو المنظمات أن تظل فى طى الكتمان، وهو مكون من ثلاثة عناصر رئيسية هى أن يكون التحقيق قد قام به المحرر الصحفى بنفسه»، وليس مجرد تقرير عن تحقيق قام به شخص آخر، وأن يكون الموضوع الذى يدور حوله ينطوى على قدر معقول من الأهمية بالنسبة للقارئ أو المشاهد. وأن تكون هناك محاولة من جانب الآخرين لإخفاء هذه الأمور عن الجمهور [1].

إن المثال الذى يشيع استخدامه لاثبات الاختلاف بين أخبار السياسات العامة وبين التحقيق الصحفى المدقق هو المقارنة بين موضوع «أوراق البنتاجون» (أسرار حرب فيتنام) وبين التحقيقات المخصصة عن فضيحة ووترجيت أيام الرئيس نيكسون.

فقد ألقت «أوراق البنتاجون» التى نشرتها صحيفة نيويورك تايمز وغيرها من الصحف ضوءا جديداً مهما ومثيرا للانزعاج على تصرفات حكومة الولايات المتحدة أثناء حرب فيتنام. وقد مضى محررو صحيفة تايمز شهورا فى تحليل هذا التقرير ووضعه فى سياقه والمقارنة بين ماتوصل إليه التقرير وبين ما أعلنه المتحدثون باسم الحكومة فى ذلك الوقت. لقد كانت تلك خدمة قيمة للجمهور، غير أنها لم تكن تحقيقا صحفيا مدققا ولكنها خطة صحفية تتعلق بالسياسات العامة. ذلك أن «أوراق البنتاجون» ذاتها كانت عملا قامت به الحكومة، وهى التى وضعت التقرير فى المقام الأول.

أما تقارير ووترجيت الصحفية، فقد كانت فى معظمها من عمل الصحفيين الذين ربطوا بين الحقائق المتصلة بعملية اقتحام مبنى ووترجيت والأحداث التى تلت ذلك. وكانت متضمنة لكل العناصر التى أشار إليها جرين.

إن معظم الصحف تعد لقارئها مشروعات للتحقيق الصحفى المدقق ومشروعات أخرى حول السياسات العامة. والواقع أنها تقوم على الأرجح بالنوع الأخير أكثر من النوع الأول.

لماذا؟ إن معظم المهارات المطلوبة لمشروعات التحقيق الصحفى المدقق هى نفسها المطلوبة لمشروعات السياسات العامة ومنها : استعدادك للعمل لساعات طويلة، وأن تصبح خبيرا بالموضوع، وأن يكون لديك مصادر متصلة بالموضوع، ولديك القدرة على حل الالغاز وشرح المسائل المعقدة، ووضع الافتراضات - سواء كان ذلك عن طريق معلومات تحصل عليها أو تقرير، أو حتى مجرد الملاحظة الدقيقة - واختبار مدى صحتها فى ضوء كل الحقائق والآراء ذات الصلة بالموضوع.

غير أن التحقيق الصحفى المدقق، به عنصر إضافى هو فضح التصرفات غير السليمة، وكشف انتهاكات القانون أو النظام أو معايير السلوك، أو حتى البديهيات وحسن السلوك، ونحن هنا لانركز على الاخطاء فى المؤسسة فقط، مثل السبب وراء عدم نجاح السياسات الزراعية فى الولايات المتحدة أو السبب فى أن نتائج امتحان الطلبة عندنا فى أمريكا أضعف من الطلبة المماثلين لهم فى السن فى الدول الاخرى، ولكننا نركز بالاضافة إلى ذلك على الاشخاص الذين يرتكبون الاخطاء.

إن رؤساء التحرير أو المحررين الصحفيين الذين يتميزون بالمهارة، والذين يتميزون بسعة الاطلاع والقراءة والتفكير بوضوح وبنظر ثاقب يستطيعون عن طريق التفكير اللماح أن يخرجوا إلى الوجود تحقيقات صحفية عن السياسات العامة فمثلا يجيبون على أسئلة مثل : ماهو الخطأ فى التعليم فى مدينتنا؟ هل المياه لدينا آمنة؟ هل يتم تقدير الضرائب العقارية وجمعها بصورة عادلة؟ إن مثل هذه الأسئلة يمكن أن تؤدى إلى تحقيقات صحفية ممتازة تتعلق بالسياسات العامة. أما مشروعات التحقيق الصحفى المدقق، فانها يجب أن تبدأ انطلاقا من الاعتقاد بأن هناك شيئا ما خطأ، وأن شخصا ما

قد فعل شيئا ما خطأ، وهذه التحقيقات نادراً ما تجئ فكرتها من داخل صالة تحرير الأخبار. إنها تجئ من الشارع. بمعنى، أنها تجئ من إخبارية (معلومات)، أو من إدانة قضائية، أو من سلسلة من الملاحظات لمحرر صحفى لماح يبدأ بها تحقيقا صحفيا يبحث فى التفاصيل.

هذا بالإضافة إلى أن التحقيق الصحفى المدقق يمكن أن يكون أكثر خطورة من الموضوعات الصحفية المتعلقة بالسياسات العامة، كما أن حجم الضرر الذى يتسبب فيه الخطأ فى هذه التحقيقات أكبر كثيرا. وبناء عليه، فإن الصحف ومحطات التليفزيون، عادة ما توكل مهمة القيام بهذه التحقيقات إلى الصحفيين الأكثر خبرة، وهى محقة فى ذلك تماما. فلك أن تتخيل ما يمكن أن تتسبب فيه حلقات تحقيق صحفى حول الجريمة المنظمة فى مدينتك من مشكلات، بينما قد لاتثير حلقات تدور حول مدى تلوث الهواء فى المدينة إلا القليل من المشكلات لك وللناس الذين تكتب عنهم.

غير أن الموضوعات الصحفية التى تدور حول السياسات العامة تعتبر مجالا جيداً لتدريب الصحفيين الذين يرغبون فى أن يكتبوا فى مجال التحقيقات الصحفية المتعمقة.

هذا الكتاب إذن يقدم لك أسراراً وطرقا تساعدك فى أداء كلا النوعين من الموضوعات الصحفية، وكلاهما عادة، يشار إليه هنا بالتحقيقات الصحفية.

وقد اهتم الكتاب فى تصميمه بصفة خاصة بتحسين مهارات كتابة التقارير الصحفية وتحريرها والتى من شأنها أن تساعدك فى التغلب على أكبر العقبات التى تواجه التحقيقات الصحفية.

العقبات التى تواجه التحقيق الصحفى

من المؤسف أن العقبات التى تعترض التحقيق الصحفى كثيرة ولابد من مواجهتها والتغلب عليها وتتمثل فى :

- حرية الوصول إلى المعلومات. يصعب حقا أن تجد الاشخاص الذين سيتكلمون عن أفعال غير سليمة لنشرها أو حتى لمجرد معرفة خلفيات الأمور. هذا علاوة على الصعوبة دائما فى الحصول على دليل مطبوع فى السجلات، بل واستحالة ذلك فى بعض الأحيان والنجاح فى تحقيق ذلك غالبا يستغرق شهوراً ويتكلف أكثر مما نريد أو مما هو فى وسعنا.

- تعلم استخدام أدوات حديثة معقدة. ذلك أن بعض الأدوات المستخدمة فى إنجاز هذه المهمة والتى كانت تعتبر من قبل نوعاً من الرفاهية أصبحت أمراً واقعاً فى الكثير من مجالات مشاريع التقارير الصحفية. فالمحرر الصحفى الذى يجهل مهارات استخدام الكمبيوتر التى تساعد فى كتابة التقارير الصحفية أثناء تفاوضه للافراج عن وثائق متحجرة، وذلك بموجب قانون حرية الوصول للمعلومات (Freedom of in-formation Act) أو نظيره على مستوى الولاية، أو الذى لم يعتد على جمع وتنظيم كل تلك الغابة من الوثائق والمذكرات، يكون محروما من ميزة يتفاقم حرمانه منها بمضى الوقت.

- الجهل بموضوعات الأحداث الجارية. إن اكتساب المعرفة بالموضوعات التى تكتب تقارير صحفية عنها قد يكون من العقبات الخطيرة فنحن غالبا نبدأ التحقيق ولا نعرف إلا القليل، هذا إن كنا نعرف على الاطلاق، عن الموضوع، أو عن اللاعبين الرئيسيين على الحلبة، أو عن قواعد اللعبة، أو عن كيفية التلاعب بهذه القوانين أو حتى عن المعايير السليمة لقياس ما إذا كان الشئ يستحق القيام بتحقيق صحفى عنه، وبمعنى آخر، ماهو ذلك المقياس الذى سيستخدم للحكم على الحقائق، والآراء والمواد المختلف عليها والتى ستجدها فى النهاية حتما؟

- الضغط. إن أكثر نوعين من الضغوط شيوعاً - للتخلى عن موضوع أو الانتهاء منه سريعا - هما وجها العملة لنفس العقبة الضاغطة. إن الشكاوى التى تصل إلى رؤساء

التحرير والناشرين أو مديرى محطات التليفزيون من أشخاص أو منظمات يتناولهم التحقيق الصحفى هى أمر حقيقى. ولقد تحدثت مع مئات من كتاب التحقيقات من الصحفيين خلال الخمسة عشر عاما التى قضيتها فى صحافة التحقيقات المدققة، وثبت لى أن هذه الشكاوى من الأمور الشائعة. ثم إن كل صحفى أوكلت إليه مهمة القيام بتحقيق لايسلم من المطالبة والضغط كل يوم للانتهاء منه، بل الانتهاء منه الآن، ونشره أو إذاعته.

- الوقت. الوقت هو عدو كل التحقيقات الصحفية. ذلك أن الصحفيين لايتعرضون فقط لضغط متواصل من داخل المؤسسة التى يعملون بها من أجل الخروج بنتائج، وإنما تتآمر دائما الأحداث التى تخرج عن نطاق سيطرة الصحفى لتزيد من الإلحاح على سرعة استكمال التحقيق. ذلك إنك قد تجد منافسة من مؤسسة إخبارية منافسة، أو أن تؤدى التطورات التى تحدث فى المجلس التشريعى للولاية أو فى مكتب المفتش العام إلى افشال جهدك كله، أو أن توجه الاتهام إلى الشخص الذى تركز عليه فى تحقيقك، أو أن يقرر عقد مؤتمر صحفى عما تقوم بالتحقيق عنه فى محاولة لإزالة آثاره. إن هذه جميعا من دواعى قلق أولئك الصحفيين منا ممن يكدون يوميا فى مجال الصحافة. فالصحيفة أو محطة التليفزيون التى تعمل بها تؤثر على قرائها أو مشاهديها عن طريق نشر «الاخبار» - أى الصحافة التى تجئ فى الوقت المناسب والتى تنفرد بها- لاعن طريق متابعة أخبار قدمها منافسون آخرون.

- المسائل القانونية. إن الصحفيين ورؤساء تحريرهم يكتبون تقاريرهم وهم يتوقعون دائما تعرضهم للمساءلة القانونية المضادة مثل اتهامهم بالتشهير أو القذف أو انتهاك الخصوصية.كذلك يجب ألا تنسى أبداً حتى لاتضر نفسك، أولئك الاشخاص الذين تكتب عنهم تقاريرك الصحفية والصحفيين من زملائك، والذين يفقدون جزءاً صغيراً آخر من الحرية، وجزءاً صغيراً آخر من مصداقيتهم فى كل مرة يخسر فيها زميل دعوى قضائية أو ينشر فيها تصحيحا أو تراجعاً عما نشره من قبل.

وسوف تناقش كافة هذه النقاط بتعمق أكبر فى الفصول التالية من هذا الكتاب. وسوف أقدم لك معلومات وطرق محددة حول إجراء اللقاءات الصحفية، وكتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر، وإدارة الوقت والبيانات، والعمل على نشر التحقيق فى أفضل صورة ممكنة فى أقصر وقت ممكن، والتعامل مع رؤسائك بصورة أفضل وكيف تتعامل مع المحامين الذين يراجعون نسخة من تقريرك. غير أن هناك عقبة واحدة تحتاج بصفة خاصة إلى مزيد من الاسهاب، وهى :

عقبات من جانب رئيس العمل

إن معظم الصحف ليست معدة جيداً لانتاج تحقيقات صحفية. ويتمثل جزء من المشكلة فى أن الصحيفة مدفوعة بالأحداث ومهمومة بالانتهاء من إعداد وطبع صحيفة ذلك اليوم. وغالبا مايؤدى ذلك بدوره برئيس التحرير المشرف إلى أن يكون غير متحمس لأفكار التحقيقات ذات المدى الأطول التى يتقدم بها مرؤوسيه من الصحفيين.

لننظر معاً هذا المثال الافتراضى عن معاملة فكرة مشروع تحقيق صحفى فى يد رئيس القسم المسئول عن الشئون المحلية. والمشكلات التى نفرضها هنا هى نفسها التى تشيع فى كل صالة تحرير، ولكننا، لحسن الحظ، لانواجهها فى نفس الوقت.

الخطوة الاولى : المحررة الصحفية المختصة بالتعليم تحضر مؤتمراً قوميا للباحثين فى مجال التعليم فى سان فرانسيسكو على مسئوليتها الخاصة من حيث الوقت والنفقات لأن الصحيفة لاترى أى فائدة لها فى إرسالها لحضور المؤتمر. وتسمع محررة شئون التعليم الخبراء فى إحدى اللجان يشيرون إلى أن درجات الامتحانات تكون أعلى بين الطلبة فى المدارس التى يوجد بها فصل عنصرى بين البيض والسود عن الدرجات فى المدارس التى أجبرت على الاندماج العنصرى بين البيض والسود. وذهلت المحررة لما سمعته، ورأت أن ذلك قد يكون موضوعا جيداً.

الخطوة الثانية : تقترح محررة شئون التعليم، بعد عودتها إلى الصحيفة على مساعد رئيس قسم الشئون المحلية فكرة تحقيق عما توصل إليه الباحثون وذلك فى مدارس الولاية وتطعيم التحقيق بحكايات ونوادر مثيرة تصور الحياة الحقيقية للمعلمين، والآباء، والقراء والطلبة، جنبا إلى جنب مع مقتطفات مما قاله الخبراء الذين استخدمتهم كمصادر لها فى المؤتمر.

ورغم تشكك مساعد رئيس قسم الشئون المحلية، فإنه يوافق على الفكرة خلال اجتماعه الصباحى مع رئيس قسم المدينة المختص بالتعليم. ورغم تشكك رئيس قسم المدينة بالتعليم (metro editor) فإنه يعد بإثارته مع رؤساء التحرير فى وقت لاحق من هذا الشهر، وهو ما ينفذه، وبعد ذلك الاجتماع، توجه إلى مساعد رئيس قسم الشئون المحلية بإبلاغ محررة شئون التعليم بأنها لن تعمل فى متابعة فكرة التحقيق فى أوقات العمل المخصصة للأعمال الروتينية اليومية.

الخطوة الثالثة : تقوم محررة شئون التعليم، فى بسالة، بمتابعة الموضوع طوال الأسابيع الثلاثة التالية فيما بين فترات إنتاجها اليومى المنتظم من المواضيع وفى وقت راحتها، إنها محظوظة. فهى تعثر مصادفة على ثلاثة من باحثى التعليم الحكوميين ممن يقومون بتحليل الموضوع ذاته منذ عامين وأصبحوا على وشك تدوين ماتوصلوا إليه. إن محررة التعليم، فى حماسها واندفاعها بفعل هذه الهبة غير المتوقعة، تذهب إلى مكتبها يوم السبت، يوم أجازتها، لتقوم بصياغة مذكرة مفصلة من 10 صفحات عن الموضوع، فضلا عن 20 موضوعاً يمكن نشرها فى حلقات تنشر على مدى ثلاثة أيام. وتسعى إلى الحصول على تفرغ لمدة أسبوعين لانجاز التحقيق، وهى تعلم أنه بحاجة إلى تفرغ لمدة أربعة أسابيع. تم تقوم فى حماس بتسليم هذه المذكرة إلى رئيسها مساعد رئيس التحرير للشئون المحلية يوم الاثنين التالى، الذى يسلمه بدوره، رغم تشككه إلى رئيس التحرير التنفيذى، الذى يعد، رغم عدائه للتحقيق، بعرضه على كبار مديرى التحرير، وينفذ هذا الوعد.

الخطوة الرابعة : يدعو رئيس التحرير التنفيذى محررة شئون التعليم على الغذاء، موضحاً أن ذلك، فى ضوء ازدحام جدول مواعيده هو الوقت الحقيقى الوحيد الذى يستطيع فيه «مناقشة الأمر» معها. و خلال فترة انتظار تقديم الطعام يسألها رئيس التحرير التنفيذى عشرات الأسئلة حول تحقيقها الصحفى المقترح (90% من هذه الأسئلة إجاباتها موجودة بالفعل فى المذكرة، والـ 10% الأخرى أسئلة غريبة أو خارج الموضوع). ثم يشرح لها أن الأمر لايعدو أن الصحيفة لايسعها من حيث الوقت أو الأموال السماح لها بالتخلى عن مهامها اليومية.

إن هذا الحديث بأسره لم يستغرق سوى ثمان دقائق من الساعة المخصصة للغذاء. وفى طريق العودة إلى المكتب، يشكر رئيس التحرير التنفيذى محررة شئون التعليم، عرضا هكذا، على الحماس والمبادرة التى أظهرتهما فى اقتراحها. ويتساءل بصوت عال عما إذا كان يجدر بهما أن يعقدا اجتماعات الغذاء تلك بصورة منتظمة لأنها، حسبما يقول، قد أشعلت فيه الحماس تماما. ويندب حظه لتركه مجال التقارير الصحفية والعمل فى مجال التحرير.

الخطوة الخامسة : تقوم محررة شئون التعليم، بعد أن يجتاحها شعور بالاحباط والامتهان بوضع الاقتراح على الرف لتعود مرة أخرى للاستعداد لحضور اجتماع مجلس الآباء القادم فى إحدى المدارس.

الخطوة السادسة : بعد انقضاء شهر، يعلن الباحثون الثلاثة فى الشئون التعليمية. النتائج التى توصلوا إليها، وهى نتائج مثيرة للجدل، أمام اللجنة التشريعية فى الولاية. ويقوم مراسل الصحيفة فى المجلس التشريعى، بتغطية الموضوع، فى تقرير طوله 25 بوصة. ويتضمن ثلاثة أخطاء فى الحقائق ولا يستطيع التقاط ما تنطوى عليه النتائج التى توصل إليها الباحثون واستنتاجاتهم.

وبعدها بيومين، تقوم جماعة أهلية بالتظاهر أمام المشرف المحلى على المدارس الذى أعلن فى مقابلة تليفزيونية أن النتائج التى توصل إليها الباحثون «تستحق

المراجعة». ويقوم بتغطية المظاهرة محررو الصحيفة المكلفون بالمهام العامة، الذين لايخطر لهم أن يتحدثوا مع محررة شئون التعليم ويركزون تماما على الجوانب السياسية للمظاهرة، ويذكرون أن شعبية المشرف تتدهور بوضوح.

إن هذه النتائج التى توصل إليها الباحثون والتى أشعلت هذا الجدل، تأتى موجزة فى فقرتين فقط فى نهاية الموضوع، بل إن إحدى هاتين الفقرتين لا تكتمل حتى لايزيد الموضوع عن المساحة المخصصة له. وكلا الموضوعين يتم نشرهما فى صفحات داخلية حتى أن محررة التعليم لاتلحظهما فى قراءتها اليومية السريعة لصحيفتها.

الخطوة السابعة : تتعرض محررة التعليم للتوبيخ من ثمانية من المصادر التى تستعين بها بانتظام فى تحقيق السبق الصحفى وذلك للطريقة غير الدقيقة والمضللة والمليئة بالاخطاء التى عالجت بها الصحيفة الموضوع. وكان أعلاهم صوتا، المشرف على المدارس، الذى يبدو شاحبا، بل وربما تعساً. وعندما تعود محررة التعليم إلى الموضوعين لقراءتهما، تشعر بالانزعاج، وتبحث عن المذكرة القديمة التى كانت قد كتبتها، وتقوم بإعادة كتابتها وتختصرها اختصاراً شديداً، ثم تعيد تقديمها إلى مساعد رئيس التحرير للشئون الداخلية، الذى يوافق، رغم مايشعر به من انزعاج، على إعطائها لرئيس التحرير.

الخطوة الثامنة : يقوم رئيس التحرير، وهو فى حالة من السخط الشديد، بإرسال المذكرة الاليكترونية التالية للمحررة، بعد أن يقوم بتوبيخ مساعد رئيس التحرير لشئون التعليم: «لقد قمنا بالفعل بنشر موضوعين عن هذه القضية، وإن كان اكثر من موضوع واحد فى هذا الشأن يتجاوز اهتمامات قارئ صحيفتنا. إنك لا تكتبين من أجل مصادرك. وكما أظننى قد شرحت لك فى اجتماعنا لمدة ساعة فى الشهر الماضى، ليس لدينا المال أو الوقت للتحقيقات، كما أن القراء، على أية حال، يبدون اهتماما أكبر بالموضوعات التى تؤثر عليهم، مثل تدهور شعبية المشرف على المدارس. فهل تستطيعين من فضلك، التخلى عن هذا الموضوع الآن وأن تعودى إلى كتابة الموضوعات

التى أظهرت نوعا من الاهتمام بها عندما أوكلنا إليك هذا العمل من ست سنوات مضت؟ ويسعدنى بطبيعة الحال، مناقشة ذلك معك إذا شئت. فأنا معروف باتباع سياسة الباب المفتوح».

الخطوة التاسعة : خلال عام، تنتقل محررة التعليم لتشغل وظيفة ضمن الفريق الشخصى لموظفى مشرف التعليم، الذى تتدهور شعبيته، حسبما يقال فى التقارير الصحفية. ويصيب هذا الهروب من الصحيفة رئيس التحرير وكبار المحررين بالذهول التام، لأنهم لايعرفون ما الذى كان بوسعهم أن يفعلوه أكثر من ذلك لهذه المحررة، وفى نهاية الأمر، فإن السبق الصحفى فى مجال التعليم من أنواع السبق التى يتطلع إليها الجميع، إنه السبق الصحفى الذى يستطيع المحرر بواسطته أن يدعم به المادة التى يكتبها بالفعل.

وسوف تجد نصيحة محددة بشأن مشكلة انشغال رؤساء التحرير إلى درجة تحول بينهم وبين النظر بعين العطف إلى أفكار مشروعك وكيفية التعامل معهم واكتسابهم إلى جانبك فى الفصلين 6 و7 .

سلح نفسك

إن إدراكك لوجود عقبات، وأن هذه العقبات لها ضحاياها وأنه يجب مواجهتها يعتبر إحدى الخطوات الهامة فى حياة مشروع تحقيق صحفى ناجح. وقد يكون لتجاهل هذه العقبات ثمن باهظ بدون داع. كما أن المكاسب المترتبة على التعامل معها هائلة بالنسبة لك، وللمنظمة الاخبارية التى تعمل لها، وبتحديد أكبر للقراء وللمشاهدين.

فقد اكتسبت التحقيقات الصحفية دوراً مهما فى ديمقراطيتنا. ويعتبر التشهير، وهو السلف التاريخى للتحقيقات، هو المسئول عن تلك الضمانات الهائلة الموجودة حاليا فى حياتنا اليومية لأنها لعبت دوراً رئيسيا فى تأكيد إدراكنا بالحاجة إلى وكالات منتظمة للعمل وهى من الأدوات التى اخترعتها الولايات المتحدة.

إن الفضل فى كثير مما نعرفه، حتى يومنا هذا، عن الطرق التى تسير عليها الأمور أو لاتسير يرجع إلى جسارة المحررين الصحفيين والجهد الشاق الذى بذلوه فى أعمالهم - وهم يعملون فى مشروعات التحقيق الصحفى أو السياسات العامة على السواء - والذين ساروا إلى أبعد من مجرد الاعتماد على نشرات العلاقات العامة فى سعيهم نحو رؤية الأمور على حقيقتها.

وحتى يتسنى لنا مناقشة موقعك من هذه الصورة، وتوضيح«المتطور» فى التحقيقات الصحفية الاخبارية «المتطورة»، فإننا سوف نلقى نظرة سريعة على أربعة من المحررين الصحفيين الذين يعتبرون مثالا لمعظم الانجازات الايجابية التى وردت فى هذا الكتاب.

أربعة من أفضلهم

لو أن كل التحقيقات الصحفية والسياسات العامة تعمقت فى الأمور إلى أبعد ما يبدو منها على السطح، وكشفت عن الحقائق الخافية، أو المهملة أو غير المفهومة، فما هو الشئ الذى يوجد فى البعض منها والذى يجعلنا نقول «يا إلهى، ياله من موضوع» ؟

نستطيع الاجابة على هذا السؤال بامعان النظر فى الحياة المهنية والصحفية لأربعة أشخاص فقط - هم جيم ستيل Jim Steele ، ودون بارليت Don Barlett، وروبرت جرين Robert Green، ولو كيلزر Lou Kilzer وجمهعم فازوا بجائزة بوليتزر.

ولو أنك وضعت قائمة كرونولوجية (مرتبة ترتيبا دقيقا وفقا لتسلسلها الزمنى) لأفضل أربعة من كتاب التحقيقات الصحفية فى جميع العصور، فانها تبدأ بإيدا تاربل Ida Tarbel وتنتهى بجيم ستيل ودون بارليت (ولا تخرج من وضع أسماء الأربعة الذين تختارهم فى أى مكان بين هذين الاسمين. أما عن نفسى فإننى أرشح ستة أو سبعة أشخاص بعضهم مازال على قيد الحياة).

ونظراً لأن بارليت وستيل من بين أفضل المحررين الذين خاضوا هذا المجال، سوف

نجد نبذة جذابة عنهما فى نهاية هذا الفصل. غير أن بعض مميزات أعمالهم تستحق أن نبرزه هنا.

لقد تصدى ستيل وبارليت لموضوعات كبرى وشاقة - من نوع موضوعات العدالة التى يمارسها القضاة، أو عدالة جهاز الدخل الداخلى Internal Revenue Service، أو ميراثنا من النفايات النووية، أو من المعاملة التفضيلية التى تلقاها بعض الشركات الخاصة من الكونجرس عندما يصدر قوانين توفر لها ملايين الدولارات وفى الوقت نفسه تضيع علينا ملايين مثلها، أو عما يجرى من فساد لايصدق فى أمريكا.

ومما لاشك فيه أن بارليت وستيل استفادا استفادة هائلة بعملهما منذ عام 1970 فى صحيفة فيلاديلفيا انكوايرار، تلك الصحيفة البارزة التى اشتهرت فى اتحاد البلاد بإنجاز تحقيقات صحفية من الطراز الأول وحتى الآن. فهذه الصحيفة تكرس بشكل روتينى الوقت والأموال والطاقة التحريرية التى تتيح لكتيبتها من المحررين إفراز صحافة ممتازة.

غير أن بارليت وستيل يقدمان صحافة تجيب على أسئلة أساسية يتجاهلها الجميع تقريبا ويثبتان كيف تكون الأفضل فى الصحافة الامريكية - أى تلك الرغبة فى الاتصال بحياة قرائها عن طريق الاستكشاف الفعلى لموضوعات تؤثر أساسا وبشكل مباشر فى الناس.

أما التاريخ المهنى لبوب جرين، الذى أمضى معظمه وحتى اعتزاله مؤخراً، فى صحيفة نيوز داى كمحرر صحفى ومساعد رئيس التحرير للتحقيقات الصحفية، فهو مجموعة من صيغ أفعل التفضيل. فقد كان ينشط دائما فى حدود ما يعرف بالتيار الرئيسى للأحداث.

وإليك الأمثلة :

- هو الأب الروحى لفريق من كتاب التحقيقات الصحفية [2]، ففى عام 1967، شكل فريقا دائما للتحقيقات فى صحيفة نيوزداى، هو الأول من نوعه فى تاريخ الصحافة فى الولايات المتحدة.

- هو مؤلف كتاب الرجل العقرب "The Stingman"وهو كتاب يأسر الانتباه (ويحتوى على أفضل وصف كتب حتى الآن عن العمليات المصرفية الخارجية المشبوهة).
- فاز هو وفريقه بالعديد من الجوائز القومية والاقليمية، بما فى ذلك الفوز مرتين بجائزة بوليتزر الذهبية - الأولى فى عام 1970 لكشف الفساد السياسى الهائل فى لونج آيلاند الذى طال من بين من طالهم أحد كبار رؤساء التحرير فى صحيفة نيوز داى، وفى عام 1974 عن «إنتشار الهيروين»، وهو تحقيق امتد لمدة عام عن كيفية جلب الهيروين من حقول الخشخاش فى تركيا وضخه فى شرايين أطفال لونج آيلاند.
- هو واحد من بين اثنين أو ثلاثة من أكثر الأشخاص المهمين ممن نهضوا بالمسئولية الرئيسية عن إنشاء ونجاح نقابة محررى ورؤساء تحرير التحقيقات الصحفية (IRE)، التى تعتبر أهم ملاذ للصحفيين العاملين [3].
- كان هو الشخص الرئيسى المسئول عن الجهد الذى بذلته نقابة IRE فى كتابة تقرير لم يسبق له نظير من قبل، وهو «مشروع أريزونا»، الذى نشر أثر ستة شهور من التحقيق فى اغتيال مراسل صحيفة أريزونا ريبابليك "Arisona Republic"دون بولز.

إن هذين الانجازين الأخيرين، اللذين يرتبطان ببعضهما البعض بصورة عضوية، يستحقان الشرح والتوضيح.

تم إنشاء نقابة IRE فى عام 1975 إلى حد ما بفضل المساعدة التى قدمها جرين. وفى عام 1976 إغتيل دون بولز وهو من الأعضاء المؤسسين لنقابة IRE. فكيف يكون رد الفعل المناسب من هذه النقابة، التى تعتبر المنظمة الوحيدة فى البلاد لكتاب التحقيقات الصحفية؟ لقد طالب جرين فى ذلك الوقت وحتى الآن بأن يكون رد IRE شيئا يمكن أن يعطى جميع الصحفيين بوليصة تأمين على الحياة وذلك بتوجيه رسالة مفادها إنك لاتستطيع أن تقتل موضوعا صحفيا بقتل الصحفى الذى يكتبه.

وكان يرى إنه لايجب على نقابة IRE أن تذهب إلى أريزونا وهى مرتدية مسوح ملاك الانتقام، وإنما أن تقتصر مهمتها على التحقيق، فى الفساد والنفوذ الحقير

باستفاضة لا يستطيع أن يقوم به مراسل بمفرده. وفقط عندما توجه إليها الدعوة من وسائل الاعلام فى أريزونا. وقد وجهت الدعوة إلى IRE حيث أمضى نحو ثلاثون صحفياً من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والمؤسسات الإذاعية ما يصل إلى ستة أشهر فى أريزونا بتوجيه من جرين.

وقد كانت سلسلة التحقيقات التى نشرت كلها أو جزء منها فى جميع أنحاء البلاد، مثيرة للجدل، وحازت على جوائز صحفية قومية وحظيت بتقدير شعب أريزونا بوجه عام لم اكتسبوه من وعى متزايد بالفساد السياسى وتزايد أنشطة الشرطة لمقاومته.

وقد قال لى كل فرد تحدثت إليه من أعضاء الفريق، بدون استثناء، إن هذا المشروع لم يكن ليتم لولا بوب، ولا أحد آخر مثله، بل بوب جرين ذاته.

فقد كان جرين رئيس الفريق، والأب الروحى الذى يبيحون له بالأسرار، وذاكرته، ومنظم عمله، والمتحدث باسمه فضلا عن أنه واحد من كبار المحررين فى الفريق.

وفى أعقاب نشر ما توصلوا إليه، رفعت ضد منظمة IRE ست دعاوى قضائية. ولم يقدم للمحاكمة فى نهاية الأمر إلا واحدة، ولم تخسر نقابة IRE أى واحدة من هذه القضايا ولم تدفع أى غرامات، ويرجع الفضل فى ذلك بالدرجة الأولى إلى أن جرين وفريقه كانوا قد بالغوا فى الدقة وكانت وثائقهم شديدة الإقناع إلى درجة أن المحلفين سواء المحتملين أم الفعليين لايستطيعون التعاطف مع المدعى كعادة المحلفين دائما.

ولقد قضى جرين معظم عطلاته الأسبوعية طوال مايقرب من العام يجوب البلاد من أقصاها إلى أقصاها لإلقاء المحاضرات وجمع الأموال لصالح صندوق الدفاع فى نقابة IRE ونجح فى جمع أكثر من 75 ألف دولار فى هذه الجولات وفى الجهود الأخرى التى كان يقوم بها.

عندما جاءت نقابة IRE إلى جامعة ميسورى بولاية كولومبيا، فى عام 1978، وهى خطوة قادها بوب جرين، لم يكن عدد أعضائها يتجاوز بضع مئات وكان الدور التعليمى الوحيد الذى تلعبه يقتصر على انعقاد مؤتمرها القومى. وكان ذلك وحده

إسهاما هائلا فى مجال تدريس الصحافة، ففى هذه المؤتمرات كان العشرات من أشهر الصحفيين فى الولايات المتحدة يشرحون للمئات من المحررين الصحفيين كيف يستطيعون تماما أداء نفس هذه الموضوعات واتباع نفس الاستراتيجيات والتكتيكات. وقد كانت هذه الانشطة التعليمية شيئا لم يحدث من قبل فى مجال الصحافة.

وقد اتسعت نقابة IRE منذ ذلك الوقت حتى أصبحت تضم 3 آلاف عضو. وأصبحت تنظم حلقات بحث إقليمية وفى موضوعات متخصصة، وأصبح لها صحيفتها، ومكتبتها الاليكترونية التى تضم آلاف التحقيقات الصحفية، وتنتج أنواع الأدب التى تتدفق بشكل منتظم. وتمد المراسلين الصحفيين والمحررين، والطلبة والمدرسين بغير ذلك من الخدمات. لقد نمت النقابة فعلا بحيث أصبحت واحدة من أكثر المصادر التى تساعد أى شخص مهتم بكتابة التحقيقات الصحفية الجادة.

إن هناك الكثير من الأشخاص ممن يستحقون التقدير الشديد لدورهم فى إنشاء نقابة IRE ورعايتها، وحفزها والمحافظة عليها، ولكن لو أنك تساءلت عمن تحمل منهم معظم المسئولية، فسوف يكون هو بوب جرين.

ذلك أنه بفضل ما تمتع به من مهارات، ومنزلة رفيعة، وبفضل ما اتسم به عمله ومشورته من غزارة وتفوق لصالح نقابة IRE حققت هذه المنظمة الازدهار.

أما لو كيلزر فلم يحصل قط على دراسة فى الصحافة. إذ يبدو أنه لاتوجد مناهج لدراسة التقارير الاخبارية فى جامعة ييل Yale، حيث درس كيلزر الفلسفة، وواصل لفترة وجيزة ممارسة هواية تميز فيها أثناء دراسته فى المدرسة العليا - ألا وهى هواية مسابقات المناظرة [4].

وأنا أعرف كيلزر لأنه عمل لدى خلال السنوات الثلاث الأخيرة لى فى صحيفة ستار تريبيون. وقد عرفت عنه حينئذ أنه ببساطة أفضل من يقوم بالتحرى الصحفى ممن عملت معهم أو قابلتهم أو سمعت عنهم.

أن يدرك المرء أن هناك خطأ ما شئ، وأن يكتشف ما هو الخطأ رغم ضآلة القرائن شئ مختلف تماما.

وليس هناك من هو أفضل من لو كيلزر فى هذا المجال، لماذا؟ يرجع السبب فى ذلك إلى حد ما إلى طريقة تفكير كيلزر فى الأمر - فهو يفكر بطريقة دائرية غير مستقيمة، ومتشككة وتحليلية. ولو أن كيلزر ولد فى عصر آخر لكان الرئيس المنتخب لجماعة المعترضين، الرئيس المنتخب فقط. لأنه بعد الانتخاب قد يعيد النظر فى قبول الوظيفة.

وفيما يلى يصف لنا كيلزر الأساليب التى يتصدى بها لعمل تحقيق.

هل تذكر المخبر كولومبو فى الحلقات التليفزيونية وكيف أنه يحصل على كل المعلومات الكبيرة من الشرير بطريقة غير مباشرة.

ما عليه إلا أن يخرج مفكرته التى لايثق إلا فيها ويسأل الأسئلة المناسبة تماما. إن هذا ما يفرضه وجود جثة وجريمة يجب حل طلاسمها.

وهل تذكر كيف أن كولومبو يظل يتردد على الرجل الشرير ليسأله فى مزيد من الأدب مزيدا من الأسئلة المناسبة تماما؟ وهل تذكر كيف يصاب الجانى بالتوتر كلما زاره المخبر، إلى أن يدرك الموقف ويقرر أن يمتنع تماما عن الكلام مع المخبر؟ وهل تذكر أنه عندئذ تكون الأمور قد أفلتت من يده؟

إننا فى مكتب التحقيقات الصحفية نعتبر بيتر فولك هو قدوتنا إذ أننا لانتبنى فقط أسلوبه فى العمل، ولكننا نلجأ سريعاً إلى قاعدة أن مفتاح السر موجود فى جثة القتيل، بمعنى: أنه غالبا ما يكون الاتجاه، فى التحقيقات الصحفية المطولة، حيث يصبح من المحتمل فى نهاية الأمر توجيه اتهامات خطيرة لشخص ما هو الانتظار حتى نهاية البحث وبعدها «مواجهة» الشخص بحفنة من القرائن، وهذا هو ما دأبت على فعله، إلى أن اكتشفت مشكلتين :

أولا، أننى أكون فى بعض الأحيان على خطأ تماماً.

ففى مرة خيل لى أننى وقعت على اكتشاف أن قيصر ملاعب الجولف فى دينفر - جوزيف بى. شيانشيو يشتبه فى قيامه بعقد سلسلة من الصفقات التجارية مع أشخاص لديهم عقود امتياز فى ملاعب الجولف المحلية.

وقد تحولت جميع المجلدات التى أحتفظ بها للسجلات العقارية إلى هباء منثورا عندما أشار قيصر الملاعب مازحا إلى أن جوزيف بى شيانشيو الذى يظهر اسمه فى السجلات هو من أبناء عمومته. وكان ذلك مثار شعور بعدم الارتياح من جانب رؤساء التحرير الذين أعمل معهم.

وقد بدا لى أنه لو كانت هناك فرصة لوجود تفسير برئ لما نشتبه فيه، فحبذا لو جاءت هذه الفرصة فى أسرع وقت ممكن.

والمشكلة الثانية فيما يتعلق بالانتظار لفترة طويلة قبل التحدث مع الشخص موضوع البحث الذى يجريه هو أنه هو المستفيد وحده من إطالة هذه المدة، وأنك لا تحقق أى مكاسب من ذلك التأخير.

ففى 99.9% من الحالات سيعرف الشخص موضوع البحث كل شئ عما تجريه من تحقيق بمجرد أن تدلف إلى مكتبه. وإذا ما كان مذنبا فإنك ستمنحه الفرصة لعدة أسابيع يستطيع خلالها أن يؤلف سيناريو وبذلك يفوت عليك فرصة مفاجأته بحيث يقدم لك رواية تستطيع التحقق من مدى صحتها.

وإليك قاعدتين مؤثرتين، رغم أنهما ليستا بالتأكيد للتطبيق الحرفى.

لو أن شخصا ما مذنب، فإنه لن يعترف بذلك. بل سيلجأ إلى الكذب. وسوف يكون نوع الكذبة مرتبط ارتباطا مباشراً بطول الفترة الزمنية التى ستتاح له فيها فرصة إعدادها. إن المخبر كولومبو يحول هذه الاكاذيب السيئة المبكرة إلى اتهامات بالفعل. ومن ناحية أخرى، لو أن شخصا ما غير مذنب، فإنه يميل إلى

عدم الكذب. وسوف يثبت صحة مايرويه وستكون قد وفرت على نفسك مجهوداً كبيراً وتجنبت تفاقم الموضوع الذى تقوم به.

وهنا يختلف كولومبو فى الحياة الحقيقية عن كولومبو فى الحلقات التليفزيونية: فليس كل مشتبه فيه مذنب. والتوجه مبكراً إلى المشتبه فيه تتساوى فائدته تماما سواء قررت أن المشتبه فيه برئ أم مذنب.

ولا يعنى ذلك أن تقتحم باب الحجرة على المشتبه فيه موضوع تحقيقك عند أول بادرة فضيحة. فهناك تجئ قاعدة جثة الميت لتعمل عملها، كما يلى :

يجب أن تفاتح الشخص موضوع تحقيقك فى أسرع وقت ممكن بعد أن تقوم بتجميع مجموعة لا بأس بها من الاتهامات، أو مما يبدو أنه سلوك مشبوه، تجعل من الشخص العادى مثل قارئ الصحيفة يرغب فى سماع تفسير بشأنها.

إننا ندخل عليه ونقول : «من فضلك، إن هذه التسجيلات تقول كذا وكذا أو أن الشخص الفلانى يقول هذا وذاك، ولقد عّن لنا أن نستوضح الأمر. وأنا واثق أنك تستطيع أن تتفهم لماذا يريد منا رؤساء تحرير صحيفتنا كشف لماذا.......».

إن على المحررين الصحفيين أن يفاتحوا الشخص موضوع تحقيقهم الصحفى على غرار ما يتعامل به الناخبون فى شيكاجو مع صناديق الانتخابات. فى وقت مبكر ودائما[5].

إن الرصد البارع يعتبر صفة من صفات التحقيقات الصحفية المتقدمة.

ولك أن تتأكد، أن فن الرصد هو خليط من المهارات، تمثل عصارة الفكر، والتدريب وسنوات طويلة من الخبرة. غير أن الكثير من هذه المهارات والتقنيات، والتى تتجاهلها غالبا الكتب الخاصة بالصحافة، يمكن اكتسابها أو شحذها، و لابد من استخدامها فى إفراز ذلك الصنف من الصحافة فى أفضل صورها.

هوامش

1- روبرت دابليـو. حرين، مقدمة لـ «دليـل المحرر الصحفى» «دليـل المحقق للوثـائق والتسجيلات»
"The Reporter's Handbook An Investigator's Guide to Documents and Records," John Ullmann and Steve Honeyman, eds (New York: St Martin's Press, 1983) , vii-viii

2- طلب من بوب، كاستشارى، مساعدة صحيفة بوسطون جلوب فى تشكيل فريق للتحقيقات. وقد فازت الجلوب بجائزة بوليتزر بعد عام من تشكيل الفريق وأرسلوا لبوب برقية تقول «شكرا أيها المعلم».

3- جين روبرتس، رئيس التحرير السابق فى صحيفة فيلاديلفيا انكوايرار والذى يرجع إليه الفضل فى أن الصحيفة أصبحت مثار حسد الصحفيين فى كل مكان. عبر عن ذلك بصورة أفضل فى مؤتمر نقابة IRE فى سان فرانسيسكو بقوله «إننى لأعجب الآن كيف تسنى للصحافة أن تعيش من قبل بدونك (IRE) إنك توفرين التدريب، و التوجيه، وتقنيات وأساليب كتابة التقارير الصحفية التى لم تكن لتوجه بدون وجودك.... وباختصار لقد تبنيت وجهة النظر التى طالما وصفت بها الصحافة، وهى أنها مهنة يصعب فيها على الناشرين ورؤساء التحرير النظر لأبعد من التقرير ربع السنوى للدخل». نقلا عن أوليف تاللى فى صحيفة نيوز ليبرارى نيوز (ربيع عام 1992)،18، 1

4- لديهم فكرة غريبة فى قسم الفلسفة بجامعة ييل بأنه يجب على الطلبة قراءة الأعمال الأصلية للفلاسفة، وليس مجرد قراءة كتب عن الأعمال الأصلية للفلاسفة، وبالعودة إلى الأعمال الأصلية، أجدنى على ثقة فى أن جهود البحث وتنظيم الحقائق، أسهمت فى قدرات لو Lou فى إجراء التحقيقات. وغنى عن القول، أن هذه المهارات أسهمت فى تكدير رؤساء التحرير الذين يجرون تغييرات فى النسخة التى يقدمها لهم.

5- وهذا متوقع من أفتروورذز Afterwords ، وهى نشرة داخلية كانت تصدرها صحيفة ستار تريبيون عن الكتابة والتحرير وكان المسئول عن إصدارها رون ميدور، وهو يشغل الآن منصب مساعد مدير التحرير للمشروعات. (8 مارس 1990 ، صفحة 1) إن كلمة «نحن» التى يستخدمها كيلزر هنا هى

نحن فى الكلمة الافتتاحية. وهو يشير إلى أسلوب كولومبو بأنه نهج السمسار الأمين. وغالبا ما تسمى الطريقة الأكثر شيوعا نهج الدوائر متحدة المركز. غير أنه يتعذر علىّ تماما تذكر استخدام نهج كيلزر التى أثبت كيلزر قيمتها. إن كلتا الطريقتين ليستا وحدهما اللتين تصلحان فى كل المواقف.

نبذة شخصية عن دونالد بارليت وجيمس ستيل

بقلم ستيف واينبرج

جامعة ميسورى - كولومبيا

بدأ دونالد بارليت وجيمس ستيل العمل فى صحيفة فيلادلفيا انكوايرار فى نفس اليوم من شهر سبتمبر عام 1970 ولكنهما لم يلتقيا على الفور، وإنما جمعتهما المصادفة فى أحد الأيام عندما طلب منهما ماكمولان رئيس تحرير الصحيفة التأكد من صحة الاتهامات التى تشير إلى وجود مخالفات فى برنامج الإدارة الفيدرالية للاسكان لترميم منازل ليشغلها عائلات من ذوى الدخل المنخفض. وكان ماكمولان فى اختياره لبارليت وستيل، يمارس حقه فى الاختيار بغية تنفيذ العمل على نحو سليم.

ولم يكن يبدو فى الجمع بين هذين الاثنين أنه من صنع السماء. فقد كان ستيل ينتمى إلى وسط الغرب الأمريكى، ويبدو من سكان المدن من خريجى الكليات، ناعم الصوت ولكنه اجتماعى بطبعه ودمث الخلق مع الآخرين. أما بارليت فقد كان ينتمى إلى ولاية على الساحل الشرقى، وغيرحاصل على شهادة عليا، قليل الكلام، وأحيانا متحفظ ويفضل الوحدة، وله وجه صارم القسمات وأصلع، ويتميز بصوت متنافر وأجش يتعذر على أى رئيس تحرير نسيانه.

ولكن ثبت أن اختيارهما للعمل معاً كان اختياراً مباركاً. فخلال أربعة أعوام فاز بارليت وستيل بأول جائزة بوليتزر يحصلان عليها. وبحلول عام 1993، كانا قد فازا تقريبا بكل جائزة كبرى أخرى عن الأنباء المثيرة أو التحقيقات الصحفية، فضلا عن جائزة بوليتزر للمرة الثانية.

ومع ذلك فقد ظل بارليت وستيل وحتى فوزهما بجائزة بوليتزر للمرة الثانية فى عام 1989، غير معروفان تقريبا فى الأوساط الصحفية الأخرى خارج صالة التحرير فى صحيفة فيلاديلفيا انكوايرار - ذلك رغم أنهما كانا بلا شك تقريبا أفضل فريق فى تاريخ التحقيقات الصحفية جنبا إلى جنب مع وودوارد وبرنشتاين.

وفى عصر يعتبر فيه التحقيق الصحفى هو البطل وصاحب الشهرة فى مجال الصحافة، كان لدى بارليت وستيل تلك الصورة شديدة الجفاف، التى ربما كانت هى المصير المحتوم للمحررين الصحفيين الذين ينقبون عن منشأ الثغرات فى الضرائب وليس فى الخطايا التى ترتكب فى البيت الأبيض. إنهما يفتقران إلى الشخصية الجذابة، وهما يدركان ذلك ويقول بارليت، «لما كنا من أكثر الشخصيات إثارة للملل فى مجال الصحافة، فلم يكتب عنا الكثير». وهما على العكس من وودوارد وبرنشتاين، لم يجسدهما على شاشة السينما أى من الممثلين المشهورين. وكما يقول ستيل: «إننا لسنا مادة تتميز بالاثارة، سوى فيما يتعلق بعملنا». وكان ذلك بلا شك هو الانطباع السائد داخل الانكوايرار، حيث كانت النكتة التى ظلت طوال الوقت تطلق عليهما هى أن أفضل أوقاتهما هو قضاء ساعة من الزمن أمام آلة تصوير المستندات.

ولا يمكن لأولئك الذين لم يلتقوا أبداً مع هذا الدويتو أن يفصلا بين شخصيتهما، حيث يطلق الاسمان معاً فى نفس واحد «بارليتوستيل». بل إنهما أيضا فى بعض الأحيان كانا يلغيان ذاتهما ويفكران باعتبارهما وحدة واحدة وكان يحلو لستيل أن يقول إنهما ظلا معاً «أطول مما تستمر معظم الزيجات فى هذا البلد».

ويرجع التصاقهما إلى حد ما إلى أن كليهما كان يمتلك القدرة على السيطرة على الغضب وهى تلك الصفة الاساسية من أجل استمرارية القيام بتحقيقات صحفية لها قيمتها. ويقول بارليت أن المؤسسة التى شكلاها تعتبر «نوع من المثالية التى عفا عليها الزمن»: فهما يؤمنان بأنه يجب معاملة الناس كسواسية، وأن أرض الملعب يجب أن تكون مستوية، وأنه لايحق للحكومة أن تفضل جماعة على أخرى، وأنه يجب مراقبة كيانات القطاع الخاص بنفس الدقة التى يتم بها مراقبة القطاع العام.

وكانا يشتركان فى شئ آخر - ذلك الاستغراق التام فى عملهما الصحفى. فلم يكن هناك مايشغلهما سوى زوجتيهما وأطفالهما.

وقد ظل بارليت وستيل، مع مرور السنوات يقضيان أيام عملهما معا فى رضى فى أحد المكاتب المجاورة مباشرة لادارة الاخبار الاقتصادية فى الانكوايرار. وقد وصف أحد الصحفيين السويديين المساحة التى يعملان فيها بعد أن زارهما هناك فى مقال طريف نشر فى وقت لاحق فى إحدى المجلات السويدية قائلا :

لو أنهما كانا فى السويد لاعتبرا تقريبا نموذجاً للتفتيش الصحى. ففى أحد الأركان البائسة من الحجرة حيث توجد صناديق ثقيلة مكدسة الواحد فوق الآخر حتى السقف، يوجد مكتبان قديمان لونها رمادى، ويمثلان تقريبا معظم مساحة الحجرة. أما ما تبقى من مكان فى الحجرة فيحتله دولاب ملئ بالوثائق البالية، وأدراج مكدسة بالكتب وأجهزة الكمبيوتر. ولا يوجد أى ملليمتر مربع من مساحة الغرفة ليس له استخدام، فيما عدا مدخل ضيق يسمح لبارليت وستيل بالوصول بشق الأنفس إلى مكتبهما الفوضويان. وهناك ترتفع أكوام من الأوراق بجانبها آلتان حاسبتان قويتان، ويوجد أيضا أكوام من ملفات الأرشيف الصفراء لابتلاع مزيد من الملفات فى جوفها. وفى الواجهة توجد غرفة أصغر مكدسة أيضا بمزيد من صناديق الوثائق التى تصل أيضا إلى السقف.

من هذا المكتب، تابع بارليت وستيل سلسلة من الموضوعات - بعضها كان بتكليف من مديرى تحريرهما والبعض الآخر من اختيارهما، وكلها تمت الموافقة عليها بالاجماع. ولم تكن الأفكار تأتى إليهما من داخل المظروفات ذات اللون البنى الفاتح أو خلال اجتماعات سرية فى مواقف السيارات.

إن المصدر الأصيل لكل هذه الموضوعات هو افتنان بارليت وستيل بالطريقة التى تعمل بها مؤسسات الأعمال و الوكالات الحكومية وغيرهما من المؤسسات سواء كان ذلك بشكل سوى أو غير سوى مما يكون له مردود طيب أو ضار على المجتمع.

إن العمل الذى أدى إلى حصولهما على العديد من الجوائز هو التحقيق الصحفى عن برنامج الاسكان الفيدرالى الذى أوكله إليهما ماكمولان. يقول ستيل : «لقد طلب منا البحث فى أنحاء فيلاديلفيا عن أدلة عن استغلال النفوذ فى برنامج الاسكان الفيدرالى 235 لترميم وبيع المنازل القديمة للعائلات ذات الدخل المنخفض وكانت فيلاديلفيا قد وردت فى تقرير لجنة رايت باتمان Wright Patman المصرفية فى الكونجرس. وقد قضينا أياما قليلة نبحث فى سجلات العقارات لنعرف حقيقة الأمر. وقد أبلغنا مديرى التحرير بأن الأمر يستحق وقتا طويلا ولكن هذا البحث سيكون مثمراً، ومن ثم فقد سمحوا لنا بالمضى قدماً» .

وقد اتضح أن الوزارة الأمريكية للاسكان والتنمية الحضرية (HUD) لديها مشكلة فى الافصاح المسبق عن الحقائق، ذلك أن المشترين من ذوى الدخل المنخفض سرعان ماسيكتشفون أن المنازل التى يفترض أنه تم ترميمها ليست سوى شكل خارجى خادع، ومن ثم فسوف يرفضونها. ولن يرغب أحد بعد ذلك فى شرائها.

يقول ستيل: «لقد استغرق منا الأمر ما بين ستة إلى ثمانية أسابيع قبل أن نصبح على استعداد لكتابة أول موضوع لنا. فقد كان علينا أن نبحث فى صكوك ورهنيات لنعرف ماذا كان يفعل المضاربون ومن الذى اشترى المنازل منهم. ثم خرجنا لرؤية المنازل والقيام بلقاءات مع العائلات التى تسكن فيها.. وكان علينا أن نتخذ قراراً بشأن عدد المنازل التى يجب علينا أن نتفقدها قبل أن يكون لدينا المادة الكافية لمساندتنا فى إثبات أطروحتنا.

وقد أثبتت الحلقات التى نشرت وكشفت عن الاحتيال فى فيلاديلفيا لبارليت وستيل أنه بوسعهما أن يعملا معاً بسلاسة وأثبتت أن صحيفة انكوايرار لديها التزام بتقديم صحافة عميقة ومهمة.

وقد بدأ بارليت يؤمن بأنه بلغ فردوس الصحافة. فهو يحكى أنه عند لحظة معينة من الحلقات «تلقيت مكالمة تليفونية من أحد سماسرة العقارات فى المدينة قال لى فيها، «أظن أنك لن تكتب عنا بعد الآن» فسألته ماذا يعنى بذلك فرد قائلا إن السماسرة

سحبوا إعلاناتهم من الصحيفة إلى أن تتوقف الحلقات. وكان لهذا مغزاه نظراً لأن صحيفة انكوايرار كانت فى ذلك الوقت تحقق أرباحاً بالكاد. إننى لن أنسى ماحييت ذلك اليوم الذى ذهبت فيه لمقابلة ماكمولان. فعندما سألته إذا كانت الاعلانات قد ألغيت بالفعل رد ماكمولان - وهو رجل أعطى معنى جديداً لكلمة فظ- مدمدماً، «نعم، ولكن هذه مشكلتى أنا وليست مشكلتكما. ما عليكما إلا مواصلة الكتابة». وبالفعل خسرت الصحيفة بضعة مئات من الدولارات ولكن الشئ الوحيد الذى قيل لنا أنا وجيم هو الاستمرار فى كتابة الحلقات.

وقد أدت أيضا الحلقات التى نشرت عن برنامج ترميم الاسكان لمنخفضى الدخل (FHA) إلى الدراسة التى أصبحت الآن أسطورية عن المحاكم. فخلال عمليات البحث التى قام بها بارليت و ستيل فى عمليات التلاعب فى برنامج (FHA) لترميم المنازل، سمعا عن القضاة الذين يتساهلون مع الغشاشين. ومن ثم فقد قرر الدويتو القيام ببحث لحسم هذه القضايا. وقد انتهى بهما المطاف إلى نتائج أكثر كثيرا من ذلك، إذ أن أنواعاً أخرى من القضايا بدأت فى جذب اهتمامهم.

فقد قرر بارليت وستيل، بعد مناقشة الأمر مع مديرى التحرير فى انكوايرار، البحث فى كيفية تناول مجموعة واسعة النطاق من جرائم العنف، يقول ستيل: «لقد كان هناك جدلاً كثيراً فى فيلاديلفيا فى ذلك الوقت حول نظام العدالة بالنسبة للجرائم. فكيف يتم تطبيق العدالة ؟» وقد عزم بارليت وستيل على التوصل إلى إجابة لهذا السؤال.

ففى أحد الأقبية المنعزلة المستكنة تحت إحدى قباب مبنى مجلس مدينة فيلاديلفيا كانت توضع سجلات جرائم العنف التى ارتكبت على مدى ربع قرن مضى. وكانت هذه السجلات محفوظة داخل صفوف من الملفات من الحجم القانونى المكدسة على أرفف معدنية يعلوها التراب ارتفاعها ثمانية اقدام. وقد قضى بارليت وستيل صيفا ساخنا داخل حجرة غير مكيفة الهواء، وباستخدام المكاتب القديمة والكراسى المحطمة، قرأوا آلاف الشكاوى المرسلة إلى الشرطة، وأذون الشرطة وتصريحات الاعتقال، ونماذج

الكفالات، والاتهامات وجلسات المحاكم، وتقييم الحالات النفسية، وتقارير مراقبة المفرج عنهم. وقد تمكنا بذلك من اختيار 1034 قضية جنائية لمتهمين اتهموا بالقتل أو الاغتصاب، أو الاعتداء المسلح، وبعد ذلك قاما بتسجيل دقيق لـ 42 معلومة عن كل قضية، بما فى ذلك العنصر الذى ينتمى إليه المتهم، وسجل الجرائم السابقة له، ومدة العقوبة وماشابه. وقد قاما بتشفير المعلومات على بطاقات كمبيوتر IBM وادخالها فى الكمبيوتر، وهو مجال للتكنولوجيا لم يكن مستخدما فى صالات تحرير الصحف فى ذلك الوقت. وكان معلمهم الروحى هو فيليب مايور، وهو محرر لصحيفة نايت Knight الذى كان قد فكر فى كتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر أثناء زمالته فى جامعة نيمان Nieman.

وقد تمكن بارليت وستيل بناء على المطبوعات الناجمة عن ذلك و التى بلغت أربعة آلاف صفحة، فضلا عن الزيارات التى قاما بها للمحاكم واللقاءات مع ضحايا الجريمة، والمدعين، والمتهمين، والمحامين، والقضاة من الكتابة بشكل روتينى عن المحاكم الجنائية تحدثوا فيها عن العدالة غير العادلة.

وقد وضحا فيما بعد قائلين : «إن البيانات التى توصلنا إليها عن كل قاض على حدة لم تكن دائما تتفق مع الاحكام التقليدية التى يصدرها مجلس المدينة، والتى صنفت القضاة إلى «ليّن» أو «متشدد»، لأسباب سياسية غالبا، فعلى سبيل المثال ظل الاتهام موجها إلى إحدى القاضيات، وكانت من الخصوم السياسيين للمدعى العام بأنها ليّنة مع المجرمين. ولو أننا ضغطنا على مكتب المدعى العام من أجل إثبات هذا الاتهام، فانه يسارع إلى الاستشهاد بعدد من الاحكام التى أصدرتها لتعزيز ادعاءاتهم. وقد كانت هذه القاضية، بطبيعة الحال، إحدى الحالات التى درسناها. ومع مرور الشهور، بدأت تتبين لنا صورة لهذه القاضية تختلف إلى حد ما عن تلك الصورة التى رسمتها لها المصادر العليمة فى المحكمة. لقد كانت هذه القاضية أبعد ما تكون عن اللين، بل إنها على العكس من ذلك، كانت متشددة. ففى قضايا كان من المرجح أن تصدر فيها حكما بوضع المتهم تحت المراقبة بدلا من إصدار حكم بالسجن مثلما هو الحال

مع قضاة آخرين، إلا أن الاحكام التى أصدرها المحلفون فى هذه القضايا كانت أشد من غيرها قضايا مشابهة مع قضاة آخرين» .

وقد ذاع صيت هذه الحلقات، ودور الكمبيوتر فيها بين صفوف كتاب التحقيقات الصحفية، وبعدها استشهد فيليب ماير بالحلقات فى كتابه الشهير الذى أصدره عام 1973 بعنوان «صحافة التدقيق: مقدمة المحرر الصحفى عن أساليب العلوم الاجتماعية». وهكذا بدأت التقنية التى اتبعها بارليت وستيل تنتشر تدريجيا فى مجال الصحافة.

وقد كانت حلقات المحاكم بمثابة نقطة تحول بالنسبة لصحيفة انكوايرار ولبارليت وستيل. فبعد أن قام ماكمولان بتنظيف صالة التحرير وإعدادها، جاء الدور على يوجين ال. روبرتس، جونيور ليدخلها قادماً من صحيفة نيويورك تايمز حيث تولى رئاسة التحرير ليعيد بناء انكوايرار ويجعل منها صحيفة قومية.

ولقد كان صعود روبرتس بداية للتحول نحو كتابة موضوعات تحظى بالاهتمام على المستوى القومى. فقد كان أول هذه الموضوعات عن البترول، وهو موضوع مؤسسى على نحو واضح فى ذلك الوقت الذى قيل إن هناك نقص فيه.

وقد بدأ بارليت وستيل، خلال البحث الأولى الذى أجرياه يلاحظان توسع شركات البترول متعددة الجنسيات فى خارج البلاد. ويقول ستيل: «إن المرء لايخرج بشئ كثير من قراءة التقارير السنوية لاحدى الشركات، موبيل على سبيل المثال، فى عام 1972 والتى تتناول مسائل مثل التكرير والمبيعات والتنقيب فى الخارج. ولكنك إذا اخترت الاحصائيات من التقارير التسعة السابقة فسوف تتكشف لك صورة درامية للموقف. وفى مطلع الستينات، كانت معظم عمليات موبيل تتركز فى الولايات المتحدة. وبحلول عام 1972، كانت موبيل تقوم ببيع وتكرير بترول فى الخارج أكثر منها داخل الولايات المتحدة.

وقد قام بارليت وستيل بفحص سجلات الشحن فى مؤسسة لويدز بلندن للتأكد من أن ناقلات البترول التى كانت تبحر من موانئ الشرق الأوسط خلال الحظر البترولى

العربى إلى الغرب قد زاد عددها. وقاما بمقارنة إعلانات شركة البترول داخل الولايات المتحدة وفى الصحف الاجنبية لتوثيق الاختلافات فى هذه الاعلانات بحسب الجمهورالمعلن له.

وقد تعارضت الحلقات التى نشروها مع الحكمة المأثورة التى تقول إن «الأزمة البترولية» كانت نتيجة لتلاعب شركات التداول فى الامدادات أكثر منها بسبب الحظر العربى. وقد بدأ أعضاء الكونجرس وغيرهم من واضعى السياسات يستشهدون فى مناقشاتهم بما توصلا إليه من نتائج.

وقد قرر بارليت وستيل، فيما يتعلق بتحقيقهم التالى، أن يوجها نشاطهما نحو واحدة من أكثر الوكالات الفيدرالية نفوذا، أى جهاز الدخل الداخلى Internal Revenue Service (IRS). وقد وقع اختيارهما على IRS لانهما أصبحا خلال عملهما فى حلقات البترول مولعين بمعرفة السبب فى أن البيروقراطية تقوم بتسوية المطالبات الضرائبية بالنسبة للشركات العملاقة بمبالغ تقل كثيرا عما هى مدينة به.

يقول ستيل: «إن الوكالات الحكومية تصدر بصورة منتظمة كافة صنوف المعلومات عن عملياتها. وإنك لتدهش من حجم المعلومات التى تنشرها بالفعل. إن الناس يسألوننا فى دهشة، كيف تقرأون التقارير السنوية لجهار IRS وتخرجون منها بشئ مفهوم أو تكتشفون فيها بذرة موضوع للنشر؟ إنك إن قرأت أحد تقارير IRS، فإنك لاتخرج منه بالشئ الكثير. ولابد لك من قراءة ما يقرب من 10 إلى 20 تقريراً تغطى فترة طويلة من الزمن، وبعدها يمكن أن تخرج منها بوجود نوع من الاتجاهات المقصودة فى داخل هده الوكالة».

وقد ركزت الحلقات المنشورة على ميل هذه الوكالة إلى تركيز جهود تنفيذ قوانينها على دافعى الضرائب من ذوى الدخل المنخفض وليس على الاشخاص ذوى الدخل المرتفع والشركات، وهو استنتاج يعتمد على الاحصائيات التى تضمنتها التقارير السنوية.

لقد اكتسب البحث الذى أجراه بارليت وستيل فى هذا الشأن معنى جديداً لأنهما وضعا نظاما نموذجيا للعمل اعتمادا على قائمة بالأحداث والتواريخ (كرونولوجيا)، ذلك أن الكرونولوجيا تسمح لهما، عند ربط المعلومات المستقاة من مصادر مختلفة بعضها بالبعض الآخر (وقد سار الكثير من الصحفيين الآخرين على دربهما) برؤية أنشطة شخص ما فى مجموعها بصورة لا تتيحها أبداً المذكرات المتفرقة.

فى الحلقات التى نشرت عن IRS، كان من الشخصيات الرئيسية التى ألقى بارليت وستيل الضوء عليها. رجل أعمال فى شيكاجو أشهر إفلاسه. وبدا أن لديه قليل من أصول الفائدة المدين بها لـ IRS . ومع ذلك فانه فى اليوم السابق على إشهار إفلاسه اشترى منزلا خارج واشنطن بمبلغ 200 ألف دولار. ولم يكونا ليكتشفا ذلك لولا مالديهم من كرونولوجى لحياته العملية.

وقد فازت هذه الحلقات بجائزة بوليتزر لعام 1975 للتحقيقات الصحفية على المستوى القومى. وأكدت هذه الجائزة على أن بارليت وستيل «قد كشفا عن عدم العدالة فى تطبيق قوانين الضرائب الفيدرالية».

وبدأ بارليت وستيل بعد فوزهما بجائزة بوليتزر الأولى فى نشر حلقات مطولة فى انكوايرار (نشرت بعد ذلك فى كتب) بمعدل كتاب تقريبا كل عامين. وكان الموضوع التالى هو النفايات والاحتيال فى إنفاق المساعدات الخارجية الامريكية.

ومنذ البداية، قام بارليت وستيل بجمع كتب إعلامية عن كل مشروع من مشروعات المساعدات الخارجية، وقاما بمراجعة تقارير العاملين فى الكونجرس وجلسات اللجان، فضلا عن مراجعتهما لوثائق الفرع التنفيذى بوزارة الخارجية، والبنك الدولى، وبنك التصدير والاستيراد، ومؤسسة التمويل الدولية، وبنك التنمية الآسيوى وشركة الاستثمار الخاص الخارجى.

بعدها قام بارليت وستيل بالسفر كل على حدة لزيارة مواقع فى بيرو وكولومبيا، وتايلاند، وكوريا الجنوبية. واكتشفا أن الاموال الموجهة إلى الاسكان الخاص بذوى الدخل

المنخفض تنفق على منازل وشقق الرفاهية. وقد فاجأ بارليت مدير مكتب وكالة التنمية الدولية (AID) فى تايلاند بالكم الهائل من المعلومات التى لديه، وبذلك تمكن من استخلاص اعتراف منه بأن AID لم تفعل الكثير للتأكد من أن أموالها تنفق فى الأوجه التى خصصت لها.

وقد حصل بارليت وستيل، خلال تحقيقاتهما عن المعونات الخارجية على تجربة نادرة فى حرفة يكون الاكتشاف فيها عادة يدفع بالاتهام : أى أن يقفز من الوثيقة اكتشاف مثير.

وقد تقدم فريق العمل الثنائى بطلب إلى وزارة الخارجية لمراجعة ملفات مشروع أمريكى ضخم للإسكان فى جنوب أفريقيا. وتلقيا فى النهاية، وبعد انتظار عدة أسابيع، دعوة لزيارة واشنطن. وقام أحد البيروقراطيين بإرشادهم إلى حجرة صغيرة ترتفع فيها الملفات المنتفخة بالأوراق إلى السقف.

يقول ستيل : «قضينا أسبوعاً غرقنا خلاله فى عملية البحث فى الملفات، وبعدها بدأت تنكشف لنا صورة من التسيب وسوء الإدارة من خلال تلك السجلات المتضخمة وبعدها، وفى اليوم الأخير، وقعت فى أيدينا وثيقة محشورة داخل الملفات تكشف بوضوح إلى أى مدى ضل مشروع الاسكان طريقه إلى الهدف الذى حدده الكونجرس الامريكى. فعلى الرغم من أنه من المفترض بناء هذه المساكن من أجل الكوريين الفقراء، فإن شاغليها جميعا تقريبا كانوا من البيروقراطيين وضباط الجيش العاملين فى خدمة رئيس جمهورية كوريا الجنوبية الدكتاتور بارك تشونج هى، وبدلا من أن تصبح هذه المنازل الكورية رمزاً للاهتمام الأمريكى بالمطحونين، استخدمها حاكم أوتوقراطى لمكافأة أولئك الذين ساعدوه فى إقامة حكمه المطلق».

وكان بطل حلقاتهما التالية من التحقيقات الصحفية هو هاوارد هيوز تلك الشخصية الشهيرة والذى يعتبر واحدا من أغنى الاشخاص فى العالم وأكثرهم غموضا. وكالعادة كان أداء بارليت وستيل لعملهما مختلفا، وصفته صحيفة انكوايرار فى معرض اشتراكها فى إحدى المسابقات بما يلى:

في حين كانت العادات الشخصية لهيوز، سواء كانت من وحي الخيال أو حقيقية، أكثر إثارة للافتنان، إلا أن صفقاته التجارية هي التي كان لها تأثير عميق على عمليات الوكالات الحكومية. وفي اعتقادنا أن الحلقات، قد سجلت للمرة الأولى، وبكثير من التفاصيل والوثائق، النفوذ واسع النطاق لمنظمة هيوز. وركزت الحلقات اهتمامها على النفوذ المفسد الذى تمارسه قطاعات الأعمال التى لاتخضع بوجه عام للإشراف من جانب الوكالات المستقلة أو الحكومية.

وقد جاء في مقدمة الحلقات أن متوسط ما أخذته امبراطورية هيوز من الحكومة الفيدرالية يومياً ولمدة عشر سنوات بلغ 1.7 مليون دولار.

وكانت حلقات التحقيقات الصحفية عن امبراطورية هيوز من الاهمية إلى درجة أن بارليت وستيل واصلا الكتابة فيها بعد موت هيوز في عام 1976، لتصبح نموذجا للتحقيق الصحفي عن السيرة الذاتية في كتاب بعنوان «الامبراطورية : حياة هوارد هيوز وأسطورته وجنونه». ويبدأ الكتاب بموت هيوز، ثم ينتقل إلى مولده، وبعد ذلك، يصبح إلى حد بعيد سرداً تاريخيا لأحداث حياته مرتبة حسب تسلسلها الزمنى.

إن ما جاء في مقدمة الكتاب من رسائل شكر يوجهها بارليت وستيل فيها كثير من السحر نظراً لما تنطوى عليه ضمنا من معلومات عن الطريقة التى كانا يعملان بها فهما يقدمان الشكر أولا إلى مصادرهما المجهولة، وثانيا إلى أمناء المكتبات في 39 مكتبة عامة وخاصة وجامعية تتراوح ما بين مكتبة الكونجرس إلى مكتبة مقاطعة سكوتلاند. وقد وجها شكرهما لكثيرين من أمناء المكتبات بالاسم، من بينهم تسعة من العاملين في مكتبة فيلاديلفيا انكوايرار ثم يوجهان شكرهما بعد ذلك إلى الكتبة في 12 محكمة، وموظفى العلاقات العامة في ست وكالات فيدرالية، وفي النهاية يقدمان شكرهما لأحد محللى الضرائب.

في القسم الخاص بالمصادر، يعطى بارليت وستيل أولوية خاصة لثلاث قضايا ناجمة عن استيلاء هيوز على شركة إيرويست Air West. اثنتان من الدعاوى القضائية

تشملان روبرت ماهيو، الرئيس السابق لعمليات هيوز فى نيفادا، واثنتان من الدعاوى القضائية قائمتان على اتهامات موجهة إلى هيوز بسوء إدارة شركة طيران ترانس وورلد إير لاينز Trans World Airlines، وجلسات استماع فى مجلس الشيوخ والنواب الامريكيين، وأربع فئات من التسجيلات الداخلية من منظمة هيوز.

انتقل بارليت وستيل بعد نشر كتاب هيوز، إلى موضوع نشر فى النهاية فى عام 1980 على حلقات بعنوان «فوضى الطاقة»، يدور حول اعتزام الحكومة إنفاق مليارات الدولارات فى تطوير مصانع للوقود الصناعى رغم أن هذه الحكومة نفسها تخلت عن مصانع مشابهة طوال ثلاثة عقود، واعتزام الحكومة التنقيب عن البترول فى مواقع غير سليمة، عن الحكومة التى تعمل يدا بيد مع الشركات متعددة الجنسيات لتصدير موارد الطاقة المتضائلة بسعر يقل عن نصف السعر المدفوع فى البترول العربى.

وكعادة بارليت وستيل، فانهما قدماً منظوراً يجعل من اليسير على القارئ رؤية الغابة بأكملها وليس مجرد شجرة واحدة فيها. وافتتحا الجزء الاول من هذه الحلقات على النحو التالى :

إن المستقبل ينذر بالخطر. فالأمة تواجه نقصا فى الطاقة، وبناء على طلب من الرئيس، فإن قطع البحرية تخفض من سرعاتها كما أن أصحاب المنازل والمشروعات التجارية أغلقوا ثيرموستات تنظيم الحرارة لتوفير الوقود والنائب الجمهورى ريتشارد ويلش أعرب عن قلقه الذى يشاركه فيه الكثيرون فى واشنطن إزاء تضاؤل الاحتياطيات البترولية. لقد أبلغ ويلش زملائه فى مجلس النواب أن «المعهد الأمريكى للبترول The American Petroleum Institute يقدر أن يصل الاحتياطى المحقق من البترول فى نهاية العام إلى مايقرب من 20 مليار برميل سنويا وهو فى زيادة مضطردة. وهذا يعنى أن مالدينا من احتياطى محقق سوف يستنفد فى أقل من 12عاماً».

كان ذلك فى عام 1947.

ومنذ ذلك التاريخ أنتجت الولايات المتحدة 92 مليار برميل من البترول - أى مايقرب من خمسة أضعاف حجم البترول الذى قالت أوساط صناعة البترول منذ البداية أنه يوجد فى باطن الأرض. واليوم تقدر أوساط صناعة البترول والحكومة على السواء احتياطى البلاد من البترول بـ 27.1 مليار برميل- أى بزيادة 7.1 مليار برميل عن عام 1947، وهو مالايسمح حتى بتلك الكمية التى تم ضخها من باطن الأرض والتى تبلغ 9.2 مليار برميل.

وإذا كان يبدو لنا من ذلك أن تقديرات احتياطى البترول فى البلاد لاعلاقة لها بما هو موجود فعلا فى باطن الأرض، فهنا تماما تكون القضية.

ومن البترول انتقل بارليت وستيل إلى الطاقة النووية. واستغرق استكمال الحلقات التى ظهرت فى عام 1983، 18 شهراً وقطعا خلالها 20 ألف كيلومترات فى رحلات عمل، وأجريا مئات اللقاءات الصحفية وجمعا 125 ألف صفحة أو نحو ذلك من الوثائق. وتقدم بطلبات لاعادة طبع هذه الوثائق 40 ولاية أمريكية ودولة أجنبية على الأقل.

وكما حدث فى الحلقات الأخرى لبارليت و ستيل، أثارت الحلقات عن النفايات النووية، رغم ماحظيت به من تقدير، انتقادات فى أوساط الصناعة المعنية، غير أن هؤلاء النقاد لم يثبتوا على الإطلاق وجود أى خطأ فى الحقائق، كما أن صحيفة انكوايرار لم تضطر إلى نشر أى تصحيح فى هذا الشأن.

وكانت هذه أصل فكرة كتاب «مزيد من التفاصيل : النفايات النووية فى الولايات المتحدة». وتثبت مقدمة الكتاب إلى أى مدى كانت قدرة بارليت وستيل، بمساعدة من رئيس التحرير الرئيسى ستيف لافلادى وغيره من العاملين فى صحيفة انكوايرار، على شرح المسائل العويصة :

تلك السلاحف التى تزحف على ضفاف نهر سافانا بالقرب من ايكين اس سى Aiken S. C. محملة بالاشعاع. وبالمثل تلك المياه الموجودة فى البئر الذى يخدم

مزرعـة لودى ان. جى Lodi N. J. وبالمثل أيضـا حفرة الصرف الصحى التى تمر عبر الشـارع فى إحدى الحدائق الصناعية فى جنوب شرقى هيوستون. لقد كانت هذه السـلاحف والمياه والتربة خالية فى وقت من الأوقـات من الإشعـاع، ولكنها الآن ملوثة بسبب الجهل والإهمال فى تناول المواد المشعة. بل والأهم أنها أعـراض على عـجز الحكومـة وأوساط هذه الصناعـة عـن السيطرة عـلى النفـايات النووية، وهى جملة تعنى سلة النفايات لعشـرات من أكثر المواد المصنعة المميتـة تقـريبا وذات السمية طويلة المفعول.

فاز بارليت وستيل بجائزة بوليتزر الثانية عن حلقات التحقيقات التى نشرت فى عام 1988 عن القوانين الخاصة التى يتقدم بها أعضـاء الكونجرس لمساعدة بليونيرات مجهولين على التهرب من الضرائب.

للوهلة الأولى، بدا أن هذا الموضـوع قـد يكـون مملا، ولكنه وحـتى بعـد أن قـضى بارليت وستيل أكثر من عشرين عاماً يكتبون التحقيقات الصحفية ذات الموضوعات المعقدة التى لايجرؤ صحفى آخر على الخوض فيها، فإنهما يعتبران موضوع الذين يتمتعون بمعاملة خاصة من الضرائب أهم خبطاتهم الصحفية.

يقول ستـيل: «لقد شعرنـا طوال الوقت بأننا مثل علماء المصريات، فقط لمجرد محاولة المساس بالقانون». غير أنه بفضل إصرار بارليت وستيل الذى لايلين، مقترنا بالتقنيات التى استخدماها والتى تسللت إلى عدد لايحصى من الصحفيين من تلامذتهما، تمكنا بالفعل من هدم هذا القانون.

لقد بدأ الدويتو تحقيقهما الشاق بفحص قائمة للجنة المالية بمجلس الشيوخ الأمريكى تضم أسماء نحو 650 من المستفيدين بما يسمى «القواعد الانتقالية» التى تم إدماجها فى ثنايا تعديل تشريع الضرائب. وكانت هذه القواعد تستثنى أعمالاً تجارية معينة وأفراداً معينين من الإذعان لقانون الضرائب.

ولايوجد هناك صحفى آخر غيرهما يستطيع النظر بصورة منتظمة فيما وراء قائمة الأسماء الغامضة، مثل اسم نورث بيير تيرمينال وشركة لا ايزلا فيرجين. ولا يوجد

غيرهما من يقوم بمقارنة قائمة اللجنة مع القانون الذى يقع فى 900 صفحة، لمعرفة ما إذا كانت القائمة غير مكتملة.

وبالفعل لم تكن القائمة مكتملة، فقد اكتشف بارليت وستيل، وكانا قد أوشكا على الانتهاء من تحقيقاتهما، أن هناك آلاف الشخصيات الثرية ومئات الشركات ذات النفوذ قد جاء ذكرها ضمن من يستفيدون من هذه المحاباة الضرائبية الخفية.

وحتى يتسنى لبارليت وستيل كشف هوية هذه الشخصيات والشركات الكبرى، قاما بحل ألغاز المصطلحات التشريعية بدون مساعدة من لجنة الضرائب فى الكونجرس، بل وحتى فى عداء ظاهر منها أحيانا.

وكانت هناك مادة بعينها فى القانون نصها كما يلى: «إن التعديلات التى أدخلها القسم 201 لن تطبق على سفينة الركاب التى يبلغ طولها 562 قدما، والتى تم شراؤها عام 1980 بغرض إعادة السفينة إلى الخدمة فى الولايات المتحدة، والتى تبلغ تكاليف تجديدها تقريبا نحو 47 مليون دولار.

وقد تبين أن هذه الفقرة التى أدرجت فى قانون الضرائب بواسطة أحد أعضاء الكونجرس منحت مستثمرين أثرياء فى شركة SS Monterey إعفاء من ضرائب تصل قيمتها إلى 8 مليون دولار وبطبيعة الحال لم يكن لدى بارليت وستيل فى بداية الأمر أى فكرة عن تلك السفينة المقصودة بهذا الاستثناء، وعن هوية هؤلاء الذين نجحوا فى الحصول على معاملة خاصة وكيف تسنى لهم ذلك.

وحتى يتسنى لبارليت وستيل تحديد الشخصيات المجهولة، قاما بالبحث فى هيئة الأوراق المالية والبورصة الجمركية، وفى سجلات الشركات فى مجالس الولايات، وفى الدعاوى القضائية، واجراءات إشهار الافلاس، وبيانات الافصاح المالية لأعضاء الكونجرس وفى قاعدة بيانات الكمبيوتر التى تغطى آلاف الصحف والمجلات والنشرات الاخبارية والتقارير الحكومية وما إلى ذلك. ولم يتمكن بارليت وستيل من جمع أجزاء تحقيقهما معا وكتابة الحلقات إلا بعد مرور 5 أشهر من العمل المتواصل.

وحتى مع كل هذا العناء فى البحث، فإن الموضوع رغم أنه كان مهما فقد كان من المحتمل أن يكون مملا، ولكنه كان أبعد مايكون عن الملل فالجزء الأول منه يبدأ على النحو التالى :

«تصور إذا أردت، أنك أب طويل وأصلع لثلاثة أولاد تقيم فى نورث ايست فيلاديلفيا فى أحد المجمعات السكنية وتكسب رزقك من بيع الألومنيوم الجانبى للأبواب. وتخيل أنك تذهب إلى عضو الكونجرس فى دائرتك لتطلب منه إدخال نص فى القانون الفيدرالى للضرائب يستثنى الأب الطويل والأصلع لثلاثة أولاد... من دفع ضريبة الدخل على مبيعات الألومنيوم الجانبى للأبواب، وتخيل أكثر من ذلك أن عضو الكونجرس فى دائرتك كان متعاونا، ويقوم بكتابة الاستثناء ويدرجه فى التعديل التشريعى القادم. وتخيل بالفعل أن هذا الكونجرس يوافق على هذا التعديل ليصبح قانونا. يالك من إنسان محظوظ !».

بعد ذلك قدمت القصة نبذة عن أشخاص موسرين من ذوى النفوذ الواحد تلو الآخر ممن حظوا بمعاملة خاصة. وكانت كل حالة دراسة من هذه الحالات تحقيقا صحفياً مصغراً متميزاً، يتجاوز قدرات ومهارات معظم الصحفيين. وقد تلقت الحلقات - بعد إعادة طبعها - فى 44 صفحة قطع صغير طلبات تجاوزت 50 ألف طلب للحصول على نسخ منها.

بل إن هذه الحلقات - على عكس معظم الجهود المبذولة فى التحقيقات الصحفية - ساهمت قليلا فى تغيير العالم. فقد جاء فى نشرة إعلامية لشركة آرثر اندرسن وشركاه للمحاسبة عندما بدأت لجنة الضرائب بالكونجرس فى النظر فى وضع مزيد من المحاباة الضرائبية فى قانون جيد، أنها تشعر بالقلق من قيام بارليت وستيل بتحقيقات إضافية. وكان من نتيجة ذلك أنه لم يتم تفصيل نص قانونى واحد على الاطلاق مرة أخرى.

وفى عام 1990، عاود بارليت وستيل دراسة محاباة الكونجرس للاثرياء، فقد حظى آخر مرسوم للميزانية الفيدرالية بالثناء لما تضمنته الميزانية من عدالة فى جمع

الضرائب من الاغنياء ولكن بارليت وستيل، على عكس الكثير من السياسين والصحفيين، قرأوا التشريع الذى جاء فى أكثر من ألف صفحة، وقارنوه بمرسوم الإصلاح الضريبى لعام 1986، وخلصا إلى أنه بالفعل فرض زيادات ضريبية على الطبقة الوسطى، بينما كانت الزيادات بالنسبة للصفوة وهمية على المدى الطويل.

واليوم، يعمل بارليت وستيل فى تحقيق آخر لصحيفة انكوايرار. كما وقعا على عقد مع دار النشر سايمون وسوستر لكتابة تاريخ حياة نيلسون روكفيللر. وكان روكفيللر قد أبدى اهتماماً بهما أثناء الحلقات التى قاما بكتابتها فى عام 1974، عندما اكتشفا أنه يقوم بادارة برنامجه الشخصى للمساعدات الخارجية لأمريكا اللاتينية.

إن التحقيقات الصحفية التى يقوم بها هذا الدويتو يبدو أنها لاتقف عند حد. يقول ستيل: «لقد حاولنا دائما الفصل بين عملنا فى التحقيقات الصحفية وكتابة الكتب» ويضيف بارليت قائلا «إنه من الاهمية بمكان أن يكون لك شريك يقذف إليك بالأفكار والمعلومات طوال الوقت أثناء العمل فى مشروع مطول. كما أن هناك ميزة أخرى لعمل اثنين من المحررين معاً لدى تعاملهما مع مسئولين غير متعاونين. فإذا انتابنى شعور بالسأم من أحد البيروقراطيين المتمنعين أو التنفيذيين فى الشركات عن تلبية طلب لى لبعض الوثائق، كان جيم يبادر بالتحرك ويسعى للحصول على المعلومات من زاوية أخرى».

أما ستيف لافليدى الذى كان مديراً لتحرير أعمال بارليت وستيل فى صحيفة انكوايرار منذ البداية تقريبا، فإنه يتمنى أن يظلا يعملان إلى الأبد، فهو معجب أشد الاعجاب يما يتمتعان به من إصرار، ولإداركهما أن الطريق الذى سيسيران فيه نحو الحقيقة طريق طويل، والمعرفة الوفيرة بالموضوع قبل قيامهما بأى لقاءات صحفية أساسية. كما أن إعدادهما للموضوع يعتبر نموذجا يحتذى من جميع الصحفيين. يقول لافليدى «مثلهما مثل المحامى الحصيف. إن دون وجيم لايرضيهما إلا الحد الأقصى من الاجادة. لاتسأل أبداً أى سؤال لاتعرف أنت إجابته».

إننا نستطيع أن نستخلص من كتاب بارليت وستيل «خلاصة الحكمة عبر العصور» مايلى :

- اعمل دائما على جمع معلومات تفوق كثيرا ما يمكن أن تستخدمه. فالواقع أن المعلومات المعاونة ينبغى أن تكون متناسبة على نحو هندسى مع كل فقرة مكتوبة. والمهارة هنا تتمثل فى أن تعرف متى يكون لديك الوثائق الكافية، وتكون قد أجريت اللقاءات الصحفية الكافية التى تمكنك من إثبات وجهة نظرك.
- لدى تعاملك مع كم هائل من المعلومات، فان الكمبيوتر يساعدك فى تخزين البيانات وتحليلها، غير أن الكتابة بخط اليد على نماذج أوراق العمل تعتبر أفضل فى استخلاص المؤشرات الرئيسية من الوثائق الواحدة تلو الأخرى. بعد ذلك، لابد من استخراج نسخ من أكبر عدد ممكن من الوثائق المساندة، ذلك لأنه من الصعب عليك أن تعرف أيها سيكون مهما لتحقيقاتك. ففى بعض الأحيان لانعرف كيف اختفت على نحو ما فيما بعد وثائق مهمة من ملفات أحد المصادر، أو كيف وضعت وثائق أخرى فى غير مكانها فى مخازن إحدى الوكالات.
- إن هناك بعض الموضوعات التى لن يكون من السهل إطلاقا حل طلاسمها. وفى هذا الشأن يقول بارليت وستيل عن بحثهما فى قضية النفايات النووية:

> إن مهمتنا كانت معقدة ليس فقط بسبب صعوبة الموضوع وإنما أيضا بسبب اختلاف وجهات النظر بين الخبراء إزاء المسائل الحساسة مثل كيفية عزل النفايات وإزاء كمية الاشعاع التى يجب ألا يسمح بتعرض الجمهور لأكثر منها. وعلاوة على ذلك أن الموضوع برمته كانت تحيط به مشاعر قوية يثيرها كل شئ يمت بصلة إلى الطاقة النووية. فالاشعاع النووى، مثله مثل موضوعات الاجهاض أو السيطرة على حيازة الأسلحة أو عقوبة الاعدام يعتبر من الموضوعات التى يتمسك كل إنسان فيها بوجهة نظره. إن تنحية المتطرفين فضلا عن أصحاب المصالح فى الدوائر العلمية والسياسية، والصناعية والبيروقراطية الحكومية.... عملية مضنية.

■ إن مايصل إلى 95% من المعلومات التى تستخدمها يمكن العثور عليها فى السجل العام. ولكن التحدى هو جلبها وتحليلها ومحاولة الخروج بشئ له معنى منها، ونادراً مايكون العمل فى هذا المجال مريحا أو باعثا على البهجة، إذ أنك تجلس فى أحد المبانى المخصصة للمكاتب، باحثا فى جبال من الملفات لاتعنى شيئا لمن ليس لديه معلومات عنها. والشئ الوحيد الذى يغريك بالاستمرار هو إدراكك أن الكلمات المتقاطعة ... ستجد مكانها الصحيح فى نهاية الأمر. إن سجلات العمل اليومى عادة لايكون فيها شئ يشد انتباهك ولكن تحليل أداء مؤسسات العمل الاجتماعى الكبرى لابد أن يجئ عن طريق القيام شخصيا بفحص السجلات العامة.

(ستيف واينبرج : هو مؤلف ومحرر ومدرس بجامعة ميسورى وهو أيضا الرئيس التنفيذى لنقابة IRE).

الفصل الثانى

أن تكون مخبراً أفضل

إن معظم المهارات التى تستخدمها فعلا - مثل الملاحظة، وإجراء اللقاءات الصحفية، وحسن الاستماع للآخرين، بل وحتى التفكير - يمكن زيادة إتقانها إلى حد كبير. وهذا الفصل والهوامش الجانبية التى تأتى فى نهايته تقدم لك تفصيلات عن عدد من الطرق التى تشحذ القدرات فى مجال أداء التحقيقات الصحفية.

يعتبر جميع المخبرين محققين، ولكن ليس جميع المحققين من المخبرين. ذلك أن المحقق بحاجة إلى أثر يتعقبه من عوامل التحقيق يقود بدوره إلى عوامل أخرى فى التحقيق تؤدى فى نهاية الأمر إلى نتائج ناجحة. أما إذا لم يكن ثمة عوامل للتحقيق، فعلى المحقق السلام.

وهنا تجئ مهارات المخبر. أى ذلك الشخص الذى لديه القدرة على رسم لوحة لمنظر طبيعى لم يره على الاطلاق من داخل غرفة مظلمة. وهذا هو الفرق بين الصنعة والفن.

«الفقرة السابقة اقتباس من مذكرة لجميس باريت يتم توزيعها على المحققين فى مكتب التحقيقات الفيدرالى».

إن المحققين الصحفيين، مثلهم فى ذلك مثل معظم المحققين فى أى من مهن الكشف عن الأسرار، عادة ما يكتشفون ماحدث، لأن هناك فى نهاية الأمر شخص ما قرر أن يفضى إلينا بالسر. و أحيانا يصادفنا الأمر برمته مسجلا فى بعض الوثائق، مثل مخطوطات المحاكم أو اتفاقيات التسويات لجهاز الايرادات الداخلى IRS، ولكننا عادة بحاجة إلى شخص يبوح لنا بالسر.

ولكن كيف يكون الحال إذا لم يتكلم أحد؟

أو لنفترض أن الجميع يتكلمون، ولكن ليس هناك منهم من لديه الصورة التى ينقلها إلينا لأنها ليست لديهم هم أيضا؟

إن العثور على الحقائق واستخلاص استنتاجات من بين العديد من الحقائق هى جوهر عملية الكشف. وتأمل معى : إن بناء بيت خشبى يحتاج إلى 180 عرقا خشبيا، ولكن وجود كومة من عروق الخشب فى الفناء لاتمثل بيتا خشبياً ولن تصبح كذلك مطلقا مالم يشكلها شخص لديه الاصرار والمهارة لتصبح شكلا مفيداً ومنطقيا.

التفكير والخروج باستنتاجات

يعتبر التفكير فعلا طبيعيا تماما. وغير الطبيعى أن يندر حدوثه - هذه جملة مقتطفة من كتاب كارين روزينبلوم - كيل «تعليم مهارات التفكير : دراسات اجتماعية».

إن الخروج باستنتاجات يعتبر بالنسبة للصحفيين مهة شاقة بصفة خاصة. إننا كصحفيين مبتدئين، لم نتلق سوى القليل من التدريب الاكاديمى على التفكير. كما أننا نشغل أنفسنا بقلب الهرم فى مناهج الدراسة الخاصة بالاخبار الصحفية، ثم العودة بها إلى وضعها الصحيح فى مناهج الدراسة الخاصة بالتحقيقات، ونقوم بحفظ أسماء من اخترع هذا النوع من حروف الطباعة وغيرها من الشذرات فى تاريخ الصحافة،

ونرهق أنفسنا فى تصميم إعلان فكاهى عن الاسبيرين، ونتعلم الفرق بين الرقم الاسمى والترتيبى، وتحميض الصور ونقد الصحافة المنشورة والمرئية لمعرفة إلى أى مدى أفسدت وسائل الاعلام المجتمع (أفسدته كثيرا كما تبين لنا).

والواقع أننا تدربنا على عدم الخروج باستنتاجات بشأن المعلومات التى نقوم بجمعها. إن الحقائق تكفى، شكرا لك. ويظل ذلك هو دأبنا حتى بعد الهبوط إلى أرض الواقع فى وظائفنا. وهنا أيضا تصدر إلينا التوجيهات، وبالقوة فى هذه المرة، إن الحقائق تكفى، وشكرا لك، ولا سيما إذا استطعت وضعها باحكام وبريق فى مساحة 12 بوصة أو كما هى اليوم 8 بوصات.

وقد جرت التقاليد، وحتى يومنا هذا على أن الموضوعين الوحيدين اللذين يمكن أن يسمح فيهما بتقديم التحليل والتفسير هما الرياضة والسياسة. وتعتبر التعليقات فى مجال التقارير الصحفية السياسية من التطورات الحديثة نسبيا، التى نشأت بعد أن اتضح لنا أن هذه الخدع السياسية ليست سوى مباراة أخرى لايستطيع المشاهد فهمها بدون تفسير وتحليل.

وفى مثل هذا النظام المعتمد على المكافأة ، لم يعد التفكير فى حقيقة الاشياء رفاهية. إنه شئ معوق، وعلى الذين يتعذر عليهم التخلى عما اعتادوا عليه أن يتركوا مجال الصحافة إلى مجال يحصلون منه على أموال كثيرة فى المؤسسات الصناعية الأخرى،أما إذا اختاروا الاستمرار، فسوف يتحولون إلى تلك الاقسام من الصحيفة حيث يكون التفكير له مكافآته. ولما كان هذا الكتاب معنى بالتفكير وليس بكيفية تحقيق الثروة ، فإننا سنتوقف لنرى ما الذى يقوله المحققون الصحفيون المحترفون فى الصحافة، وما يقوله العاملون فى مهنة أخرى، بصفة خاصة عن كل مايتعلق بأفضل المخبرين.

لنبدأ مشوارنا بالوصف الذى قدمه ويليام دينشتاين فى عام 1952 عن «الكشف عن الحقائق والكشافين» (يوجد تنويه كامل عن المؤلف والكتاب الذى أنقل منه بعض الفقرات فى نهاية الفصل).

يحدد دينشتاين، وهو يضع بالتأكيد الصحفيين نصب عينيه عندما كتب هذا الكتاب، صفات المثابرة، والذكاء، والاستقامة باعتبارها الصفات الثلاث الأولى اللازمة للكشف عن الحقائق. وهو يعنى أيضا بالاستقامة، أن يكون لدى المحقق «رغبة صادقة فى الوصول إلى استنتاج قائم على الحقائق.... فهو (أو هى) يجب أن يكون أميناً مع نفسه ومع الآخرين فى نفس الوقت». وتتمثل الصفة الرابعة المطلوبة سلفا فى المعرفة بالأشخاص. أى القدرة على فهم الدوافع وأن يكون لديه مهارة إقناع الناس بأن يثقوا فيه. وفى النهاية يحذر دينشتاين من أنه حتى لو كنا نتمتع بكل الصفات التى أشار إليها سلفا، فقد لايكون ذلك كافيا. «إن المحقق يجب أن يهب نفسه تماما لعمله، أما إذا كان من الاشخاص الذين يفضلون العمل ساعات منتظمة، فلا أمل هناك له(أو لها) فى أن يصبح محققا جيداً. إن التحقيق يتطلب التفكير والتنفيذ، التنفيذ القائم على التفكير المستمر».

والآن لقد عرفنا ما الذى يحتاجه الأمر. يجب أن نكون أمناء فى عملنا، وأن نعمل بجد وأن نشحذ تلك المهارة الضامرة فينا ألا وهى التفكير.

ولكن ماذا هناك لنفكر فيه؟

وكيف يكون التصرف إذا ماقررنا التفكير فى الأمر؟

أستطيع، بعدما قرأت العشرات والعشرات من المقالات والكتب عن وسائل الكشف عن الحقائق، والتحرى وبعدما شقيت فى أنشطة التحقيقات الصحفية لاكثر من عشر سنوات، أن ألخص الاجابة على تلك الاسئلة فى جملة واحدة (طويلة جدا) علينا أن ننظر إلى كل الاشجار الموجودة فى الغابة، ثم ننظر إلى الغابة كمجموعة من الأشجار، ثم العودة مرة أخرى للنظر إلى كل شجرة على حدة، والعودة من جديد لمفهوم النظر من فوق إلى الغابة فى مجموعها. إنه لمما يثير الدهشة فعلا، أن أفضل الكتب التى تتناول موضوع الكشف عن الحقائق لم يكتبها العاملون فى جهاز الغابات الامريكى!.

نعم هم لم يكتبوها غير أن هناك بعض الأفكار الممتازة التى يقدمها لنا المحققون المتمرسون فى مجالات أخرى، وجميع هذه الأفكار تتضمن شحذ مهارات نستخدمها

طوال الوقت وجعلها أكثر حدة - مثل القراءة، والنظر، والاستماع، وجمع الحقائق وتنظيمها، وخلال كل هذه الانشطة لابد لنا من التفكير، والتفكير، والتفكير.

القراءة من أجل البحث عن أدلة

إن المؤرخ سرعان مايعرف أن كلمتى «قرينة» و «واضح» نادرا ما تعنيان نفس الشئ، هذا مايقوله جيمس ديفيدسون ومارك لايتل فى كتابهما «ما بعد الحقيقة: فن الكشف عن الحقائق التاريخية».

من أفضل الكتب التى تناولت موضوع «التحقيقات» ماكتبه المؤرخان جيمس ديفيدسون ومارك لايتل، اللذان قدما كتابا بأسره يستهدف تعريف المؤرخ كيفية الغوص فيما يتجاوز الحكمة التقليدية حتى يتسنى له معرفة ماذا جرى حقيقة ولماذا.

فعلى سبيل المثال، دعنا نلقى على المؤرخين دون أن يشعرا نظرة أثناء قيامهما بأداء شئ من الاشياء التى يتباهى بعملها معظم المحققين الصحفيين - ألا وهو اقتفاء اثر إحدى الأوراق. لنأخذ واحدة من وثائق تأسيس هذه البلاد (امريكا). إعلان الاستقلال Declaration of Independence، وهى وثيقة لا نستطيع بالتأكيد أن نجد فيها شيئا جديداً، كلا إن الأمر ليس كذلك. فقد ظل ديفيدسون ولايتل على مدى 25 صفحة يكتبان بالتفصيل بما يؤكد أن الدراسة المتشككة والمدققة لوثيقة ما والأحداث التى سبقت إصدارها يمكن أن يؤدى إلى بعض التفسيرات والاستنتاجات التى تتنافى مع الحدس:

- فعلى الرغم من أننا نحتفل بإعلان الاستقلال يوم 4 يوليو، فانه ليس هو التاريخ الذى أعلن فيه الامريكيون المستوطنون تحررهم من التبعية لانجلترا. والمرسوم الفعلى للاستقلال صدر يوم 2 يوليو وتبعته المذكرات التفسيرية بعد يومين [1].
- إن كونجرس المستعمرات لم يكن يجرى تصويته على الوثيقة الفعلية المحفوظة فى مبنى الأرشيف القومى، National Archives Building. بل كان بالأحرى يصوت

على اقتراح قدم فى 7 يونيو. ولم يكن الإعلان سوى شرح للأسباب التى من أجلها قررت المستعمرات الانفصال.

- هل تذكر لوحة جون ترامبول John Trumbull التى يظهر فيها جميع أعضاء الكونجرس فى المستعمرات التى تشكلت منها فيما بعد الولايات المتحدة الامريكية حاضرون للتوقيع على الاعلان، جميعهم وإلا تعرضوا للشنق وعرض جثتهم وهى تتأرجح فى الهواء، كل على حدة وما إلى ذلك؟ هذا لم يحدث على الاطلاق. بل ربما لم يكن هؤلاء السياسيون الماكرون موجودين أبداً فى نفس الغرفة فى نفس الوقت ومع كل هذا، فإنه يبدو أن الإعلان لم يتم التوقيع عليه رسميا إلا فى 2 أغسطس وليس 4 يوليو.
- وكما نتوقع أن يحدث عندما يعرض أحد الموضوعات التى كتبتها على مؤتمر من رؤساء التحرير شاهرى أقلامهم، فقد أعيد تحرير مشروع إعلان الاستقلال الذى كتبه توماس جيفرسون بشكل جذرى [2]. إذ أنه تم اختصار ربع الاعلان، وكذلك أجريت 86 عملية إعادة تحرير إضافية، بما فى ذلك العمليات التى قام بها جيفرسون بنفسه - الذى كان يكافح، بلا شك، من أجل أن يتفادى كل الأضرار المحتملة من جانب هؤلاء الذين قد يقومون بإعادة تحرير الوثيقة [3].

يقدم لنا ديفيدسون ولايتل هنا أربعة «تكتيكات لها تفسير» لدى فحص الوثائق الحساسة :

- اقرأ الوثيقة من أجل التعرف على محتواها الظاهرى فالمؤلفان يلاحظان على سبيل المثال، أن المؤرخ الدبلوماسى سوف ينظر إلى الأمور بصورة تختلف كثيرا عن نظرة واضع النظريات السياسية، وكلاهما ربما يفوته أشياء بسبب تحيزهما أو لما تمليه عليهما المهنة التى ينتميان إليها. وهكذا فانه من المنطقى، حسبمايقول المؤلفان، اتخاذ خطوة إلى الوراء والتصدى للوثيقة أولا مثلما قد يفعل المستمع غيرالناقد. «وبعد الانتهاء من هذه القراءة المباشرة، فإن المؤرخ لن يقوم على الأرجح

باستخلاص فقرة معينة من النص، ويبالغ في إعطائها أهمية على حساب بقية الوثيقة».

- قد يمكن إلى حد ما التوصل إلى فحوى الوثيقة، بالتساؤل عما كان من الممكن أن تقوله، ولكنها لم تقله، فعلى سبيل المثال، كان جيفرسون قد حَمّل، في مسودة مبكرة للوثيقة، ملك انجلترا مسئولية العبودية في أمريكا. وقد تم حذف ذلك. كما أن الوثيقة لم تهاجم البرلمان الانجليزي، الذى كان هو قبل كل شئ، مصدراً لمعظم المشكلات في المستعمرات. إن «ماهو ليس موجودا في الوثيقة» يمدنا ببعد نظر تجاه الوثيقة والرجال الذين كتبوهاوحرروها وصدقوا عليها.
- إن الوثيقة يمكن فهمها عن طريق إعادة تمّثل العوالم الفكرية فيما وراء كلماتها. وتتمثل هذه النصيحة في محاولة تفهم القوى التي تملى إرادتها على القائمين على إعداد الوثيقة. «إن تفهمنا للعالم الفكرى الذى تنشأ في ظله الوثيقة - أي أن تقوم في الواقع، بتعقب الانساب التي تنتمى إليها- يجعلنا نفهم الوثيقة ذاتها بشكل أفضل».
- قد نفسر الوثيقة وفقا للطريقة التي استخدمت بها في المهمة المحددة لها. لماذا يقول إعلان الاستقلال ما يقوله وبالطريقة التي يقولها؟. ومن خلال الفحص والتنقيب عن الخلفيات، قد يتكشف لنا إلى من توجه هذه الوثيقة بالفعل. فعلى سبيل المثال، يوجد في إعلان الاستقلال أقسام موجهة إلى الفرنسيين (نوافق على أن تقدموا لنا المساعدة الآن)، والمواطنين الانجليز (إننا مازلنا نحبكم ولكن حكومتكم هي التي أجبرتنا على ذلك)، والمحامين (إليكم المبرر القانوني لمثل هذا العمل غير القانوني)، وملك انجلترا (لو كنت لاتظن أننا ذاهبون، فما عليك إلا أن تعد الأيام وتجدنا قد ذهبنا)، وهكذا دواليك.

وهناك نقطة عامة وهي أن الوثيقة ذاتها قد تكون ذاخرة بالمعلومات لو أننا غصنا فيها لأبعد من النص. والصحفيون الذى جاهدوا من أجل إدراك الموضوع الذى ينطوى عليه أي تقرير نصف سنوى للمفتش العام يتفقون فلسفيا على العمل بهذه النصيحة.

وكذلك، حسبما يشير ديفيدسون ولايتل فى موضوع آخر من الكتاب، فالحقائق لاتكفى وحدها. فلابد لك من إيجاد رابطة بينها، ثم تخرج منها بعد ذلك بشئ منطقى. ومن ثم فان التفسير والتحليل من الأمور الجوهرية (وهذا هو الفرق بين المحرر الصحفى وبين جهاز التسجيل).

ويكفى هنا الحديث عن اقتفاء الآثار فى الأوراق، وننتقل إلى النظر فى جوانب أخرى فى عملية كشف الحقائق، مثل الملاحظة، والاستماع، والذاكرة والحكم على الأمور، والتعلم من الآخرين سواء فى داخل المجال الصحفى أو خارجه.

وضوح التفكير

إن المخ هو العضو البشرى الذى يوازن بين السلوك وبين البيئة المركبة. كما أنه أيضا عضو له أوجه قصوره. ولكننا نتوقع المزيد منه كلما أصبحت المجتمعات أكثر تعقيدا وكلما زاد الطلب وارتفعت آمال الفرد والمجتمع، ومع ذلك فالمخ يتعذر عليه ببساطة أن يرى الحقيقة... إننا يمكن أن نرى بوضوح أن الآخرين يخطئون ولكننا نظل عاجزين تماما عن رؤية ما هم فيه من قصر نظر، بل إننا أحيانا نستطيع أن نرى، فى إدراك متأخّر قصر نظرنا نحن. إننا معرضون حتما للجوء إلى الفهم، ومبتلون على درجات مختلفة بخداع النفس، وضعفاء أمام الإيحاء وتأثير نظرائنا علينا، تضللنا المعتقدات واللغة بسهولة، محاصرون داخل ذواتنا، ويعمينا إحساس الأمان الزائف الذى يمنحه الوعى العام لأى نوع من المخلوقات تجاه ما هو يشير الرضى عادة - فيليب جى. ريجال «تحليل قوة التمييز».

على الرغم من وجود كثير من الكتب التى تتحدث عن كيفية التفكير بشكل أفضل، وأسرع، وأعمق، وأطول، وبصورة خلاقة وما إلى ذلك، فإنك لن تكون بحاجة إلى قراءة كتب بعد ذلك فى هذا المجال بعد قراءة كتاب رودولف فليش Rudolf Flesch الذى كتبه عام 1951 بعنوان «فن التفكير الصافى [4]».

وهذا المؤلف بطبيعة الحال، هو نفس المؤلف الذى وضع لنا ذلك الاختبار الكريه الذى يسمى اختبار فليش Flesch Test والذى يستطيع الكاتب فيه عن طريق صيغة بسيطة معرفة إلى أى مدى وصل ما نكتبه إلى درجة تتجاوز مستوى تفكير قرائنا، وهو مايحدث عادة، حسبما يقول اختبار فليش.

غير أن هذا الكتاب المشار إليه، عبارة عن مناقشة صغيرة ورائعة، وإن كانت فى استطراد عن كيفية التفكير بوضوح.

إن فليش يتحاشى المنطق الرسمى على النحو الذى تعلمه معظمنا فى الكلية (غير أنه يمتدح منطق بولين Boolean، وما عليه إلا أن يفعل ذلك، لأسباب أخرى)، ويشير إلى أن جميع المفاهيم المنطقية الخاطئة يمكن التعرف عليها إذا ما سألنا أنفسنا «وماذا بعد؟» أو «حَدّد بالضبط».

وإليك المثال التالى، الذى اختصرته قليلا، عن تحليل قطعة من النثر، باستخدام طريقة فليش لاختراق الضباب.

فيما يلى مقتطفات من مقالة تنتقد استخدامات معينة لمرسوم المعايير العادلة للعمل Fair Labor Standards Act (الذى يحظر تشغيل الاطفال قبل سن السادسة عشر، ولا سيما بالقرب من الآلات الثقيلة). إن كاتب هذه المقالة أحد الناشرين وأصحاب المطابع ممن اتهموا بانتهاك القانون. وهو يشتكى من أنه أجبر على استخدام آلة باهظة الثمن بدلا من الاطفال. وحتى أسهل الأمر عليك، سأضع عبارة «وماذا بعد» و «حدد بالضبط» فى أماكنها الصحيحة.

مؤخراً..... دخل على محتدا (وماذا بعد؟) رجل له وجه يشبه النسر المحنوز (وماذا بعد؟) يحمل حقيبة منتفخة (وماذا بعد؟) تقدم ببطء (وماذا بعد؟)... لقد جاء من وزارة العمل للتفتيش...

لقد اقتحم علىّ باب مكتبى بقوة، ليدلف منه فى صخب ستة وعشرون صبيا تتراوح أعمارهم مابين تسعة عشر عاما نزولا إلى سبعة أعوام... وسألنى «ماهؤلاء».

شرعت فى الرد عليه.... إنهم مجموعة من طلبة المدرسة العليا يهبطون علينا عادة بعد انتهاء اليوم الدراسى، وعادة مانسمح لخمسة أو ستة منهم (حدد بالضبط العدد، والسن وفترات تشغيلهم)، للإنضمام إلى فريق العاملين(حدّد بالضبط ما تدفعه لهم من أجور) ونقدم لهم عصير التفاح والحلوى، وبرامج الاذاعة والكثير من التسالى (وماذا بعد؟) لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يومين أو ثلاثة أيام فى الأسبوع (حدد بالضبط الفترات الزمينة).

وتقول لى زوجتى موضحة، «إنه نوع من النشاط الشبابى الخاص». (حدد بالضبط مم يتكون هذا النشاط». ذلك إنهم عندما لايعملون لدى، ترى الكثيرين منهم منتشرين فى الشوارع بلا هدى بل ويتسببون فى كثير من المشاكل (وماذا بعد؟) ولكنهم عندما يعملون لدى يكسبون بعض المال... ويقضون وقتا طيبا (وماذا بعد؟).

وبالطبع ليس من الصعب استكمال المثال لأبعد من مجرد (وماذا بعد؟) وتقديم الحقائق الناقصة فى هذه القضية. غير أنه فى هذه الحالة، كانت البيانات متوافرة ومن ثم استطيع أن أكتب لك هذا المقتطف، مع استبعاد كل ماليس له صلة بالموضوع وتحديد كل ماهو غير محدد. إليك هذا النص الجديد لهذا المثال:

«جاءنى مؤخراً رجل من وزارة العمل للتفتيش..

لقد فتح باب المكتب بعنف، ليدلف منه فى صخب ستة وعشرون صبيا تتراوح أعمارهم مابين تسعة عشر عاما وسبعة أعوام.. وسألنى «ماهذا؟»

شرعت فى الرد عليه قائلا: إنهم مجموعة من المدرسة العليا يهبطون علينا عادة بعد انتهاء اليوم الدراسى، ونقوم بانتظام بتشغيل عشرة من الصبية أعمارهم تقل عن ستة عشر عاما فى عملية طى الأوراق. وكان منهم واحد عمره 11 عاما، واثنان عمرهما 12 عاما وثلاثة عمرهم 13 عاما، وأربعة عمرهم 14 عاما. وكانت أجورهم تتراوح مابين 16 سنتا و35 سنتا فى الساعة. وكان أحد

الصبية من ذوى الأربعة عشر عاماً يعمل ليلا حتى الساعة 11.30، وصبى آخر عمره ثلاثة عشر عاماً يعمل حتى الساعة 11.00.

والآن تستطيع أن تعيد معظم الصفات التى يفندها فليش بمجرد أن تجلس لتكتب موضوعا. ومع ذلك، فإنه من المفيد كثيرا تفنيد كل صفة منها فى سعينا للتوصل إلى ماهو مهم وما هو غير ذلك لمعرفة ماحدث حقيقة.

التبصر فى التفاصيل

مرة، قبل عدة شهور تحدث إلىّ أحدهم عن أن تكون «مهتما بالفعل» موضحاً أن ذلك هو الفرق الوحيد بين المخبر الكفؤ وبين المحتال، كما أنها الوسيلة الوحيدة المضمونة التى يمكن لأى واحد منا استخدامها. إن عبارة «أن تكون مهتما بالفعل» كانت تعنى له أشياء ليس لها نفس المعنى بالنسبة لى. فقد كانت تعنى لى أن تظل عيناي مفتوحتين، والانصات باهتمام لما يقوله أحد الشهود، وأن أتساءل دائما عما إذا كانت معلومة ما لم تظهر فى أحد التسجيلات، وأن أظل متيقظا للاصوات والتحركات المتغيرة والمتداخلة فى المنطقة عند تفقدها- (مقتطف من كتاب جوزيا طومسون بعنوان «جامشو: تأملات فى عين خاصة»).

ما هو السبب فى أن رجال الشرطة والمخبرين الخصوصيين ماهرون فى وصف الأشخاص ونحن ليس كذلك؟ هل لأن رجال الشرطة أكثر ذكاء؟

كلا، بل إن ذلك يرجع إلى أنهم أمضوا الوقت الكافى فى اكتساب هذه المهارة أما نحن فى مجال الصحافة فلا.

إن رجال الشرطة يستطيعون أن يستعيدوا صفات شخص بأن طوله نحو خمسة أقدام وبوصتين، وعيناه زرقاوان، وشعره بنى، ووزنه نحو 110 أوقية، يرتدى بنطلون جينز أزرق، وقميص كاروهات أحمر وأخضر وأسود، وحذاء بنى اللون قديم، وله تقاطيع مميزة منها.. أيا كانت. هل تستطيع أنت ذلك ؟

إليك هذا الاختبار كتجربة.

دون على قطعة من الورق وصفا للحجرة التى تجلس فيها الآن وضع كل التفاصيل عن هذه الحجرة بحيث يستطيع القارئ أن يتعرف عليها بمجرد أن يمر بها للمرة الأولى. ولكن افعل ذلك بدون أن تنظر حولك فى الحجرة.

كم هو وصف ردئ أليس كذلك؟

أو لتجرب هذا. دون وصفا تفصيليا لزميلك الجالس أمامك ولكن دون أن تنظر إليه، بما فى ذلك وصف مايرتديه اليوم من ملابس وبدون أن تنظر إليه أيضا.

هل هى نفس النتيجة! إن هذه الاختبارات هى بمثابة مهام يسيرة، فالحجرة اعتدت الجلوس فيها مرات لاتحصى والزميل الجالس أمامك هو زميل حميم.

إن عملية الملاحظة تعتبر من المهارات، مثلها تماما مثل الكتابة أو ركوب الدراجة، ولاتوجد مهارة من تلك المهارات يستطيع المرء أن يصل إليها بدون التدريب، والفشل، والتدريب، والنقد، والتدريب، والنجاح ثم التدريب والتدريب والتدريب ثم التدريب.

حاول فى المرة الثالثة التى يأتى إليك فيها أحد الزملاء أثناء انشغالك فى الكتابة على الكمبيوتر ليمتعك بعرض آخر موضوع كتبه عليك لترى كم هو ممتاز! توقف عن الكتابة على الكمبيوتر وادرس هذا الزميل أو الزميلة بالفعل وبعناية. وبعد أن يغادرك هذا الزميل ورغم ماتشعر به من ضيق لهذا القطع المفاجئ لاستغراقك فى العمل، دون على الكمبيوتر وصفا لهذا الزميل، وفى وقت لاحق، الق عليه أو عليها من جديد نظرة فاحصة وقارن ماتراه بما كتبته.

قم بهذه العملية مرة واحدة على الأقل كل يوم، وسوف تجد ازدهارا فى قدراتك على الملاحظة والوصف. كما أن زملاءك سوف يتوقفون عن مضايقتك وأنت تستغرق فى عملك!.

وعلاوة على ذلك، فإن التفكير فيما تراه مهم أيضا، إن مفتاح حل المشكلات، حسبما يرى فليش وغيره، هو العثور على أدلة ظاهرة تماما للعيان، يطلق عليها «المعرفة

العامة » والاستفادة منها . وحتى يتسنى لنا رؤية هذه الأدلة حقيقة، لابد من أن ننظر إلى ماينظر إليه الآخرون جميعا بطريقة مختلفة.

وإليك مشكلة يرددها فليش كثيرا . أنت الآن فى حجرة بها منضدة وثلاث علب صغيرة. ويوجد فى هذه العلب بعض الشموع الرفيعة والقصيرة، والمسامير والثقاب. ويوجد على المنضدة دبابيس للورق، وأوراق، وخيوط دوبارة، و قلم، وأوراق من رقائق القصدير، ومنافض سجائر، وأشياء أخرى متفرقة، والمطلوب منك أن تضع ثلاثة من الشموع جنبا إلى جنب على الباب عند مستوى النظر، فكيف ستفعل ذلك ؟.

يقول فليش فى هذا الصدد «ستجد أن الحل بسيط للغاية بمجرد أن تعرفه. وهو أن تفرغ العلب الثلاثة وأن تدقهم فى الباب ليصبحوا كالمنصة للشموع. والآن لماذا يبدو التفكير فى ذلك شديد الصعوبة؟ إن الاجابة واضحة : إن العلب الثلاث «أسيرة» فى هذا الموقف المشكلة. وما عليك إذا أردت حل هذه المشكلة، إلا أن «تطلق سراح» هذه العلب.

إن فليش هنا يقدم لنا توجيهات إلى البحث عما قد يبدو لأول وهلة عاملاً أساسيا ، وإن كان غير وثيق الصلة بالمشكلة، أن تعثر على أى أنماط غير مناسبة.

شحذ الذاكرة

دخلت فى يوم من الأيام إلى إحدى الغرف. لنقل إن لون الغرفة أبيض، رغم أن لون الغرفة قد يوحى إليك بعدم وجود لون لها على الاطلاق، يظهر بباب الغرفة رجل ويقف أمامك ويسأل، «مامعنى ذلك؟ »ثم يمضى فى إطلاق صوت أربع نغمات موسيقية. دا، دا، دا، (توقف) دام - ويعزف هذه النغمة الأخيرة بصوت منخفض عن النغمات الأخرى.

ويبادرك بالقول «هيا قل لى : ماذا تعنى هذه النغمات؟ تهز أنت كتفيك قائلا: إنها لاتعنى شيئا ».

يضحك هو ويقول «لاشئ ؟ إذن فأنت لاتتمتع بأذن موسيقية».

تحاول أنت الدفاع عن نفسك قائلا : «لقد أخرجت من فمك أربع نغمات فقط - دا، دا، دا، (توقف) دام - والنغمة الرابعة منخفضة عن باقى النغمات. فكيف يتسنى أن يكون لذلك أى معنى ؟» يبتسم الرجل ويقول :«إنك بحاجة إلى خيال حتى تتذوق سماع الموسيقى». بعد ذلك يبدأ فى تسليك حنجرته ويطلقها بنفس النغمات الأربعة، ولكنه يقول هذه المرة النغمات الثلاث الأولى دفعة واحدة وتجئ الرابعة، المنخفضة أيضا عن باقى النغمات، ولكن بدون التوقف: دا، دا، دا، دوم». وعلى الفور تتعرف على النغمات : إنها السيمفونية الخامسة لبيتهوفن.

وهكذا امتلأت الغرفة، فجأة، بالنور. والمعنى من هذه الطرفة حكاها اتش. ال. جودول فى كتاب «تكسية الأرض الموعودة : السيرة الذاتية لمخبر تنظيمى كباحث فى أصول الأجناس الثقافية».

هل حدث لك مثل ذلك من قبل؟ أن تذهب أنت واثنان من المحررين الصحفيين الآخرين إلى اجتماع مع كبار رؤساء التحرير لمناقشة مشروع نحيل وضئيل كتبته فى تواضع على مساحة 450 بوصة.

سيقول لك رؤساء التحرير أن رواية الحرب والسلام نشرت فى كتاب، وليس على حلقات فى الصحف. ومن ثم يطلبوا منك ومن زملائك ضرورة اختصار تحقيقك الصحفى بمقدار الثلثين. بل وربما أكثر من ذلك.

بعد ذلك يقترحون عليك خلال 40 دقيقة أو نحو ذلك الاختصارات الممكنة.

تعاود أنت وزملاؤك الاجتماع فى الكافيتريا لتلعنوا قرار رؤساء التحرير وتندبوا حظكم فى العمل. وعلى الفور يصبح من الواضح أن ثلاثتكم لاتستطيعون الموافقة على ماقيل، وخاصة عندما يتعلق الأمر بتمزيق أحشاء الجزء الخاص بما بذلته من جهد فى كتابة التحقيق.

والواضح أن اختيار الذكريات المزعجة يحدث لنا طوال الوقت وربما كان ذلك هو مصدر معظم الخلافات فى العمل وفى البيت.

ويعتبر الإنصات والاستماع بدقة، مثل قوة الملاحظة من المهارات أيضا - فسماع نغمة نشاز فى اللحن الحقيقى من الأشياء الشائعة التى تحدث لنا جميعا.

وبطبيعة الحال، ينهى شريط التسجيل أى مناقشة. كما أنه يمكن استخدامه فى المساعدة على تحسين الذاكرة.

وماعليك، بعد أن تجرى لقائك الصحفى التالى المسجل، إلا أن تعود إلى مكتبك وتكتب اللقاء دون الاستماع إلى شريط التسجيل أو الرجوع إلى مذكراتك، بما فى ذلك التصريحات التى تظن أنك تتذكرها بدقة.

ثم بعد ذلك قارن ما كتبت بما فى شريط التسجيل، وسوف تدهش لما حدث لك فى فترة قصيرة نسبيا من تحسن فى ذاكرتك.

وبالنسبة للمحرر الصحفى، يعتبر الإنصَات أهم من التسجيل واجترار الأقوال بدقة. ذلك أنه من المفترض أن اللقاء الصحفى هو حديث موجه تقوم أنت بتوجيه دفته.

ونظراً لأن إجراء اللقاء الصحفى يعتبر رياضة مشاركة نشطة، فإنه يمكن استخدام شريط التسجل أيضا لمعرفة مدى نجاحك فى أداء الجزء الخاص بك فى تسهيل تناول الحديث والاستفادة القصوى منه.

استمع إلى شريط التسجيل لمعرفة كيف كان تصرفك أثناء اللقاء. هل قاطعت الحديث فى وقت كان فيه يسير بصورة طيبة؟ وهل فشلت فى الحصول على الإجابة التى كنت ترجوها من سؤال وجهته؟ وهل غفلت عن توجيه سؤال متابعة كان من الممكن أن يؤدى إلى نوع من التبصر أو الشرح المطلوب؟.

وتستطيع أيضا أن تستخدم هذا الأسلوب ولكن بواسطة إنسان حقيقى.

اصطحب معك فى أحد اللقاءات الصحفية، زميل لك. اعطه سؤالا أو سؤالين ليسألهما للضيف، ولكن لاتنسى أن المهمة الحقيقية لهذا الزميل هى مراقبتك وتدوين

ملاحظات عن كيفية أدائك. وبعد عودتكما إلى المكتب، تستطيع أن تجرى معه مناقشة مفيدة ستؤدى فى النهاية إلى تحسين مهاراتك فى إجراء اللقاءات الصحفية. (احرص على أن يكون هذا الزميل من أصدقائك المقربين، وأن يعدك بعدم الثرثرة مع الآخرين حول أدائك، إلا إذا كان سيشيد بحذقك ومهارتك).

التفكير فى أمور مهمة

إن التحقيق هو عملية استدلال منطقى قبل أن يكون سلسلة من المهام السرية (مقتطف من أقوال ديفيد بيندر وبول بيرجمان فى كتابهما «التحقيق الأساسى: بدءا من الافتراض حتى الإثبات»).

إن مجرد جلوسك للتفكير مليا فى الجوانب المختلفة لمشكلة ما، سواء مع نفسك أو مع زملاء، يعتبر نقطة بداية طيبة فى فكرة تحقيق صحفى.

فبرغم أن هناك تحقيقات كثيرة مهمة ومشهورة ولدت من رحم سؤال بسيط ولكنه قوى، فإن المثال المفضل لدى فى هذا الشأن أوردته فى الطبعة الأولى من كتاب «دليل المحرر الصحفى : دليل المحقق الصحفى عن الوثائق والتسجيلات».

فى عام 1976، سأل المحرر الصحفى ديفيد بيرنهام سؤالا بسيطا ومخادعا فى نفس الوقت أسفر فى نهاية الأمر عن تحقيق على درجة كبيرة من الأهمية.

فقد كان أحد المبررات القوية التى يسوقها مناهضو تطوير واستخدام المصانع التى تدار بالوقود النووى هو أن هذا الوقود قد يتعرض للاختطاف من جانب إرهابيين ويستخدم فى ابتزاز الحكومة، بل وحتى فى صنع أسلحة نووية. ويقوم المتحدثون الحكوميون بشكل روتينى باستبعاد هذا الخطر، غير أن بيرنهام تساءل عما يحدث لو أن أى كمية من هذا الوقود اتضح أنها مفقودة فعلا.

بعدها توجه إلى هيئة الطاقة الذرية، وكانت هى الجهاز الرائد الذى أصبح الآن وكالة التحكم فى الطاقة النووية، لتوجيه هذا السؤال إليهم. وكانت الاجابة، ليس هذا من شأنك.

ولكن بيرنهام عاود، فى إصرار، توجيه سؤاله إلى الوكالة بناء على مرسوم حرية تداول المعلومات وبعدها بدأ طريقا طويلا من الالحاح واستخدام وسائل المتابعة، ومن نوبات الغضب المحسوبة بدقة، واستخدام الأنواع المناسبة من الضغوط والمناشدات. وقد نال جزاء مثابرته: فبدلا من توقعه أن تكون الكمية المفقودة لا تزيد عن بضع أوقيات، فقد ذهل إنها لاتقدر حتى بالكليو جرامات بل بالأطنان.

التفكير بإمعان

إن التفكير النقدى بعنى «التمييز بين الحقائق التى يمكن إثباتها وبين قيمة الادعاءات، وتحديد مدى الوثوق فى ادعاء أو مصدر. وتحديد مدى دقة تصريح، والتمييز بين الادعاءات التى لها ما يسوغها والادعاءات التى ليست كذلك. والتمييز بين المعلومات أو الادعاءات، أو الأسباب التى لها صلة بالموضوع وبين ماليس له صلة، واكتشاف الانحياز، والتعرف على الافتراضات الثابتة وغير الثابتة، والتعرف على الادعاءات أو النزاعات الغامضة أو الملتبسة، والتعرف على التناقضات المنطقية وتحديد مدى قوة وجهة نظر محددة». (مقتطف من كتاب لبارى كى. بيار بعنوان "Improving Thinking Skills Practical Approaches" تحسين مهارات التفكير- طرق عملية، فى دلتا كابان، ابريل 1984).

مما يتردد بصفة مستمرة فى صحف الولايات المتحدة القول : إننا نريد أن تصبح الصحيفة أكثر وداً مع القارئ. والواقع أن رؤساء التحرير يقصدون بذلك اختصار الموضوعات إلى النصف بحيث لاتزيد مساحتها عن 20 بوصة، وأصبحت الموضوعات

التى تحتل مساحة 10 بوصات هى المعيار. ولا يمكن لأى موضوع أن يتخطى هذه المساحة. لقد أصبح الموضوع القصير هو سيد الموقف.

ضع ذلك نصب عينيك. أنه فى عام 1992، نشر دون بارليت وجيمس ستيل تحقيقا صحفيا كبيراً متعدد الحلقات فى صحيفة فيلادليفيا انكوايرار بعنوان« ماذا دهاك يا أمريكا؟ ». وقدأدى نشر هذه الحلقات اليومية إلى قفز التوزيع إلى 10 آلاف نسخة يوميا. وتلقت الصحيفة أكثر من 200 ألف رسالة. وكان الموضوع هو : سياسات الضرائب فى الولايات المتحدة. إن هذا المثال أزال بلا رجعة الزعم بأن القراء لن يحتملوا الموضوعات الطويلة والجادة. بل إنهم سوف يحتملون. وما عليك إلا أن تلتقط الموضوع الذى يمس حياة الناس ومتابعته بطرق جذابة.

إن الصحف خلقت لخدمة القراء. وطول التحقيق ليس هو العنصر الرئيسى الذى يحدد مدى جاذبيته لدى القراء وإنما أهمية الموضوع ذاته.

إن المحررين الصحفيين الذين يعملون فى ظل ظروف يعتبر فيها طول الموضوع هو المحك يعيشون فى جو يجعل التفكير أمر يستحق العقاب. ويجب أن يتعلم رؤساء التحرير فى هذه الأماكن مرة أخرى أن يفكروا، وأن يحدوا من استخدام المقصات الاليكترونية، حتى يستطيع محرروهم العودة إلى التفكير مرة أخرى.

تدريبات على التفكير

يحتاج التفكير النقدى إلى بعض الوقت حتى يتسنى للمرء فهمه وتطبيقه جيداً. فنحن بحاجة إلى فهم أفضل للقوى الايديولوجية فى المجالات العلمية والاكاديمية، ولكن النظام التعليمى الأعلى يفتقر إلى الترابط وعادة لا تكون له فائدة كبيرة.

يبدأ فيلم «الكون الخاص» Private Universe لشركة بيراميد فيلمز Pyra-mid Films بمشاهد لحفل تخرج فى جامعة هارفارد. يسئل الخريجين لماذا يصبح

الجو أكثر حرارة فى الصيف؟ ويخطئون فى الاجابة عندما يقولون إن ذلك يرجع إلى أن الارض تصبح أقرب إلى الشمس. ويمضى الفيلم ليثبت أن الناس، حتى الصفوة المتعلمة، يمكن أن تخفق فى فهم شئ ببساطة النموذج المادى للمجموعة الشمسية لانهم يفسرون المعلومات المباشرة على أساس فرضيات أساسية غير سليمة.

إن إيمان الآباء والأقران والمعلمين أو عدم إيمانهم بأنه من الممكن ألا نعتبر التفرد المسئول والموضوعية الشخصية مجرد شعارات، يمكن أن يؤثر على اتجاه وقوة آمال المرء وتطلعاته وثقته فى نفسه. إن كلمة التفرد تعتبر كلمة مقدسة فى تقاليدنا المتوارثة، ومن ثم فإننا دائما ما نذكرها فى تملق كاذب فى أحاديثنا. إذ أن لدينا الكثير من موروثات الغرور. ولكن للأسف، أن الكثير مما نسمعه ونتوقعه من بعضنا البعض وما نتعلمه بالفعل يعوق فينا تنمية مهارة التفكير والتصرف المستقل - (فقرة مقتطفة من كتاب فيليب جى. ريجال، «تحليل الحكم على الأمور The Anatomy of Judgment».)

دعنا نجعل من الاعلان المختبر اليومى للتدريب على التفكير النقدى، أو اختراق قشرة الخداع لرؤية الأشياء على حقيقتها. إليكم هذان المثالان :

- لقد احتسيت البيرة فى كل الأماكن فى هذا العالم. فى البيوت، والبارات، والمطاعم وفى كل مكان تقريبا تقدم فيه البيرة. وغالبا ماتكون من النوع الذى يعلن عنه كثيرا فى التليفزيون. ولم يحدث مرة أن جعلنى احتساء البيرة أكثر وسامة أو جاذبية جنسية، سواء فى نظر نفسى أو فى نظر الآخرين، وهو على النقيض بما توحى به الاعلانات عن البيرة. ولم يحدث إطلاقا أن يؤدى اختيارى لبيرة بودويزر إلى جذب اهتمام امرأة جميلة فجأة بى حسبما توحى به صراحة الاعلانات. وأعترف أنه فى أيام شبابى، عندما كان استهلاكى منها بكميات أكبر كثيرا، تصل أحيانا إلى حد الاعتداء على تقاليد المجتمع، كنت ألاحظ أن

المحيطين بى يصبحون أكثر جمالا وأكثر جاذبية كلما زاد استهلاكى من البيرة، ولكن لايصل ذلك إطلاقا إلى الدرجة التى تصورها إعلانات التليفزيون.

- لو أننى اشتريت زوجا من أحذية من ماركة اير جوردان Air Jordan، فلن يجعلنى ذلك أكثر قدرة على السير بنفس الطريقة التى اعتاد مايكل جوردان السير بها فى الهواء دون عناء. إلا إذا تسببت فى إصابة نفسى. ولقد اعتدت أن ألعب كرة السلة، منذ زمن بعيد عندما كان القفز والتصويب إلى السلة فى نفس الوقت من المفاهيم المثيرة التى يفضل أن تترك للآخرين القيام بها.

لايضيرنى فى شئ أن أستمر فى استخدام حلوى النعناع من الفجر حتى الغروب، أو أرتدى أفضل ماركات البدل، أو القمصان أو ربطات العنق، أو أطوق خاصرتى بحزام ماركة فروت أوف ذا لوم Fruit of the Loom، ومع ذلك فان كل هذه الاشياء لاتزيد من شعبيتى فى صالة التحرير عما هى عليه الآن. ولكن ليست هذه هى الرسالة التى نتلقاها ولا هى الرسالة التى نتصرف بمقتضاها عندما ننفق نقودنا فى مركز التسوق.

وكما هو الحال بالنسبة لجميع المهارات التى نوقشت فى هذا الفصل - وهى الملاحظة، والاستدعاء من الذاكرة، والتفكير الصافى، لايجب علينا الجلوس فى انتظار تلك اللحظات الصحفية النادرة حتى نقوم بتحسينها. إننا لانملك ولا نحتاج إلى أن نقلل كثيرا من فرص الاستفادة مما لدينا، ذلك أن الفرص تدق بابنا بشدة يوميا بل فى كل ساعة،وإذا ما أعطيناها القليل من الاهتمام والوسيلة، فإننا سنكون أفضل عندما تجئ إلينا الفرصة التالية لممارسة تلك المهمة التى ارتضيناها لأنفسنا.

وضع فرضيات

يعتبر وضع الفرضيات أهم وسيلة ذهنية بالنسبة للمحقق (ومن الوظائف المهمة لوضع الفرضيات) مساعدة المرء على رؤية معنى شئ ما أو حدث ما لن يكون لهما أى معنى بدون تلك الفرضية. فعلى سبيل المثال، إن العقل المدرب على

فرضية الحركات البحرية سيكون أقدر على التقاط ملاحظات ذات مغزى فى مجال الرحلات البحرية أكثر من العقل غير المدرب. ومن ثم يجب أن يستغل وضع فرضيات كأداة لكشف حقائق جديدة وليس كهدف فى حد ذاته (فقرة مقتطفة من كتاب دابليو. أى. بى. بيفريدج «فن التحقيق العلمى The Art of Scientific Investigation».

إن أفضل مشروعات التحقيقات الصحفية تشترك فى الكثير مع أفضل التقاليد العلمية- ففى كليهما توضع الفرضيات، ويتم البحث عن قاعدة للبيانات لمعرفة ماذا نشر فى هذا المجال من قبل، وتجرى اللقاءات ثم تليها كتابة الأوراق (وتلك هى مرحلة التجربة بالنسبة للتقاليد العلمية)، ويتم الموازنة بين السلبيات والايجابيات لهذه الفرضية، وتوضع الاستنتاجات بشأن الأدلة المتجمعة، ثم ينشر التحقيق [6].

إننى أورد هذه الملاحظة البديهية لأصل إلى نقطتين :

1- مازالت هذه هى أفضل وسيلة للتوصل إلى «ماحدث».

2- إن مشاريع التحقيقات الصحفية تبدأ وتنتهى بوجهة نظر. بمعنى، أن التحقيق الصحفى الجيد يبدأ من موقع، أو فرضية أو فكرة أو إخبارية بأن هناك شئ ما غير سليم ويجب التحقق من ذلك. إننا لانخدع سوى أنفسنا، وليس فقط قراءنا ولا نخدع بالتأكيد هيئة الادعاء عندما نقول إنه ليس لدينا وجهة نظر، بل والأسوأ أن نقول إن المقالات التى نكتبها محايدة بصورة أو بأخرى. إنها ليست كذلك، ولا يجب أن تكون ذلك. إننا نشرع فى كتابة تحقيق عن فكرة ما. ونكتب تقريرا عما توصلنا إليه ونرهق أنفسنا فى شرح ماذا يعنى. إن هذا هو العلم الجيد والصحافة الجيدة ولا يجب أن نخجل من اتباع هذا الطريق ولا نهرب منه.

إن رؤساء تحرير الصحف عندما يعلنون على الجمهور أن صحفهم لا تقول سوى الحقائق، فإنهم يقدمون استثناء لم يتم الوفاء به على الاطلاق، ولا حتى فى أقصر مقال عن آخر اجتماع لمجلس إدارة المكتبة، والذى قد يكون عمل صحفى حافل إلى درجة

مذهلة بالآراء الثمينة: فالمقال بطبيعة الحال أقصر كثيرا من الحدث الفعلى، والتصريحات الواردة به ليست سوى مقتطفات متفرقة مما قيل بالفعل، والمقدمة التى توجز للقارئ عادة ما هو مهم، غالبا ما تختلف عما قد يرى المشاركون فى الاجتماع إنه مهم - إن أى تقرير لابد أن ينطوى على عملية تقطير ينفذ خلالها حكم المحرر الصحفى على قيمة الأحداث التى تقع أمامه.

وهذا لايعنى أننا لسنا بحاجة لأن نكون «على حق» فى تحقيقنا. بل يجب علينا أن نكون «على حق» بشأن الحقائق وأن نعمل بنفس الجد على إثبات المتناقضات مثلما نعمل على إثبات الفرضيات [7]. وبعدها نستطيع أن نقول للقراء لماذا توصلنا إلى الاستنتاج الذى نقدمه، حتى يتسنى لهم الاتفاق أو الاختلاف معنا.

اختبار سلامة الفرضيات

إن فيشهايمر كان يعلم كل ذلك. يعلم أن المخبر ليس من أبطال المنطق. ولهذا كان استمتاعه كبيرا بمحاولاتى المبكرة فى بلورة قضية عن طريق قراءة الملف وإعادة قراءته. إنه يعلم أن عالم المخبر ليس ذلك العالم المضئ الذى كان يعيش فيه فلاسفة القرن التاسع عشر، ولكنه عالم بمثابة كابوس يكون فيه الحدس والفرصة أهم من دقة المنطق. (فقرة مقتطفة من كتاب جوزايا تومسون «جابشو : تأملات فى عين خاصة فاحصة»)

إن اختبار صحة فرضية ما، يتم فى ثلاثة أماكن - أثناء التدريبات الذهنية التى نجريها فى المكتب، وفى الطرق التى نسير فيها للتحقق من صحة ما قاله لنا أناس فى ضوء مايقوله لنا آخرون، ثم فى الورق الذى سنكتب عليه مايثبت أو يدحض ماقيل لنا.

إن ذلك يحتاج بالفعل إلى عمل شاق. إنه جهد يبذل لمعرفة ماهى الأسباب التى تجعلنا نصدق أو لانصدق ماقيل لنا. إنه ذلك الجزء المطول من التحقيق والذى نتسرع بالمعاناة عندما نقوم باختصاره.

البحث عن متشككين

إن مناقشة مشكلة ما مع زملائنا أو مع أشخاص غير متشككين قد تكون له فائدة من بين عدة فوائد

أ- إن الشخص الآخر قد يستطيع الإسهام باقتراح مفيد.

ب- قد تنشأ فكرة جديدة نتيجة لتجمع معلومات أو أفكار شخصين أو أكثر.

جـ- إن المناقشة توفر وسيلة جيدة لاكتشاف الأخطاء.

د- إن المناقشة وتبادل وجهات النظر ينعش المرء عادة ويحفزه ويشجعه.

هـ- إن أفضل وظيفة للمناقشة هى أنها تساعد المرء على الهروب من العادة الثابتة للتفكير والتى ثبت عدم جدواها، ألا وهى التفكير المشروط. (فقرة مقتطفة من كتاب دابيلو. أى. بى. بيفريدج. «من التفكير العلمى»)

بعد عودتنا إلى المكتب، هناك طريقتان، لاختبار قيمة ماتوصلنا إليه - وهما الحديث والكتابة.

يميل الصحفيون من كتاب التحقيقات الصحفية إلى تجنب مشاركة الآخرين فيما توصلوا إليه، إلا عندما يشارف التحقيق على الانتهاء. وهذا خطأ. إن من الحكمة أن نتبادل الحديث مع رؤساء تحريرنا أو بعض الأشخاص الآخرين الذين نختارهم فى صالة التحرير وذلك بصفة منتظمة، مما قد يؤدى إلى مزيد من التبصر ويساعدنا فى تجنب الخطأ أو السهو.

إن صحافتنا تستفيد دائما من المواجهة مع التشكيك الذكي، بل وحتى من النفى المباشر سواء كان نفيا من طرف غاضب أو موال. إننا دائما نستفيد من معرفة الجوانب السلبية قبل نشر شئ ما، أكثر مما نستفيد من ذلك بعد النشر. بل والأفضل أن نقوم بتعديل، و«تصحيح» ما نعرضه حيثما كان ذلك مناسبا قبل النشر. (أنظر العمود الجانبى 5-1 بقلم توم هامبورجر صفحة 232).

الكتابة فى وقت مبكر وطوال الوقت

هناك وسيلة مفيدة تساعدنا على تفهم مشكلة ما بوضوح، ألا وهى كتابة تقرير حول كافة المعلومات المتوافرة. إن هذا يساعد المرء عندما يكون فى بداية إجراء التحقيق، وعندما تواجهه صعوبة ما أو عندما يكون التحقيق على وشك الانتهاء. كذلك من الأمور المفيدة عند بداية التحقيق وضع أسئلة لما تسعى للحصول عليه من إجابات. إن تحديد المشكلة بدقة يسير بالمرء خطوات كبيرة نحو حلها. (فقرة مقتطفة من كتاب دابليو. أى. بى. بيفريدج. «فن التحقيق العلمى»).

وثمة خطأ آخر يتمثل فى تأجيل الكتابة إلى حين اقتراب التحقيق فى اعتقادك من الانتهاء. ذلك أننا لانعرف بوجود ثغرات أو بما استكمل إلا فى أثناء الكتابة. إن الكتابة هى كل ماتعنيه الصحافة وتأجيل الكتابة إلى النهاية دائما يكون خطأ.

هذا بالاضافة إلى أن هذه المسودات المبكرة تعتبر أدوات ممتازة لمعرفة ما اذا كان مانفكر فيه مهم وأن الطريقة التى ننقل بها مانفكر فيه تصل إلى القارئ. (مزيد من التفاصيل عن قيمة المذكرات الدورية فى الفصلين 6، 7).

الوصول إلى استنتاجات

إن الحقيقة بالنسبة لى ليست الوصول ببساطة إلى شئ من خلال تراكم الحقائق، أو من خلال النقاش الضيق لتعريف معنى الأشياء... الحقيقة بالنسبة لى جزئية دائما، ومعتمدة دائما على الموقع الذى نقف فيه عندما نراها، ومتشابكة تماما فى اللغة التى نستخدمها فى وصفها. (فقرة مقتطفة من كتاب اتش. ال. جودول «حماية الأرض الموعودة : السيرة الذاتية لمخبر صحفى كمؤرخ ثقافى»).

"Casing a Promised Land: The Autobiography of an Organizational Detective as Cultural Ethnographer".

إن الصحافة بأسرها تقريبا، تنبع من هذه المقولة : إننا لم نكن هناك ولم نر ماحدث، ومن ثم فعلينا أن نجمع أجزاء مالدينا من معلومات جنبا إلى جنب لتظهر لنا الصورة الكاملة.

إننا فى كثير من الأحيان نقدم مقالاتنا كما لو كانت هى الصيغ الوحيدة التى تحمل الحقيقة. ولكن يجدر بنا أن نؤدى عملنا بالمستوى الذى كان سيصل بأى كاتب آخر مدرب على كتابة التحقيقات الصحفية ولديه نفس مالدينا من حرية الوصول إلى الوثائق أو التسجيلات والمصادر إلى نفس الأشياء التى توصلنا إليها ويكتشف أننا لم نغفل شئ وخلص بما لامفر منه إلى نفس الاستنتاجات التى خلصنا إليها.

غير أن الاستنتاجات هى العنصر الرئيسى فى أى مناقشة.

ففى بعض الأحيان قد نصل بنفس مجموعة الحقائق المعروفة إلى استنتاجات متناقضة، كما أن أفضل نوع من الصحافة للتعامل مع هذه الحقائق بأن نعترف بوجودها، ونوضح للقارئ أنه يمكن دحضها أو تأييدها.

بل إنه من المهم للغاية فى بعض الأحيان إبلاغ القارئ بالاستنتاجات التى لا تستطيع التوصل إليها. وإليك جزءا من المقال الرئيسى المنشور فى الصفحة الأولى من «تقاليد الحرائق المتعمدة» وهو التحقيق الأخير الذى نشر لى فى صحيفة ستارتريبيون وفاز به لوكيلزر وكربس ايزون بجائزة بوليتزر للتحقيق الصحفى فى عام 1990.

تزدهر حاليا صناعة يتم فيها تداول ملايين الدولارات وتحقق أرباحها من الحرائق المتعمدة والحرائق المشبوهة فى سانت بول وذلك بمساعدة عدد من رجال الإطفاء المهمين. ومعظم هذه الأموال تدفقت على رجلين لهما صلة برئيس شرطة إطفاء الحرائق ستيف كونروى.

وقد أثبت التحقيق الذى نشرته ستار تريبيون طوال عام أن كونروى كان له دور فى نوع من التقاليد التى تترعرع فيها الحرائق المتعمدة. فقد سمح بالإهمال فى إجراء التحقيقات وسمح لرجال الإطفاء بتكوين شركة تمثل المتهمين باشعال الحرائق عمداً فى دعاوى المطالبة بالتأمين ضد الحريق.

هذا بالاضافة إلى أن اثنين من المدانين بالتآمر لاشعال حرائق متعمدة كان لهما فيما يبدو علاقات مع كونروى وشقيقه.

وقد صرح الدن بوه، خبير الحرائق الذى عينته صحيفة ستار تريبيون للتحقيق فى هذه القضية بقوله «لم أشهد فى حياتى مثيلا لهذه التجاوزات الموجودة فى إدارة إطفاء الحرائق فى سانت بول».

وكانت الحرائق قد انتشرت فى سانت بول لدرجة أن كونروى وشقيقه و15 من أصدقائهما ومعارفهما تعاملوا مع 51 حريقا خلال السنوات الـ 15 الماضية. وكان نصف هذه الحرائق تقريبا متعمد على نحو واضح، على الرغم من أن مرتكبيها مجهولين. وفى 24% من الحرائق الأخرى لم يستطع المحققون تحديد سبب اشتعالها.

وقد تدفقت أموال التأمين ضد الحرائق فى سانت بول والتى تصل إلى ملايين الدولارات على شركتين:

الشركة الاولى: Public Adjuster التى قام كونروى بتمويلها عن طريق مجموعة من القروض فى فترة الستينات بعد ترقيته من رتبة كابتن إلى رئيس إدارة الحريق بوقت قصير، وتقوم هذه الشركة، فى مقابل عمولة، بمساعدة ضحايا الحرائق فى جمع قدر مايستطيعون من شركات التأمين التى تعاملوا معها. وقد لجأت الشركة التى كان يرأسها ويليام جى (بيلى) هويلان، إلى الخداع والعلاقات فى تحقيق ما يصل إلى احتكار هذا المجال فى سانت بول. وقد استعان هويلان باثنين من الموظفين أدينوا فيما بعد بالتآمر على إشعال حرائق متعمدة، كما قامت الشركة خلال العامين الأخيرين فقط بتمثيل عدد من الأشخاص الذين تبين فيما بعد أنهم أشعلوا الحرائق عمداً فى ممتلكاتهم.

والشركة الثانية : وهى شركة كونروى للانشاءات Conroy Consruction Co.، ويديرها شقيقه بات. حصلت هذه الشركة الوهمية على عقود تزيد قيمتها

على مليون دولار لاصلاح تلفيات الحرائق حيث شقت هذه الشركة طريقها خلال فترة الثمانينات بمساندة من هويلان.

لكن كونروى يزعم إنه ليس له مصلحة مادية فى أى من الشركتين وهو زعم يؤيده أخوه وهويلان.

كان من بين أكثر من 100 حريق شبت خلال السنوات الست الماضية والتى استطاعت ستار تريبيون تأكيد تورط هويلان وبات كونروى فيها ، 32% منها وصفت بأنها متعمدة، 25% منها مشكوك فى أمرها ، و لم يبت فى أسبابها.

وهناك عامل أسهم فى نجاح هذه الصناعة فى سانت بول وهو إدارة إطفاء الحريق ذاتها.

فقد عمل لدى هويلان عدد من رجال الاطفاء فى سانت بول، من بينهم ثلاثة من مساعدى كونروى - وكانوا يقومون أحياناً بالشهادة لصالح أشخاص تشتبه إدارتهم ذاتها باشعالهم الحرائق عمداً.

وكان على الصفحة الأولى أيضا إشارة كتبت داخل إطار إلى مقال داخلى منفصل سلط الأضواء على الخلافات الرئيسية : "رد كونروى : ستيف كونروى يقول إنه لاعلاقه له بصناعة تتكسب من الحرائق المتعمدة والمشبوهة. وهو يدافع عن إدارته، ويصف محققيها فى الحرائق المتعمدة بأنهم أفضل محققين فى البلاد. ويقول شقيقه بات كونروى أن صحيفة ستار تريبيون تحاول أن تخرج بشئ من لاشئ. ويقول ويليام هويلان صديق كونروى، إنه حقق نجاحه فى الخدمة العامة من خلال العمل الشاق، وليس عن طريق الاتصالات وأنه لم يمثل عن معرفة مرتكبى إشعال الحرائق عمداً. وكان هذا الموضوع المنفصل منشور على عمود كامل.

أن تبدى شجاعة

وختاما، ثمة عنصر واحد أخير، ألا وهو الشجاعة. إنك بحاجة إلى قدر كبير من الشجاعة لترى الأشياء على حقيقتها فى الوقت الذى يهتم فيه الآخرون بأن ترى أنت

وغيرك الأشياء على غير حقيقتها. إنك بحاجة إلى قدر كبير من الشجاعة لاخضاع صحافتك وتقنياتك الصحفية للمقاييس التى أوصينا بها فى هذا الفصل. كما أن الأمر يحتاج منك إلى شجاعة كبيرة لنشر النتائج.

فى عام 1991، وخلال مؤتمر الكتابة الصحفية، بمساعدة الكمبيوتر الذى عقده المعهد القومى للكتابة الصحفية المتقدمة فى جامعة انديانا، كان أحد رؤساء تحرير صحيفة لوس انجيليس تايمز يشرح مشروعاً مؤثراً وخلاقا ومطولا عن تمويل حملة انتخابية قام هو بادارته. وبعد أن قام بتوضيح نوع المشكلات التى واجهها فى قاعدة البيانات الفيدرالية - البيانات القذرة، والبيانات الناقصة، والقضايا المتصلة بالاطار الزمنى، انتقل إلى مناقشة «مشكلة التشهير» :

لقد دأب أحد أصدقائى على القول بأنه كان يرى أن دوره كمدير تحرير هو التعامل مع المحامين وأنه كان لديه انطباع بأنه من المفترض أن يدافعوا عنه عندما يذهب إلى المحكمة، حسنا، لقد كان ذلك فيما مضى. أما فى الجهة التى أعمل بها، فان دور رؤساء التحرير هو العمل على إبعادنا عن المحكمة. كما أنه يوجد لدى الآن محامون ينظرون فى تحرير كل سطر فى مسودات المواضيع قبل نشرها فى الصحيفة للتأكد من أننا لانعرض أنفسنا للمثول أمام القضاء فى دعاوى قضائية يرفعها ضدنا الاشخاص الذين سنزعم الآن انتهاكهم لقانون الانتخابات فى وقت لم توجه إليهم الحكومة الفيدرالية تهمة ارتكاب هذه الجريمة.

ماهو الخطأ فى هذه الصورة؟ أشياء كثيرة.

أول كل شئ، أن الضمان الوحيد والاكبر لعدم تعرضك لرفع دعاوى قضائية ضدك هى ألا تنشر موضوعك، لأنه فى الولايات المتحدة، يستطيع أى إنسان، مقاضاتك، أى إنسان تقريبا على أى شئ تقريبا.

إن غـاية مـايسـتطيع المحـامى فى مـجـال الاعـلام هو أن يبلغك بالاحـتـمـالات. الاحتمالات بأن هذه الكلمة أو هذه الجملة أو هذه الفقرات قد تعرضك لدعاوى قضائية، واحتمالات تعرضك للمحاكمة، واحتمالات كسب أو خسارة القضية. وهذا هو كل شئ. إنهم لايستطيعون أن يمنعوا عنك بالتأكيد التعرض للمقاضاة، إلا لو استخدموا فى ذلك المقصات الاليكترونية التى تستبعد المواد الخطرة من موضوعك.

لامانع من أن يبدى المحامون رأيهم تجاه مسودة موضوعك من حيث النواحى القانونية. ولكن يجب ألا يغيب عنك أبدا أوجه القصور التى سيجئ بها المحامون لهذه المهنة.

فعلى سبيل المثال، لم يتدرب المحامون على أن يعرفوا الانصاف. إنهم لم يدرسوا أى منهج فى هذا الشأن، كما أنهم لم يتدربوا على مهنة تحترم هذا الانصاف. إن القانون لاشأن له بالانصاف، إنه مرتبط بالقوة وأولئك الذين يمتلكونها غالبا ما يكسبون فى النهاية. أما بالنسبة للمحامين أنفسهم، فإنهم يخسرون عندما تخسر أنت، ويكسبون عندما تكسب.

إن صورة المحامى وهو جالس بالفعل أمام لوحة مفاتيح الكمبيوتر ويعبث فى مسودة الموضوع هى «الكارثة الآن» للصحافة الحديثة. أما عن الطريقة التى من المفترض العمل بها فهى أن يقدم المحامون المشورة للصحفيين، ولكن الصحفيين هم الذين يتخذون القرارت الصحفية.

فى أمريكا الحديثة، يجب عرض مشروعات التحقيق الصحفى على المحامين - فقد أصبح ذلك الآن نوعا من معايير الحرص القانونى ضد دعاوى التشهير، واذا لم تفعل ذلك فهو نوع من الاهمال والتهور. غير أنه لايتعين عليك أن تحصل منهم على ضمان بأن عملك محصن ضد قضايا التشهير. فهم لايستطيعون، لانه لايوجد شئ كهذا[10].

هوامش

1- حسبما يقول المؤلفان، إن جون آدامز كتب خطابا لزوجته ابجيل بأن تاريخ 2 يوليو سيخلد باعتباره «أكثر الايام خلودا فى تاريخ الولايات المتحدة. واننى على ثقة من أن هذا اليوم ستحتفل به الاجيال التالية، فى احتفال سنوى عظيم... ويجب الاحتفال به بالاغانى والعروض العسكرية، والعروض الفنية والألعاب والمباريات الرياضية وبدق الاجراس والالعاب النارية والزينة الكهربائية بطول البلاد وعرضها بدءاً من اليوم وحتى نهاية الزمان». (فقرة مقتطفة من كتاب ديفيدسون ولايتل، صفحة 61).

2- كانت لدى توماس جيفرسون خصال فى شخصيته تتشابه كثيرا مع خصال الكثير من المحررين الصحفيين الذين يتذكرون فيما بعد عملية تحرير كتاباتهم. فهم يقولون، أوه، لقد كانت هناك بعض التغييرات الطفيفة فى التحرير، لم يكن هناك الكثير منها. غير أن ديفيدسون ولايتل كتبوا قائلين، «إن وثيقة جيفرسون الاصلية التى كتب بنفسه عليها أنها المسودة الاصلية» خضعت لعملية إعادة تحرير مكثفة.

3- لم تعرض فيما يبدو على محامين، رغم أنه كان هناك محامون من بين الحضور، واليوم يشير المحامون المتخصصون فى قضايا التشهير إنه اذا ما عرض «إعلان الاستقلال» على المحامين، فربما أمكن تجنب الحرب وأمكن توفير مبالغ ضخمة، باستثناء بعض المصروفات القانونية هنا وهناك.

4- رودولف فليش«فن التفكير الصافى» The Art of Clear Thinking (نيويورك. هاربر واخوته، 1951).

5- لقد نشأت فى ولاية انديانا. وفى هذه الولاية، إذا لم تلعب كرة السلة عندما تبلغ من العمر 4 سنوات، فجدير بك أن تنتقل إلى ولاية كنتاكى، ومن ثم فمعظمنا تعلم كيف يلعب بمهارة فى سن 3 سنوات.

6- مايلى هو التسلسل الشائع فى كتابة تحقيقات صحفية عن مشكلة طبية أو بيولوجية. أ) لابد من مراجعة نقدية للغة المستخدمة فى هذا المجال. ب) جمع بيانات ميدانية دقيقة أو إجراء مايعادلها

من المراقبة، تستكمل اذا لزم الامر بفحص معملى لعينات. جـ) يتم تقييم المعلومات وتصنيفها ويتم تحديد المشكلة وتقسيمها إلى أسئلة محددة. د) يتم وضع تخمينات ذكية للاجابة على الاسئلة، مع مناقشة أكبر قدر ممكن من الافتراضات. هـ) إجراء تجارب للتعرف أولا على أكثر الافتراضات احتمالا بالنسبة لاكثر الاسئلة حساسية».. (فقرة مقتطفة من كتاب دابليو. آى. بى. بيفريدج «فن التحقيق العلمى»، (نيويورك : دابليو، دابليو نورتون وشركاه، 1957) ص 12.

7- «يجب الحذر دائما من الخطر المتمثل فى أنه بمجرد أن يصل المرء إلى افتراض معين، تبدأ المشاعر الأبوية فى التأثير على عمليات الملاحظة، والتفسير والحكم على الأمور، كما أن «التفكير المتأثر بما نتمناه» سيبدأ على الارجح بدون وعي. قال كلود برنارد : «إن أولئك الذين لديهم ثقة مفرطة فى نظرياتهم أو أفكارهم ليسوا فقط مؤهلين تأهيلا رديئا لكشف الاسرار! بل إن قدرتهم على الملاحظة أيضا رديئة. ومالم تتم عمليات الملاحظة والتجربة بضمانات تؤمن الموضوعية، فان النتائج قد تجئ متحيزة دون وعى». (فقرة مقتطفة من كتاب دابليو. آى. بى. بيفريدج. «فن التحقيق العلمى»، (نيويورك : دابليو. دابليو. نورتون وشركائه) ص 49.

8- تمتعت أثناء عملى فى صحيفة ستار تريبيون بميزة العمل مع واحدة من أعظم المحامين فى مجال الاعلام، وهى بات هيرل لونجستاف، فقد كان لها ميثاق الشرف الخاص بها للحد من ملاحظاتها إزاء القضايا القانونية وكانت تقرأ الموضوعات الصحفية بعد طبعها، وليس من خلال وجودها على جهاز الكمبيوتر. ومنذ ذلك الوقت استقلت بعملها الخاص.

9- وهل أدى السماح لمحامين باعادة تحرير كل سطر فى هذه الحلقات إلى التأثير على ماتمت كتابته فى التقرير الصحفى؟. بالطبع كان له دائما تأثير. وإليك كيف كان ذلك :

بعد مراجعة الصحيفة للبيانات بعناية، قررت القيام بخطوة أبعد من ذلك بالسماح للأشخاص الذين ارتكبوا«انتهاكات خطيرة» لقانون المساهمات المالية فى الحملات الانتخابية باعادة مراجعة الأرقام التى حصلت عليها الصحيفة. (أساند تماما هذا القرار) تقول الصحيفة:

فى كل حالة من حالات انتهاك القانون كنا نرسل بالفاكس لهم تاريخ كل مساهمة نعتقد أنهم قدموها ومقدارها ونقول لهم اذا كان لهم أى اعتراض على هذه البيانات أن يعلمونا بذلك.

فى البداية، وجدنا أن هناك، شخصا، وليس 10أشخاص، وانتهينا فى الموضوع بتحديد أسماء 10 أشخاص. أ) ارتكبوا انتهاكات خطيرة للقانون. ب) لم يقدموا عذراً ومن ثم كانت إدانتهم واضحة، ثم كانت هناك لدينا مجموعة ثانية سوف أشير إليها بأنها مجموعة مدانة ولكن لديها تفسير لموقفها – أى أولئك الاشخاص المدانين بانتهاك القانون ولكنهم يقولون بصراحة، بالفعل قمنا بذلك ولكننا لم نكن نعرف.

أحد المساهمين، قال محاميه، الحقيقة إنه حتى وإن كان موكلى قد وقع على الشيك، فانها لم تكن فى الواقع مساهمة منه، إنها مساهمة من والده. وهذا الأب كان يعانى من حالة تشبه الغيبوبة، وكنا نعلم ذلك، ولكننا تمشينا معه وقبلنا بهذا التفسير لأننا كنا نريد أن نخطئ ولكن فى حذر. وربما كان ذلك خطأ. لا أعرف. ولا أظن ذلك.

وثمة طريقة ربما كانت الأفضل، ألا وهى تقرير الحقائق، جنبا إلى حنب مع التفسير. ولم يكن استبعاد هذه المعلومات ارتكاب خطأ بدعوى الحذر. بل إنه خطأ واضح.

10- لا أعنى التلميح إلى ضرورة الحرص على الدقة الكاملة. فى الفصل السابع أقدم شرحا تفصيليا لأساليب التحقق من الدقة سواء فى التفاصيل التى يتضمنها التحقيق أو فيه ككل. هذا بالاضافة إلى أننى أؤمن بأن كتاب التحقيقات من المحررين الصحفيين يجب أن يؤدوا عملهم. 1)كما لو أن الجميع يسمعون شريط تسجيل اللقاء الصحفى، سواء عرف المحرر ذلك أم لا، 2) إن القاضى سوف يجبرهم على إظهار مذكراتهم. فهذا يحمى المحررين من الاهمال أو التهور.

وعلاوة على ذلك، إننى أتفق مع هؤلاء المحررين الصحفيين من كتاب التحقيقات ورؤساء تحريرهم ممن يتمسكون بأن يتم نسخ باقى مذكراتهم على جهاز الكمبيوتر فى أسرع وقت ممكن ثم يتخلصون بعد ذلك من مذكراتهم. ذلك أن المذكرات بخط يدهم لن يكون لها قيمة بمجرد نسخها ومراجعتها، ولن تكون لها قيمة إلا بالنسبة لنقابة المحامين.

وعلى أية حال، يجب عليك أن تستخدم أى وسيلة تختارها على نحو متسق.

اللقاءات الصحفية فى التحقيق الصحفى : الجزء الأول

بقلم جيرى أورهامار : صحفى مستقل

إليكم مثالا عن لقاء صحفى عديم الجدوى لأنه لم يعد له الإعداد الجيد.

كانت مارى نيزويندر، وهى محققة صحفية مخضرمة تعمل فى صحيفة لونج أيلاند بتيش اندبندانت برس تلجرام قبل شرائها لمحطة إذاعية متخصصة فى الأخبار فى مدينة بالم ديزرت بولاية كاليفورنيا، وبعدها اعتزلت لتقوم بتأليف كتاب، كانت تحاول إجراء مقابلة صحفية متعلقة بقضايا اغتيال عائلات المتهم فيها تشارلز مانسون.

تحكى نيزويندر «كانت إحدى« فتيات» تشارلز مانسون ومن ضحاياه الأوائل لها طفل وقامت الجدة بتولى مسئولية تربيته.

وقد استدعيت الجدة إلى المحكمة كشاهد محتمل، وكنت قد استعنت بصديق لى من المخبرين فى إقناعها بالتحدث معى.

ولقد بذل جهدا طيبا فى الثناء علىّ، بل إنه أحضر الجدة إلى غرفة انتظار السيدات فى المحكمة، حيث كنت أنتظرها.

«وبدأنا الحديث إلى أن أشرت عرضا إلى أن إحدى الصحف المملوكة للدار الصحفية التى أعمل بها تصدر فى بلدتها. وكنت أعتقد أن هذه الاشارة ستقوى العلاقة بيننا. «ولكن ماحدث كان عكس ذلك».

«فقد قفزت من مقعدها، وصرخت، وأسرعت بالخروج من الغرفة.

«ولم أكن أعلم أنها تكره الصحيفة وكل من يمت إليها بصلة.

«بل إنها استقلت أول طائرة لنقلها بعيدا عن لوس انجيليس.

«لقد كان ينبغى لى فى هذه الحالة الإعداد الجيد للقاء بأن أتحدث مع العاملين فى الصحيفة لأعرف ماذا فعلوا وكل ماكنت أعرفه هو أنها ترفض الحديث معهم.

«ولم يعن لى أن أسال لماذا.

«وكان يجدر بى أن أسأل....

«لابد من أن تعرف كل ماتستطيع معرفته عن شخص ما. ويعتبر أرشيف الصحيفة أسهل وسيلة لذلك. كما أن السجلات العامة وسيلة أخرى لتحقيق ذلك».

وثمة اعتقاد لدينا نسعد به وهو أن إجراء لقاء صحفى مع شخص ما هو جزء من طبيعة معظم الصحفيين. إننا نتحدث إلى الناس ونوجه لهم أسئلة عنهم وعن الآخرين وعما يعرفونه ومايؤمنون به. ونحن ننصت لما يقولونه لنا، اذا ماكانت تصريحاتهم أو أفكارهم جيدة، ونضعها فى موضوعنا.

أما بالنسبة لكتاب التحقيقات الصحفية. أولئك الذين ينقبون بصفة دائمة ويكشفون الأسرار التى تود الحكومة أو الاشخاص ذوى النفوذ أن تظل فى طى الكتمان - فإن أساليب إجراء اللقاءات الصحفية تكون أكثر دقة وصراحة وأكثر إلحاحا.

إن أساسيات إجراء اللقاءات الصحفية تظل متشابهة. وهى الإعداد لها بدقة، وتوجيه أسئلة مهمة، والاستماع بعناية إلى الاجابات.

غير أنه يوجد اختلافات مهمة بين إجراء اللقاءات الصحفية التقليدية التى تؤدى يوميا فى مجال الصحافة وبين لقاءات التحقيقات الصحفية.

إنها مثل الاشتراك فى مسابقات للغطس. فكلما كانت قفزة الغطس أكثر تعقيدا، كلما زادت درجة صعوبتها. وهكذا الحال مع إجراء لقاءات التحقيقات الصحفية، ذلك أن موضوعات التحقيق الصحفى تكون عادة معقدة وصعبة فى تركيب أجزائها كما أن الاشخاص الذين يجب أن تجرى لقاءات معهم يودون أن يلوذوا بالصمت.

والمحرر الصحفى يتعامل عادة فى اللقاء التقليدى بهدف استخلاص خبر أو

تقرير، مع موظف لديه رغبة فى الحديث المعلن ولكن بدون خوف من توقيع العقاب عليه.

أما فى لقاءات التحقيق الصحفى، فان المخاطر غالبا ما تكون أكبر. فالتحقيقات كثيرا ما تتصل بارتكاب أخطاء أو إهمال أو غيرهما من التجاوزات - وهى تلك الحالات التى من أجلها وجدت عمليات إخفاء الحقائق، كما أن الشخص موضوع اللقاء الصحفى لمن لديهم علم بتلك الاشياء، يكون لديه مليون سبب فى ألا يبوح بالأسرار لمحرر صحفى.

فالشخص الذى سيتم معه اللقاء قد يكون معرضا للخطر، أو لديه ما يفقده إذا ماتكلم. ومن شأن عامل المخاطرة هذا أن يخلق عاملا أساسيا للخوف. الخوف من المحرر الصحفى الذى يوجه تلك الاسئلة الصارمة، والخوف من العواقب عندما تنشر ملاحظات الذى أجرى معه اللقاء الصحفى.

بالفعل، إن كثيرين ممن أجريت معهم لقاءات فى تحقيقات صحفية كان لديهم مايبرر القلق. ذلك أن من يدق ناقوس الخطر فى أحد المجالات الصناعية أو فى الحكومة، على سبيل المثال، قد يفقد وظيفته. وهذا ماقد يحدث أيضا لموظف فى حكومة بيروقراطية من العصور الوسطى يقوم بتسريب وثائق حساسة. وفى حالات أخرى أكثر خطورة، مثل الجريمة المنظمة أو التحقيقات المتعلقة بالغوغاء، قد يفقد الشخص الذى يثرثر أكثر مما يجب مع المحرر الصحفى، حياته - أو هكذا يعتقد هذا الشخص.

إن هذا العزوف المشروع عن الحديث يعتبر أضخم عقبة ينبغى على كاتب التحقيقات الصحفية أن يتغلب عليها.

وبالمثل يظل عامل الخوف قائما بالنسبة للاشخاص الذين يتركز حولهم التحقيق. ذلك أن الأنباء تنتقل بسرعة فائقة فى الاوساط السياسية والبيروقراطية عندما يبدأ المحررون الصحفيون فى تحسس الاخبار، واستخراج نسخ من الوثائق، والتحدث إلى الناس. كما أن أولئك الذين يدور حولهم الحديث يعرفون عادة أن ذلك يحدث. هذا

بالاضافة إلى أنه بافتراض أن لديهم ما يخفونه، يكون لديهم فكرة جيدة عما تبحث عنه.

ليس من الصعب تفهم السبب فى شعورهم بالقلق، والعداء، والخوف. ذلك أن سمعتهم ومصدر رزقهم قد يتوقف على نتيجة هذا التحقيق الصحفى.

وتتخذ لقاءات التحقيقات الصحفية كافة الاشكال والاحكام فبعضها قد لايستغرق سوى دقائق. والبعض الآخر قد يطول إلى ساعات. وبعضها يتم بموعد سابق قبل أيام، بما يسمح بالقيام بتخطيط مكثف لها. والبعض الآخر بصورة مرتجلة، تمليها ظروف غير متوقعة.

وعادة ما تصنف لقاءات التحقيقات الصحفية إلى فئتين : لقاء المعلومات واللقاء مع أشخاص فى قلب التحقيق.

فى لقاء المعلومات، يتحدث المراسل الصحفى إلى شخص ما، يمتلك بسبب وظيفته أواتصالاته بعض المعرفة عن الموضوع الذى يدور حوله التحقيق. والغرض من اللقاء هو انتزاع معلومات ستعمل على إثبات أو نفى الفرضية التى يقوم عليها التحقيق الصحفى.

ولا توجد قواعد صارمة أو جاهزة لكيفية أداء اللقاء الصحفى فكل محرر صحفى له طريقته فى القيام بالأمور، وبعض المحررين يتميزون بالمكر أكثر من غيرهم.

ورغم أنه لايوجد من يقوم بالمهمة بنفس الطريقة، فان معظم كتاب التحقيقات الصحفية متفقون على أن أكثر الاجزاء أهمية فى عملية التحقيق الصحفى تحدث قبل أن تواجه الشخص الذى ستجرى اللقاء معه : أى الاعداد لذلك اللقاء.

لقاء المعلومات

للوهلة الأولى، يبدو التعبير لقاء المعلومات لغو فارغ تماما. لأن الحصول على المعلومات هى كل ما يعنيه اللقاء الصحفى.

غير أن اللغو استخدم هنا للتمييز بين هذا النوع من اللقاءات الصحفية بالذات وبين اللقاء الصحفى مع الشخص موضوع التحقيق، أى الفئة الرئيسية الاخرى من اللقاءات فى التحقيق الصحفى.

والواقع أن لقاء المعلومات أشبه تماما تقريبا باللقاءات الصحفية المعتادة فى العمل الصحفى اليومى فأنت تجلس أمام شخص ما، أو تتحدث معه عبر الهاتف، وتوجه إليه الأسئلة.

ولكن هناك بعض الاختلافات البارزة.

فالمواضيع التى تدور حولها التحقيقات الصحفية، تكون حساسة بطبيعتها، إن لم تكن محفوفة فعلا بالمخاطر، وهى عادة ما تنطوى على خطورة بالنسبة لأولئك المعنيين بها.

والشخص الذى لديه علم بارتكاب أخطاء فى المواقع العليا، على سبيل المثال، قد يكون عازفا، وله الحق فى ذلك، عن البوح بهذه المعلومات إلى المحرر الصحفى، إذ يخشى أن يمسه الجدل الذى سيثور. والبعض منهم قد يكون راغبا فى البوح بالمعلومات علنا. والبعض الآخر، يرغب فى بعض الحماية خوفا من أن ينزل به العقاب. وعليك فى مثل هذه اللقاءات مع أشخاص عازفين عن الكلام أن تحدد فى وقت مبكر قواعد اللقاء.

هل سيكون اللقاء الصحفى غير مصرح له بالنشر؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا يعنى ذلك بالضبط؟ هل تستخدم المعلومات بدون إسناد إلى من أدلى بها؟ أم أنها لمجرد الحصول على خلفية فقط؟ وما العمل إذا ظهرت هذه المعلومات على السطح فى مكان آخر؟ هل تستطيع فى ذلك الوقت استخدامها؟

وقبل أن نتفق على أية ترتيبات، يجب أن تعرف موقف صحيفتك. تحدث مع رئيس تحريرك، وبعض كبار المحررين الصحفيين المعتادين على التعامل مع مثل هذه

المواقف بما يسمح لهم بكثير من الحرية فى إبرام هذه الاتفاقات. ولكنها منطقة حالكة الظلام. فتقدم فيها بحذر.

ما هو نوع المعلومات التى يمكن أن يقدمها هؤلاء الأعضاء من الداخل؟ المعرفة من شاهد عيان مباشرة؟ أم أنها تقارير منقولة عن أشخاص آخرين؟ هل لديهم وثائق أو لديهم حرية الوصول إلى الوثائق؟ وهل سيكون لديهم استعداد لتقديم هذه الوثائق؟ وإذا كان ذلك يتعذر عليهم، فهل باستطاعتهم الكشف عن هذه الوثائق وعن مكان العثور عليها؟

لقد تبين لى بوجه عام، أن الشهود العازفين عن الكلام يصبحون أكثر استعدادا للكلام إذا ماسئلوا عن الوثائق، وعما تعنيه تلك الوثائق. وهذا الاسلوب له فائدة إضافية:

إنك إذا حصلت على وثيقة مهمة، فانها عادة تغنى عن الحاجة إلى مصدر بشرى للمعلومات، سواء كان محددا بالاسم أو غير محدد، من أجل دعم موضوعك. وهذا قد يناسب شخصا قد يكون لديه معرفة بما حدث، ولكنه لايرغب فى أن يرتبط علنا بالموضوع.

وفى معظم الحالات، يتوقف البت فيما اذا كنت ستجرى لقاءك مع شخص ما على أساس عدم النشر أم للحصول على خلفية، على دورهم فى القضية. هل هم من اللاعبين الرئيسيين فيها؟ وإن كانوا كذلك، وان كان من المحتمل أن تكشف أسرار دورهم فيها، احرص على أن يكون لقاءك معهم ليس للنشر. ذلك أنهم سيكونون من الاشخاص الذين سترغب فيما بعد فى تسجيل أقوالهم، فى المراحل النهائية من التحقيق.

ومن الافضل بالنسبة للأشخاص المعرضين للخطر، ممن قد يعرفون بعض التفاصيل ولكنهم معرضين لتوجيه اللوم إليهم، أن تعتبرهم مرشحين للقاءات الحصول على خلفية أو لنشر تصريحاتهم دون تحديد المصدر، لأنك فى النهاية لن تلقى بمسئولية موضوعك على كاهلهم.

إن المنهج الذى أتبعه فى إجراء لقاءات صحفية معهم هو أننى أبحث عن مزيد من التبصر، والتوجيه، والمشورة لمعرفة أين أجد الاشياء. إنك فى بعض الأحيان تكون بحاجة إلى شخص يفسر لك سبب أهمية شئ ما، إن هؤلاء الاشخاص، رغم أنهم يبدأون اللقاء معك وهم فى حالة توتر، يجدون أنفسهم أحيانا مهتمين بالتحقيق ويصبحون متعاونين بشدة. وأحيانا سيوافقون على التخلى عن إخفاء هويتهم والافصاح عنها علنا.

كيف تكون مستعدا

يجب على المحرر الصحفى، قبل أن يبدأ لقاءات التحقيق الصحفى، أن يدرس الموضوع نفسه بعناية.

وعادة هذه لاتكون مشكلة، فانك ستكون قد رجعت إلى قاعدة البيانات فى جهاز الكمبيوتر لديك. وقمت باقتفاء آثار الوثائق وقمت بمراجعتها ووضعت لنفسك جدولا زمنيا بالتواريخ المهمة ومن ثم أصبح لديك صورة واضحة لما حدث ومتى حدث.

وقمت أيضا بمراجعة القوانين والقواعد الحكومية المطبقة والتى تعرف من خلالها ما هو النظام المفترض تطبيقه، ومن ثم فسوف تعرف متى لم يطبق هذا النظام.

إننى عندما أقوم بمراجعة وثائق أو سجلات محكمة، فإننى أبحث عن أسماء أشخاص من الداخل ممن قد يعرفون شيئا عما حدث. ولا سيما عن الضحايا والاعداء. إن هؤلاء غالبا هم الاشخاص الذين أرغب فى إجراء لقاءات صحفية معهم أولا. وأحيانا يكون من الصعب الاتصال بهم، ولكننى أحاول أن أتجنب أولئك الذين أشك فى أنهم قد يكونوا متورطين مباشرة فى التحقيق.

كذلك فإننى أكون فكرة معقولة عن الأسئلة التى سأوجهها فى بداية اللقاء الصحفى.

لقد كانت مارى هارجروف مديرة التحرير التنفيذية السابقة لصحيفة تولسا تريبيون Tulsa Tribune، تبدأ عملية لقاءاتها الصحفية غالبا فى نفس الوقت الذى تكون هى وزملاؤها يقتفون أثر الوثائق.

تقول هارجروف : «إننى أحاول أن أقوم بالمهمتين فى نفس الوقت. ذلك أنه كلما كان باستطاعتى القيام بالعمليتين معا، كلما أتيح لى فى وقت مبكر البت فى كيفية وضع الخطوط العريضة للاتفاق مع الشخصية التى سأجرى معها اللقاء ومن أى منظور».

ما تقوم به من بحث يدور حول ....

لا تغامر خلال قيامك بهذه اللقاءات الصحفية للحصول على معلومات إلى الافصاح بالتفصيل عن الموضوع الذى تعمل فيه. وكن حذرا فيما تقول إنك تبحث عنه. فبدلا من قولك لشخص ما «إننى أعمل فى موضوع عن....» - فالواقع أنك قد لاتنجح إطلاقا فى إنجاز هذا الموضوع إذا لم تحط ما تجريه من تحقيقات بالغموض- قدم ببساطة تفسيرا عاما عما تقوم به. لقد اكتشفت أن كلمة «بحث» كلمة لطيفة ولا تشكل تهديدا لأحد ولا تؤدى على الفور إلى رفع كثير من الرايات الحمراء.

كما أننى أسأل الناس إن كانوا يستطيعون «إثبات» أو «تأكيد» المعلومات التى حصلت عليها من مكان آخر. ذلك أن الناس يصبحون أقل عزوفا عن الكلام فيما يبدو إذا ما اعتقدوا أن أناساً آخرين أيضا يتكلمون عن نفس الشئ.

وعندما أجرى لقاءاً صحفيا مع أحد ما معرض للخطر، فإننى أتجنب قول إننى «أقوم بتحقيق» فى كذا أو كذا.

فثمة مايبرر استخدام عبارات لطيفة، وغير ملتهبة خلال المراحل المبكرة من التحقيق، وأكبر هذه المبررات هو أن الناس يتكلمون. فاذا كان الأشخاص الذين يجرى

معهم اللقاءات لديهم أدنى شك بوجود فضيحة فيما توجهه إليهم من أسئلة، فإن الفرصة كبيرة فى أنهم سيبلغون آخرين بذلك.

وإذا ما حدث ذلك، فما عليك إلا أن تتوقع أن الهمهمات ستصل إلى الاشخاص موضوع تحقيقك. وحينئذ، وفى ضوء مايدور من ثرثرة، لن تكون للاسئلة التى وجهتها خلال اللقاء أى فائدة.

وقد اتبعت أوليف تاللى، المحققة الصحفية لصحيفة دالاس مورنينج نيوز استراتيجية مشابهة: «فى كل موضوع أعمله، أقوم بصياغة التفسير المحدد لما يدور حوله الموضوع، وأقول للكل نفس الشئ : إن ما أحاول تحقيقه هنا غامض، لماذا أقوم بهذا الموضوع: لا أعرف! وبهذه الطريقة، لو أن من نتحدث إليهم يتحققون مما نقول، فسوف يسمعون نفس الاجابة».

اختبار مدى صدق الاجابات

لدى قيامك بتخطيط اتجاه الأسئلة التى ستوجهها، ضع بينها أسئلة تكون بمثابة مصيدة للتحقق مما إذا كان الشخص الذى تجرى معه اللقاء يقول الحقيقة، بل إن كان يعرف الحقيقة.

كانت أوليف تاللى تفعل ذلك عندما كانت تجرى لقاءات مع المسئولين فى مكتب السجون بالولايات المتحدة بشأن الحالة المتردية للرعاية الصحية فى مستشفيات السجون.

تقول «فى مشروع السجون، نما إلى علمى أن أحد الجراحين الذين يعملون فى الجهاز الطبى الرئيسى لمكتب السجون فى سبرينجفيلد، بولاية الينوى، لم يستكمل مطلقا تدريبه فى مجال جراحة الاوعية الدموية للقلب. ومع ذلك فقد كانت تلك هى نوعية الجراحات التى يجريها فى المستشفى بصورة يومية».

وقد وضعت خطتها للأسئلة التى ستوجهها إلى المسئولين فى مكتب السجون بحيث يؤدى السؤال إلى السؤال الذى يليه.

وتستطرد تاللى قائلة :«فعلى سبيل المثال، أوجه سؤالا عن التدريب العام للعاملين. وكانوا يؤكدون لى بصفة عامة، إنه لابد أن يكون كل طبيب قد تدرب على المجال الذى سيمارسه».

ويجئ السؤال التالى : «إذا كان الأمر كذلك، فبماذا تفسر قيام الدكتور سوانسون بجراحات الاوعية الدموية للقلب ؟ بينما هو فى واقع الأمر لم يتلق هذا التدريب؟. ها هنا، لقد وقعوا فى المصيدة. وقال أحد الرؤساء من الاطباء... لقد قال لنا إنه قام بالتدريب - ولقد سلّمنا بما قاله لنا».

تقول تاللى إنه باعترافهم بأنهم سمحوا لطبيب بالعمل بدون إجراء مراجعة سليمة لتاريخه المهنى، تكشفت حقيقة جوهرية وهى أنهم «بسماحهم لهذا الطبيب بالاستمرار فى إجراء هذه الخطوات التى تتجاوز قدراته، قد أثبتوا صحة الكثير من الانتقادات بأن مواقع السجون لاتحظى بنوعية الرعاية التى يزعم المكتب إنه يقدمها. وهكذا أدانوا انفسهم بأنفسهم».

وصرحت تاللى بأنها كانت قد علمت من قبل من العاملين فى المستشفى أن هذا الطبيب المشكوك فى ممارساته الطبية قد تم تضييق اختصاصاته من قبل المكتب لنقص مؤهلاته. «إنهم لم يدركوا أن ذلك سيحدث... وقد بنيت اتجاه الاسئلة لاعتقادى الحازم بأنهم سيجيبون عليها على هذا النحو.. لقد كانوا يكذبون على... لقد أكدوا الاعتقاد بأن المكتب يتستر على أطباء غير أكفاء».

غالبا مايحدث أثناء اللقاءات الصحفية أن الناس يقولون لك «بصدق» مايعتقدون أنه قد حدث- إنهم لايكذبون عليك ومع ذلك فهم قد يكونون على خطأ.

من الاهمية بمكان أن توجه فى لقاءات المعلومات هذه أسئلة تتأكد بها من صحة الاجابات، وليس مجرد صدق الشخص الذى تجرى معه اللقاء.

هل رأى الشخص بالفعل ما يتكلم عنه أم أنه سمع به؟ وإذا كانت هذه المعلومات منقولة إليه، فهل هذا الشخص الذى نقلها رأى بعينه أم أنه سمع؟ هل هناك أى وثائق كمذكرات، تحقيقات، رسائل - تثبت صحة هذه الرواية ؟ كيف تستطيع الحصول عليها ؟

إن الأشخاص الذين يبلغوك شئ، عادة يقولونه لك لأنهم يعتقدون أنه من المهم كشف هذا الموضوع. غير أنهم إذا لم يكونوا شاهدوا بأنفسهم فان مايدلون به من معلومات لن يؤدى إلى هذا الهدف إلا اذا جاءت من مصدر أفضل. إنك تستطيع دائما أن توضح ذلك للأشخاص الذين تجرى معهم لقاءات وتطلب منهم المساعدة فى الحصول على إثبات لصحة المعلومات.

فعلى سبيل المثال، من هم الأشخاص الموجودين فى هذه الحجرة الذين رأوا ماحدث؟ هل تعتقد أن منهم من سيتكلم؟ من هم؟ وكيف يمكن مفاتحتهم؟ هل يستطيع من قدم لك المعلومة أن يساعدنا ؟

من الممكن استخدام نفس السلسلة من الاسئلة، أو هذا المنهج العام بتعقب آثار الجزء الصعب من التحقيق وهو الوثائق.

ماذا عن سلوكك

قد يكون سلوك المحرر الصحفى هو الأمل الذى يؤدى إلى نجاح اللقاء الصحفى أو فشله. إن هناك أوقاتا يجب فيها أن تكون حازما، بل وحتى صارما أثناء المقابلة. غير أن المحرر الصحفى الذى يبالغ فى إظهار قوته منذ البداية قد لايتحرك مطلقا عن نقطة البداية.

إن الهدف النهائى للقاء الصحفى هو أن تجعل شخصا ما يتكلم أو يتصارح معك، ويقدم لك المعلومات، وكتاب التحقيقات الصحفية المخضرمون يقولون جميعا إن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هى أن تكون مؤدبا، ومجاملا، ومهذبا.

إن نجاحك فى المضى قدما باللقاء الصحفى فى الطريق الصحيح يعنى معاملة من تجرى معه اللقاء بالطريقة التى تحب أن تعامل أنت بها. ولكن أن تكون وقحا، أو فظا، أو بغيضا فلن يؤدى بك على الأرجح إلى أى شئ.

تقول لنا تاللى فى هذا الشأن : «إننى لن أشعر بالارتياح إذا ما نصب لى شخص ما كمينا فى أى لقاء، أو إذا أيقظنى شخص ما من نومى، أو اقتحم على خصوصيتى فى منزلى، أو أصاب أولادى أو عائلتى بالذعر. إننى أعتقد حقيقة أننا نستطيع أن ننجح فى مهمتنا لو أننا عاملنا الناس مثلما نحب أن يعاملونا به. أعلم أن ذلك لايكون صحيحا دائما غير أنه ينجح فى 99% من الحالات».

كن على طبيعتك. ولاتحاول أن تكون شخصا آخر غير نفسك. ففى لقاءات التحقيقات الصحفية، من الاهمية بمكان أن تبعث فى الشخص الذى تجرى معه اللقاء شعوراً بأنك موضع ثقة. وأفضل وسيلة لتحقيق ذلك هى أن تكون أمينا مع نفسك ومع ماتقوم به.

ويصدق هذا بصفة خاصة على اللقاءات الصحفية مع أناس مهددون بالخطر بسبب هذا التحقيق مثل الموظفين، أو الموظفين السابقين ممن يعرفون كيف تسير الأمور ولماذا تسير على هذا النحو. هؤلاء هم دائما الاشخاص المعرضون للخطر. ولن يتعاونوا معك على الأرجح إلا اذا اقتنعوا بأن المحرر الصحفى جدير بالثقة.

وترى تاللى أن هناك تشابكا كبيرا بين فن إجراء اللقاء الصحفى والتوصل إلى مصدر للمعلومات.

«يصعب تماما التمييز بين هذين الموضوعين لأن مانقوم به، أى إجراء لقاء صحفى ناجح، هو أن تجعل هؤلاء الناس يثقون بك. إنك تقنعهم بأن دوافعك طيبة، وأن نواياك طيبة، وأنك تريد أن تقوم بما هو صحيح، وأنك تريد أن تقول الحقيقة.... وأن ماتقوم به ليس مجرد محاولة لتحقيق خبطة صحفية سريعة.

«عليك باقناعهم بأنك صادق. عليك أن تقوم بنوع من الاشادة بشخصياتهم، وسوف يقومون بالتالى بالاشادة بشخصيتك. وأظن أنك بحاجة إلى إظهار درجة معينة

من الضعف، وحبذا لو كان ذلك بصدق، وأنك تود أن تكتب شيئا فى صالحهم حتى تكسب ثقتهم».

«إننى أفضل،،كلما كان ذلك مناسبا، التعامل مع من أمامى باسمه الأول فى أسرع وقت ممكن، لأن ذلك هو أكثر ما يشعرنى بالارتياح - وأعتقد أن الشعور بالارتياح فى معظم الحالات ينتقل إلى الشخص موضوع اللقاء. فاللقاءات تكون أقل صرامة إذا تمت على أساس تعامل الطرفين بالاسم الأول. غير أن مثل هذا التحرر من الرسميات يكون أحيانا غير مناسب. وهذا أمر متروك لحكمك على الأمور».

فى المراحل المبكرة من اللقاء، إجعل أسئلتك مقتضبة، ومباشرة، ولاتنطوى على أى أحكام مسبقة أو تهديد.

تحسس طريقك طوال الوقت. اعمل على التوصل إلى النقطة التى تستطيع من خلالها النفاذ إلى الشخص الذى تجرى معه اللقاء، والى أى مدى يريد التعاون معك وماذا لديه ليقدمه لك.

إن اتباع هذا النهج أمر حيوى فى لقاءات المعلومات عندما نتعامل مع أشخاص قد يعرفون الكثير غير أنهم غير متأكدين من حجم مايريدون الافصاح لك به.

تقول مارى هارجروف، «فى لقاءات المعلومات، أحاول أن أجعلهم فى حالة استرخاء، أى أن يقولوا أشياء من السهل التحدث عنها، دقائق عن أنفسهم مثلا، أو إحصائيات حيوية بلا مبالغة. إن الناس عادة مايشعرون بالارتياح إزاء ذلك. هل كانت نشأتك فى شيكاجو؟ أو، لابد أن الطقس هناك شديد البرودة. ماذا كان عمل والدك؟».

أن تكون مباشرا وصريحا

تؤمن هارجروف، التى تعمل الآن محررة منتسبة فى صحيفة اركانساس ديموقراط - جازيت، بالاسلوب المباشر فى التعامل مع المواقف التى تتسم بالتوتر سواء كان ذلك أثناء إجراء مقابلة مع أشخاص يتركز حولهم التحقيق أم فى مقابلات

المعلومات. تقول : «لقد صادفني لقاءات كنت أقول لنفسي فيها «يا إلهي، هذا الرجل يبدو صارما بالفعل، وهو لايريد أن يتكلم. أو أنه لايثق في الصحف أو ما إلى ذلك. عندئذ تكون البداية شاقة بالفعل».

عندها سوف أقول له، «إنك لا تشعر بالارتياح معي أليس كذلك ؟ هل كانت لك تجربة سيئة مع إحدى الصحف؟ هل تشاجرت مع زوجتك هذا الصباح؟ هل هناك ما يمكن أن أفعله يشعرك بالارتياح؟ أو هل لديك مشكلة إزاء هذا اللقاء ولا أدرى بها ؟ (إنني أقول ذلك) حتى أستطيع أن أبدأ اللقاء من نقطة الصفر».

«لقد صادفت من قالوا لي أفظع الأشياء مثل : «لقد جئت إلى العمل هذا الصباح ونحن متخاصمان أنا وزوجتي. إن الأمر لاعلاقة له بك. أو إن والدتي مريضة. أو إني لا أحب المحررين الصحفيين».

إن هارجروف تشير هنا إلى أنه من المفيد التخلص منذ البداية من هذا التوتر حتى يمكن للقاء أن يبدأ على أرضية أفضل.

اللقاء الصحفي الدفاعي

تعتبر لقاءات التحقيقات الصحفية مهمة محفوفة بالمخاطر، فان التعرض للمقاضاة - سواء كانت دعاوى تشهير أو افتراء أو الاعتداء على الخصوصية - تظل ملازمة لمواضيع التحقيقات الصحفية مثل ظلها.

ومع ذلك فان بعض محامي الصحف يقولون أن مواضيع التحقيقات تجلب دعاوى قضائية أقل من المواضيع الاخبارية اليومية العادية التي تنقل على عجل وتكتب بمواعيد محددة.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن مواضيع التحقيقات عادة ماتكون قد تمت دراستها بعناية ونقلت بتدقيق شديد وحررت باتقان، ومن ثم يقل تعرضها للدعاوى القضائية

إلى الحد الأدنى. ويعتبر إجراء اللقاءات الصحفية بعناية الجزء الرئيسي فى هذه العملية. ولنطلق عليها عملية اللقاء الصحفى الدفاعى.

إنك توجه كل الأسئلة التى تحتاج إلى توجيهها. ولكنك أيضا تتجنب المواقف أو قول أشياء من شأنها أن توفر للآخرين دليلا على الانحياز - أو الحقد - أو التفوه بعبارات قد تطاردك فى قاعة المحكمة.

تقول أوليف تاللى: «إننى أجرى كل مقابلة صحفية كما لو كنت سأستدعى للشهادة عما كان يدور فى ذهنى».

وبعض المحررين الصحفيين يميل إلى التفوه بعبارات يتوقعون من الشخص الذى يتم معه اللقاء أن يؤكد أو ينفى أنها قيلت.

تجنب التصريح بعبارات يمكن لأى شخص - وغالبا مايكون هو محامى الشخصية المستهدفة من التحقيق أن يقول عليها فيما بعد أنها قذف.

إن الأكثر سهولة ومباشرة ببساطة هو أن نوجه أسئلة. وتأكد من أن ينتهى كل سؤال بعلامة استفهام.

وبدلا من أن تصرح بعبارة مثل : «وهكذا حصل العمدة على أموال من المقاولين» وجه سؤالا مباشراً: «هل حصل العمدة على أموال من المقاولين؟».

وبنفس المنطق، كن حذرا فيما تقوله لأطراف ثالثة، فانك ستجرى لقاءات صحفية مع أصدقاء ومعارف وزملاء فى عمل الشخص الذى تجرى تحقيقك حوله. وكن على ثقة من أن العبارات التى تقولها والاسئلة التى توجهها سوف تنقل إلى الشخص الذى يتركز حوله التحقيق، وغالبا مايكون ذلك بصورة مشوهة : «ألا تعرف ماذا قال الصحفى عنك؟ ».

وكن على حذر فيما تقوله لزملائك فى العمل. فالصحفيون معروفون بالثرثرة، ولهم معارف كثيرة وأحيانا ينتهى بهم الأمر بالثرثرة مع زميل فى العمل مع

الاشخاص الذين يدور حولهم تحقيقك الصحفى، إن لم تكن ثرثرتهم مع الاشخاص المستهدفين أنفسهم.

إن تسرب الأخبار قد تكون له نتائج مواتية. وقد لايكون. ففى أحد التحقيقات الصحفية شديدة الحساسية التى قمت بها من عدة سنوات، زعم الشخص الذى كان يدور حوله التحقيق أنه حصل على معلومات سرية سربت له من أحد الاشخاص فى الصحيفة التى أعمل بها.

تقول تاللى: « إننى أحاول ألا أصرح مطلقا بأى تعليقات للاشخاص الذين أجرى معهم تحقيقات أو إلى زائر مجهول أو حتى لزملائى حول شعورى تجاه موضوع معين. إننى بلاشك أدعهم يعرفون متى أشعر بالسعادة أو الاثارة أو متى أكون غاضبة، ولكننى لا أسير هنا وهناك قائلة سوف أوقع بهذا اللعين، إننى لا أسير هنا وهناك لأوزع الاتهامات إلى الناس.

«لقد استطعت بالفعل السيطرة على نفسى فى إطلاق ملاحظات مرتجلة. وعندما يسألنى الناس عما أفعل أرد عليهم باجابات تقريرية».

عندما أجرت مارى هارجروف تحقيقها الصحفى عن أورال روبرتس، ذلك المبشر الدينى فى مدينة تولسا، وضعت لنفسها قاعدة تقول : عندما تتحدث إلى شخص لايرتاح حقيقة إلى الموضوع، فيجب عليك أيضا أن تسأل ما الذى يفعله هذا الشخص على نحو سليم. وعندما تتحدث إلى شخص يرتاح بالفعل إلى الموضوع، فعليك أن تسأل ما الذى لا يفعله على نحو سليم.

ومنذ تلك اللحظة جعلت هذه قاعدة لكل التحقيقات الصحفية، وتقول هارجروف إنه بتوجيهك لكلا النوعين من الأسئلة، فانك تحصل على صورة أكثر توازنا عن الموضوع الذى تجرى تحقيقك الصحفى حوله. ثانيا، عندما توجه إلى من تجرى معه اللقاء سؤالا عما يفعل على نحو سليم، فإنك تظهر له أنك لاتشعر تجاهه بالحقد، وهو مايفيدك من الناحية القانونية. وثالثا، تقول هارجروف إن الاستراتيجية التى

تعمل بها تعطى للمحرر الصحفى فرصة لتقييم مدى موضوعية الشخص الذى يجرى معه اللقاء الصحفى وعما إذا كان كليهما يقفان فى جانب واحد أم لا.

تقول هارجروف: «إنك تحاول العثور على ظلال ليس فقط فى الشخص أو الشركة التى يدور تحقيقك حولهما، وإنما أيضا فى الاشخاص الذين تجرى معهم لقاءاتك الصحفية لتعرف ما إذا كنت ستثق فى صحة ما يقولونه من معلومات، أو على الأقل لتزن معيار ما يقدمونه من معلومات.

وتضيف هارجروف إنها تتجنب استخدام معلومات من متحيزين سواء ضد أو مع موضوع تحقيقها الصحفى وتحاول الانحياز فقط إلى أولئك الذين يقفون فى منتصف الطريق.

وبطبيعة الحال فان مايقوله الاشخاص المؤثرين فى الموضوع تكون له أهمية مركزية فى أى تحقيق صحفى، وسوف نعرض فيما يلى أفكاراً حول هذا اللقاءات الصحفية فى دراسة حالة.

(جيرى أورهامر، صحفى مخضرم عمل 40 عاماً فى مجال الاخبار، وهو رئيس سابق لنقابة IRE).

اللقاءات الصحفية : الجزء الثانى

بقلم جيرى أورهامر : صحفى مستقل

إنك حتى بعد أن تنتهى من آخر لقاء صحفى. فلن تنتهى بذلك كل العقبات. ففى بعض الاحيان قد يكون عليك أن تدافع عن موضوعات نشرتها فيما مضى قبل أن تبدأ موضوعك الجديد. وما تسعى إليه مارى هارجروف المحررة المنتسبة بصحيفة اركانساس ديموقراط - جازيت، هو أن تتوقع المشكلة. إنها تحمل معها نسخاً من مقالات سابقة.

وتعود بها الذاكرة إلى أحد الاشخاص الذى بدأ معها اللقاء الصحفى بالشكوى قائلا: «لقد قرأت لك موضوعا عنى وكان كل مافيه غير صحيح».

«وهكذا أخذت أبحث فى حقيبة أوراقى وقلت، (عظيم، إن معى نسخة منه) بل كان معى أيضا قلم أحمر قدمته إليه وقلت «ضع دائرة حمراء حول أى شئ غير صحيح وسوف نقوم بمناقشته». إن ذلك يأخذهم على حين غرة. «إن اليوم بطوله أمامى ولا يشغلنى شئ، إن كنت على خطأ، فليرنى أين كان خطئى». «وهذا هو الجزء المسلى فى الموضوع».

«لقد كنت قد كتبت إن هذا الشخص ابتز نحو 300 ألف دولار. وهكذا أخذ يقرأ ويقرأ، ويقرأ - ومن الواضح أنه قرأ جزءاً كبيرا من الموضوع ولم يضع دائرة حمراء حول أى شئ - بعدها أشعر بالرضى عندما يقول (هنا، هنا).

ويجتاح المرء شعور من وقع في الشرك. ولكنه يقول مازحا «لقد قلت إننى ابتززت 300 ألف دولار. كلا، إنها 500 ألف دولار».

«وكان ردى «وهو كذلك» سوف أصحح الرقم.

وكان معى مصور لم يستطع أن يسيطر على نفسه من الضحك إنه لم يكن يتصور حدوث ذلك ».

إن هذه اللقاءات الصحفية النهائية يمكن أن تؤدى إلى نجاح التحقيق أو انهياره. ومن ثم فان إعدادها وإدارتها يستحقان الإعداد الجيد.

تقول لنا تقاليدنا الصحفية القديمة أن تنتظر حتى قرب نهاية التحقيق لتجرى مقابلتك الصحفية مع الشخص أو الاشخاص الذين يدور تحقيقك حولهم. وبهذه الطريقة ستعرف ماذا يجب عليك أن توجهه من أسئلة.

غير أن بعض الصحفيين يقولون أنه من الأفضل أحيانا إجراء هذه اللقاءات الصحفية فى المراحل المبكرة من التحقيق الصحفى.

تفضل أوليف تاللى، كاتبة التحقيقات الصحفية فى صحيفة دالاس مورنينج نيوز فكرة القيام بلقاءات صحفية ودية أولا، بدلا من الانتظار لاجراء اللقاء حتى النهاية. ويقول «إننى أرى أنه إذا كنت تعلم أنك ستجرى تحقيقا عن أشخاص معينين، فمن المفيد للغاية أن تجرى معهم لقاءاً صحفيا وديا أولا وأن تجعلهم يقولون لك منذ البداية، كل الاشياء التى يعتبرونها حقائق ومن ثم يكون لديك إطار أساسى للعمل تعرف فيه ماهو موقفهم».

وفى وقت لاحق، عندما يصل المحرر إلى آخر لقاء صحفى، فإنه يستطيع، فى الواقع، أن تقول«لقد قمت ببعض اللقاءات الصحفية الاخرى، وأجدنى أمام بعض أشياء ليس لها معنى هنا».

استخدمت تاللى مرة لقاءاً صحفيا كانت قد أجرته من قبل مع الشخصية المستهدفة من التحقيق الصحفى ولكن بصورة مختلفة.

كانت صحيفة مورنينج نيوز تنشر تحقيقا حول عمدة لضاحية دالاس كانت له صلة، بأحد البنوك التى انهارت. وكان الصحفيون يحاولون التوصل إلى وجود أى معاملات مع صديقات أو أى إساءة فى تخصيص الأموال.

غير أنه، وسط هذا التحقيق، قرر العمدة عدم ترشيح نفسه لفترة أخرى فى هذا المنصب. ومن ثم فقد تم ترتيب لقاء صحفى لسؤاله عن قراره بالاعتزال. ولكن، بعد أن بدأ اللقاء، تحولت الأسئلة إلى موضوع انهيار البنك.

تقول تاللى: «فجأة أخذ العمدة موقف الدفاع. ثم بعدها أصبح عدائيا. لقد أدرك تماما الاشياء التى نركز عليها، وكانت تلك الاشياء هى البنك وهو شخصياً».

تقدم لنا تاللى قصة أخرى. إنها سمعت من موظفين فى البنك أن البنك اشترى كلاباً للصيد. ودفع فى تدريبها من أموال البنك. غير أنها لم تتمكن من إثبات صحة هذه الأقاويل.

«ومن ثم فاننى أثناء قيامنا باجراء هذه المقابلة الصحفية، قلت بناء على ماكنت قد علمته من قبل(جاك، ماذا عن هذه الكلاب التى يمتلكها البنك؟ وهل يبدو ذلك إنفاقا سليما لبنك من البنوك) ؟».

تقول تاللى : أن العمدة أقر بأن البنك اشترى الكلاب، وعلاوة على ذلك أعرب عن اعتقاده بأن ذلك كان عملا قانونيا تماما. «لقد اعترف وأعطانى تقريبا كل المعلومات التى احتجت إليها».

وتقول مارى هارجروف إنه بالنسبة لرجال الأعمال وذوى المناصب العليا، يكون من الأفضل التوجه إليهم مباشرة لاجراء مقابلة صحفية مبكرة معهم. لأنهم «لو سمعوا من» أشخاص آخرين أنك تبحث عن شئ وأنك لم تتوجه إليهم فسوف يؤدى ذلك بالفعل إلى شعورهم بالفزع.

الاستعداد

إذا كنت تأخذ أهبتك لاجراء لقاءات صحفية مع أشخاص فى بؤرة التحقيق الصحفى، فإن عملية التخطيط تصبح أكثر أهمية.

دوّن كل سؤال يتوجّب عليك توجيهه. لا تعتمد على الذاكرة. فهناك أشياء كثيرة سوف تشغل تفكيرك أثناء اللقاء الصحفى.

ضع الأسئلة بالترتيب الذى تريده عندما توجهها. وإذا كان لديك الوقت الكافى، فإن التقاليد الصحفية القديمة تملى عليك أن توجه أولا الأسئلة اللطيفة، وأن ترجئ الأسئلة العسيرة إلى مابعد، غير أن هذا الترتيب أو النظام قد يكون أحيانا غير مجدى.

توصى مارى هارجروف باعداد مجموعتين من الأسئلة - إحداهما مطولة ومكتملة والاخرى مختصرة - تحسباً لوقوع غير المتوقع.

وتعود بالذاكرة إلى ماحدث فى إحدى اللقاءات الصحفية التى أجرتها فى عام 1984 مع مفوضة وزارة الصحة بعد أن تعرضت أوكلاهوما إلى موجة حارة تجاوزت درجة الحرارة فيها 100 درجة ولقى أشخاص حتفهم فى المنشآت المرخصة حكومياً لاقامة المرضى العقليين.

كانت مفوضة وزارة الصحة تقضى اجازة فى الاسكا، وبعد عودتها توجهت هارجروف ومحرر صحفى آخر إلى أوكلاهوما سيتى لاجراء لقاء صحفى معها. اتفق الاثنان الآن خلال رحلتهما إلى هناك على كيفية تخفيف حدة الموضوع، غير أن الأمور لم تمض حسبما هو مرسوم لها.

قالت هارجروف: «كانت قد وعدتنا بلقاء لمدة ساعة، غير أنه ما أن دخلنا مكتبها، وكان فى حالة بغيضة... فى شدة الغضب والفزع، قالت لنا: «أمامكم 15 دقيقة» وهكذا فبدلا من أن أبادرها بالسؤال، هل قضيت اجازة لطيفة على بحيرة جراند ليك؟ قلت: لماذا يموت الناس فى المنشآت المرخصة حكوميا؟... بعدها كاد زميلى أن يقع من فوق كرسيه... وهكذا، إذا وجدت ممن أجرى معهم اللقاء الصحفى تجاوبا ومرونة فاننى أتجاوب معهم. أما إذا كانوا يريدونها عسيرة، فاننى أسعى مباشرة إلى الحصول من اللقاء على ما أريده أو على الاقل أوجه أسئلة بشأنه».

ولا تنسى، أن الأمر لايكون دائما هو ما توجهه من أسئلة وإنما المهم كيف تصيغ هذه الأسئلة لتكون مهمة.

اسأل نفسك وانت تعد الاسئلة : كيف يكون وقع هذا السؤال إذا كنت أقف على منصة الشهود وإذا ما طلب منى تبرير أساليبى وتصرفاتى فى إتمام موضوعاتى؟.

وليس من المستغرب أن يصطحب الشخص الذى سيتم معه المقابلة الصحفية محاميه. ومن ثم افترض أن المحامى سيفتش عن أى شئ فى أسئلتك يمكن أن يساعد موكله فى أي دعوى قضائية محتملة.

الوصول إلى هناك

يحدث كثيراً أن يصاب الشخص ببرودة فى أوصاله عندمايسمع بموضوع تحقيقك الصحفى، إنهم يوافقون على إجراء اللقاء الصحفى ولكن ما أن يحل الموعد حتى يغيروا رأيهم.

ماذا ستفعل حينئذ؟

تقول مارى هارجروف إنه عندما يحدث لها ذلك فإنها تلجأ إلى اقتراحات أخرى وتقول لهذه الشخصية: «حسنا هذا من حقك، فلنجرب شيئا آخر. استمع إلى الأسئلة. تستطيع أن ترفض الاجابة عليها جميعا غير أنه يوجد لدى عدة حلقات جاهزة فى الموضوع وهى تقول كذا وكذا، حسنا. والآن لا أظن أن أى انسان لايستجيب لما تقوله الصحافة، تبدو صورته مقبولة. ومع ذلك فان الاختيار مازال بيدك. وأظن أن هناك أسئلة تستطيع الاجابة عليها هنا وبسهولة. هذه هى الاسئلة. إذا أردت الاجابة عليها فلا بأس. وإذا رفضت... ولكن هذه هى الأسئلة الق عليها نظرة.

«وهم غالبا سيتجاوبون مع ماتقوله لأن معظم الناس يريدون معرفة إلى أى مدى وصلت. ومن الصعب للغاية على أى إنسان أن يجلس هناك دون أن يعلق بشئ. وهذا شئ طيب. فبمجرد أن تقول لهم، «حسنا، لست مجبراً على الإجابة»، يحدث رد فعل

ملحوظ بالارتياح لأنهم يعتقدون أنك توافق على موقفهم وأنهم يمسكون بزمام الموقف. وحينئذ تبدأ فى توجيه الأسئلة مرة أخرى».

تتفق أوليف تاللى أيضا فى الرأى بجدوى أن يكون المرء مباشراً مع من يبدون عصبية ممن تجرى معهم اللقاءات الصحفية. وتستدعى إلى الذاكرة لقاءاً صحفيا أجرته مع طبيب يفهم كثيرا فى وسائل الإعلام لم يكن يدرى إن كان يريد الحديث معها أم لا.

قالت له تاللى، «إنه من حقك تماما. ولا أحد يريد إجبارك على الحديث معى الآن ولكن.... إننى أرى أن من مصلحتك الحديث معى... وفى أى وقت ترى إنك لاترتاح إلى ما أقوله، ما عليك إلا أن تصيح فى قائلا أغربى عن وجهى أيتها العاهرة».

«لقد ابتسم فى نفسه من هذا القول وقال، يالك من إنسانة صريحة». وكان ردى عليه. «هذا ما سوف أثبته لك. إننى سوف أكون صريحة ومباشرة معك وأرجو أن تكون كذلك أنت أيضاً». وفى حياتى كلها لم يوقفنى أحد خلال لقاء صحفى. ولم يبادرنى أحد مطلقا بالقول "كفى، اغربى عن وجهى!" مطلقا».

وقد نجحت تاللى فى إجراء اللقاء الصحفى. وظل الطبيب يجيب على أسئلتها طوال ثلاث ساعات ونصف.

وفى نهاية اللقاء قال لها الطبيب إنه لم يجر لقاءاً صحفيا على هذا النحو من قبل. لماذا؟ لقد شعر فى اللقاءات السابقة أن المحررين الصحفيين لم ينصتوا حقيقة لما قاله.

وتقول تاللى: «لقد قال لى إن معظمهم يأتون إليك ويبعثون فيك شعوراً بأن لديهم شيئا ما يبحثون عنه. وبمجرد أن يحصلوا على إجابة على السؤال أو السؤالين عن هذا الشئ، يفقدون اهتمامهم ويتلهون عن اللقاء وينفد صبرهم ويودون الانتهاء سريعا من الأمر».

وأحيانا لايصيب الشخص موضوع اللقاء برودة الأوصال. بل إنك تلقى أذنا صماء عن اللقاء برمته. إنك تتصل مرارا ومرارا بمحامى هذا الشخص ومع ذلك لاتحصل على موافقة على اللقاء.

إرسل إليه خطابا - ويفضل أن يكون بعلم وصول حتى تحصل على إيصال بأنه قد تسلمه. وتشرح فى هذا الخطاب الموضوع الذى تقوم به وتكتب فيه الاسئلة التى ترغب فى توجيهها. أوضح له تماما أنك تريد من هذا اللقاء التعرف على وجهة نظره فى هذا الموضوع.

وقد أحرزت مارى نيزويندر، وهى من كتاب التحقيقات الصحفية السابقين فى صحيفة لونج بيتش اندبندنت تلجرام، نجاحا كبيرا فى كتابة مثل هذه الخطابات.

ترجع نيزويندر بذاكرتها إلى الوراء وتقول: «كانت انجيلا وهى من العناصر النشطة فى حركة السود التى اعتقلتها الشرطة فى مارين كاونتى، بولاية كاليفورنيا ترفض بعد اعتقالها الحديث مع أى أنسان. ومع ذلك فقد تحدثت إلىّ بعد أن أرسلت لها ولمحاميها خطابا».

«كنت أعلم انها ستحاكم فى كاليفورنيا وكنت أحاول نقل هذه المحاكمة إلى سان خوزيه. فقد كانت لنا صحيفة تصدر فى اسن خوزيه (ذى ميركيورى نيوز). وكان لنا أيضا صحفا أخرى تصدر فى جميع أنحاء الولاية. وهكذا فهى لن تحظى بأفضل من هذه التغطية الاعلامية.

وفى خطابى إليها، أشرت إلى بضعة أشياء يمكن أن تجعلها تصل بنفسها إلى نفس هذه النتيجة. وأنا على ثقة من أنها فكرت فى أنها تستطيع استغلال هذا اللقاء لصالحها.

«وأظن أننى كنت سأفعل نفس الشئ».

أرادت نيزويندر مرة أن تجرى مقابلة صحفية مع سفاح ارتكب جرائم قتل جماعية. وهو واحد من السفاحين الكثيرين فى كاليفورنيا- وكتبت له خطابا فى السجن.

تقول: «أعيد الخطاب إلى باعتباره "مرفوض" من المرسل إليه. وكنت أعلم أن ذلك مجرد هراء ولكن أسقط فى يدى. ذلك أن حراس السجون ليسوا من خير من ينفذ القانون.

«وهكذا فان الخطوة التالية كانت محاولة مفاتحة محامى السفاح. «قلت له إن كل ما أسعى اليه هو معرفة أى نوع من الرجال هذا "الوحش". لابد أنه كانت له أسرة، أصدقاء، كلب أو ماشابه فى مطلع حياته.

«حصلت على موافقته بشرط عدم الاشارة إلى جرائم القتل التى تورط فيها - تلك الجرائم التى قام فيها بقتل خمس فتيات مراهقات بعد تعذيبهن.

«سارت المقابلة سيرا حسنا. حدثنى عن المرحلة المبكرة من حياته، وعن أمه بالتبنى، وعن متاعبه الكثيرة مع النساء، وما إلى ذلك. ولم أسأله عن جرائم القتل. لقد وعدت بذلك وكان التحقيق الذى نشرته نبذة أمينة عن حياة السفاح. ولكنه لم يكن هو ما أريده من التحقيق الصحفى.

«وخلال أسبوع دق جرس التليفون فى مكتبى.

«لقد كان يحدثنى من السجن ويريد أن يرانى مرة أخرى. وفى هذه المرة لم أتعهد لأحد بشئ.

«فى تلك المقابلة الثانية تحدث عن الجرائم - واعترف لى بدوره فيها، بل سمح لى بقراءة "صحيفته" التى كتبها بخط يده عن عمليات الاغتصاب والتعذيب التى ارتكبها، وعمليات التشويه والقتل، بل إنه حكى لى كيف قام بدفن الجثث. حتى إننى كنت أذكره من حين لآخر بأننى محررة صحفية وأننى أدون مذكرات، كثير من المذكرات لما يقول.

«وتم نشر الموضوع فى اليوم التالى. وانتهى به المطاف إلى أنه استخدم فى المحكمة كقرينة للحكم عليه بالاعدام.

«ومازال يكتب لى أثناء انتظاره لتنفيذ الحكم فى سان كوينتين. وما زال يكتب لى عن متاعبه مع النساء وتزوج وهو فى السجن واتهم بالتحرش بابنة زوجته أثناء إحدى الزيارات "الحميمة" مع زوجته.

«غير أنه لم يكن يعرف متى يتوقف عن البوح خلال اللقاء الصحفى.

«ولم يكن هناك كثيرين يعرفون ذلك حينئذ، بما فيهم المحررين الصحفيين أنفسهم».

ودية أم لا

تميل أوليف تاللى إلى انتهاج الأسلوب الودى غير المتحدى أو العدائى فى هذه اللقاءات الصحفية لأنها تناسب شخصيتها.

وتقول تاللى: «هناك شئ يجب أن يفعله أى إنسان. وهو أن يتصرف بأمانة. أن يقول للناس أنهم لن يشعروا مطلقا باندهاش مما أكتبه عنهم، لأننى سأكون، وأرجو ذلك، قد ناقشت معهم كل هذه النقاط سلفا».

وتذكر أنه مرة فى أحد اللقاءات الصحفية مع أحد الأطباء حول احتمال وجود تلاعب فى استخدام الأموال الحكومية ووجود إنفاق مشبوه فى إحدى الشركات التى لاتسعى إلى تحقيق أرباح، وكان الرجل عصبيا. «لقد كان يتوقع أننى قد جئت لأفتح عليه النيران». ولذلك فقد قلت له منذ البداية: «اسمع، لقد سمعت الكثير عنك. وسمعت الكثير من الانتقادات الموجهة إليك. كما سمعت الكثير من الأشياء الطيبة عنك. وإننى هنا أمامك لتقول لى ما ترى أنه الحقيقة، ماترى أنه قد حدث بالفعل. لقد تحدثت إلى كثير من الناس ولكننى أفضل أن أسمع منك أنت شخصيا».

قال هذا الطبيب لتاللى الكثير من الأشياء التى لم تكن تعرفها. وحتى تتحقق من مدى صدقه، كانت تلقى عليه بعض الأسئلة التى كانت تعرف إجاباتها سلفا. «وقد كان صادقا فى معظم إجاباته على هذه الأسئلة. ومن ثم فقد كان علىّ أن أمنحه ميزة الشك بالنسبة لبعض الأشياء الأخرى التى لم أكن أعرفها بعد لأنه كان صريحا ومباشراً معى».

إن تاللى ترى أن الأسلوب الأمين والمباشر دائما له مردوده.

«إننى دائما أجد ضالتى. حتى عندما يكون هناك هدف أسعى وراءه، فاننى أقول لهم إننى هنا لأعرف الحقيقة، أيا كانت، وإذا ما شعرت أنكم متورطون فى مشكلة، فسوف أقول لكم ذلك وأعطيكم الفرصة للرد. وإننى لأشعر أن هؤلاء الناس يميلون إلى عدم المراوغة فى إجاباتهم مما هم عليه عادة».

الانصات إلى المتحدث

أحيانا يقال إن كل محرر صحفى يحتفظ فى جعبته بكل صنوف الألاعيب لاستخدامها فى لقاءاته الصحفية. ربما كان ذلك صحيحا. ولكن من المستحسن غالبا أن ينحى الألاعيب جانبا. لأنها قد ترتد إليه لتصيبه بالأضرار.

فما زالت الأمانة، والمباشرة والبساطة هى أفضل السبل فى أن تتخذ المقابلة الصحفية الطريق السليم وتحتفظ بها على هذا النحو.

نجد أنه بالنسبة لهذه المقابلة النهائية، كان المحرر الصحفى الذى يقوم بالتحقيق بحاجة أيضا إلى ممارسة علم النفس.

فالشخص الذى تجرى معه المقابلة سيكون على الأرجح يعمل شيئا ما ولا يكتفى بمجرد الجلوس عند الطرف الآخر من المنضدة فى مواجهة المحرر الصحفى الذى يسعى إلى الكشف عن أشياء كريهة يود هذا الشخص لو أنها ظلت فى طى الكتمان، وقد يقوم هذا الشخص بالتملص أو الرد بمكر أو المراوغة أو بأى محاولة لتجنب الاجابة على الأسئلة.

والصحفى لايستطيع أن يجبر الشخص موضوع المقابلة على الحديث أو حتى على الإجابة بصدق. وسوف يعتمد نجاح المقابلة على الأرجح على مدى نجاح الصحفى فى قراءة نفسية هذا الشخص، واستغلال شعوره بالقلق وعدم الارتياح، فى انتزاع الإجابات.

فلنسمه أسلوبا، وليس خداعا. والصحفيون المخضرمون يطورون فى أنفسهم مهارات خاصة من أجل إقناع الأشخاص موضوع المقابلة الرافضين للحديث، بالكلام وإليك بعض الامثلة.

- التوقف لحظة. لقد توجهت بالسؤال وأجاب عليه هذا الشخص. ولكن بدلا من توجيه السؤال التالى على الفور، تنتظر فى ترقب، مما يعطى للشخصية الانطباع بأنك تنتظر سماع المزيد. فالطبيعة تبغض الفراغ. كما أن الطبيعة البشرية لاتتحمل الصمت خلال اللقاء الصحفى. ففى كثير من الاحيان، سوف يقوم الشخص موضوع المقابلة، لشعوره بعدم الارتياح لهذا الصمت، باستئناف الحديث، ليقول لك المزيد مما تود سماعه.

تقول مارى هارجروف: «إننى أجلس وأنظر فقط وأدعهم يملأون فراغ الصمت، ولسوف يملئونه. أول شئ، أنت عادة جالس فى مكتبهم... ومن ثم فهم «المضيفين» ويصعب كثيرا على الناس مجرد التحديق فى ضيوفهم. لأنك مادمت فى مكتبهم فهناك اقتناع لديهم بأنه من المفترض أن يقوموا هم بكسر هذا السكون».

- الاغاظة. من التكتيكات المفيدة أيضا أن تقوم بشكل عفوى بإلقاء معلومة حصلت عليها أثناء التحقيق تعنى شيئا ما للشخص الذى تجرى معه المقابلة.

والغرض من ذلك هو أن تجعل هذا الشخص يعرف، بطريقة غير ملحوظة، بأنك أديت ماعليك من واجبات بالنسبة لهذا التحقيق. وهذا من شأنه أيضا أن يثير تساؤل هذا الشخص عن حجم ما قد تكون تعرفه. وهذه الشكوك حول ما تعرفه فعلا من معلومات يجعل الشخص يقول لك الحقيقة على الأرجح بدلا من المخاطرة بأن تكتشف كذبه أو قوله نصف الحقيقة.

خلال التحقيقات الصحفية التى كنت أقوم بها عن الانشطة الخارجية للمدعى العام بولاية اوريجون منذ عام مضى، توصلت إلى معلومات بأنه حصل على آلاف الدولارات مقابل إلقاء محاضرات خلال سفره عبر البلاد إلى كندا لصالح جماعة تروج لعدم تجريم الماريجوانا. وكانت إيصالات تكاليف رحلاته الحكومية تشيركذبا إلى أن

رسوم شركة الطيران ستسددمن منح فيدرالية. والذى كان يحدث حقيقة هو أنه كان يدير مكتبا مصغرا للدعاية من مكتبه العام، مستخدما بطاقته الائتمانية الحكومية فى تمويل أسفاره. ثم بعد ذلك يقوم بمحاسبة المجموعة التى تروج لهذا الموضوع على أساس ضعفين أو ثلاثة أضعاف تكاليف السفر، وبذلك يستطيع تسديد تكاليف أسفاره إلى المقاطعة ويحتفظ مع ذلك بأرباح وفيرة.

تعمدت خلال المقابلة الصحفية معه، أن ألقى ببعض المعلومات الصغيرة المتفرقة - مثل أسماء مصادر معلوماتى فى المدن التى زارها- وفى النهاية سألته كم حقق من أرباح من وراء هذه الرحلة. أجاب قائلا، «أوه. نحو خمسة أو ستة آلاف دولار». وكان ذلك ضعف الرقم الذى استطعت التأكد منه.

وتقول مارى هارجروف، «هناك أيضا. طريقة أخرى، إن كنت لاتعرف الرقم، قل فقط «لقد سمعت أنه يصل إلى 10 آلاف دولار. لو أن لديك رقما معينا، فسوف يقومون بتصحيح معلوماتك. وبذلك تستكمل ماينقصك من معلومات». أما إذا كان الشخص الذى تجرى معه المقابلة يرغب فى معرفة من أعطاك ذلك الرقم، قل فقط هذا شئ سمعت به.

الأفضل. إن أبسط سؤال هو أن نسأل لماذا مرة، ومرة، ومرة. لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

فإن أبسط الأسئلة هو غالبا أفضلها لأنها تفضى إلى إجابات أفضل.

قد يبدو ذلك بدائيا ولكنه شئ يجب أن يعيه المحررون الصحفيون لأنهم قد يسقطون بسهولة فريسة لتعقيدات تحقيقاتهم.

تقول أوليف تاللى، «أيا كان مقدار خبرتك فانه من الصعب دائما أن تسأل سؤالا بسيطا لأن عندك الكثير مما يدور فى رأسك وتريد أن تغطى أكبر قدر ممكن منها. وإنك تحاول أن تفكر أثناء هذه اللحظة وتحاول أيضا أن تسبق ما تفكر فيه.

«أحيانا يصعب عليك كثيرا أن تقول "لماذا"؟

«وبصراحة، إن الاسئلة البسيطة هى التى تتلقى إجابات أفضل. ونادراً ماتؤدى جملة تقريرية إلى انتزاع إجابة ما. وفى كثير من الأحيان لن يفعل الشخص موضوع التحقيق شيئا سوى أن يومئ برأسه. إن هذا قد يناسب اللقاءات التليفزيونية ولكنه لايساعد كثيرا فى الموضوعات المكتوبة.

«إننى أحاول أن أتأكد ألا يصل بى الاحراج فى المقابلة الصحفية إلى الحد الذى أفقد فيه بساطة السؤال. وأنا أفعل ذلك بمحاولة الاحتفاظ بالتركيز: أى ما الذى نحاول الوصول إليه هنا؟».

وثمة سبب آخر فى أن الأسئلة البسيطة هى الأفضل: إنها لا تتيح فرصة كبيرة للمراوغة. فإن الشخص حاد الذكاء الذى يجرى معه اللقاء يستطيع أن يأخذ السؤال المعقد ويلويه ليجعل منه شيئا آخر غير الذى تقصده. ومن ثم فإن الاجابة لن تكون متصلة بالموضوع وبلا معنى.

- فى الموضوع. عندما تصيغ أسئلتك اجعلها مباشرة، ومختصرة وفى الموضوع. إن مثل هذه الأسئلة سوف تؤدى على الأرجح إلى إجابات مباشرة.

بعد أن أذيع أن مسئولى مدينة تاكوما بولاية واشنطن أهدروا نصف مليون دولار فى قرض لأحد المتعهدين غير الموثوق بهم ثم اختفى بعدها على الفور، وصلتنى إخبارية بأن المحامى العام الفيدرالى يحقق فى العملية، وكنت أعلم أن ممثلى الادعاء الفيدراليون يرفضون تأكيد أو نفى هذه الانباء، ولذلك اتصلت بالموظف المسئول فى جهاز المدينة المسئول عن القرض وسألته: «قل لى شيئا عن استدعاء المحامى العام الفيدرالى للشهادة» وكان هذا المسئول قد رفض حتى هذه النقطة التعليق على هذا القرض الضائع. ولكنه افترض أننى أعرف بالفعل شيئا عن هذا الموضوع، ومن ثم أكد أنه قد تم الاستشهاد بسجلات القروض للمدينة كما أمدنى بتفاصيل أخرى.

الحكمة المستخلصة من ذلك: اجعلهم يعتقدون أنك تعرف بالفعل كل شئ عن الموضوع وأنك تريد أن تعرف الموضوع من وجهة نظرهم.

ما هذا الذى سمعته حالا؟

حاول، أثناء إجراء لقاء صحفى، السعى إلى جعل من تجرى معهم اللقاء يوضحون ما يقولونه لك أو يشرحون ما تظهره الوثيقة.

وفى بعض الأحيان تعيد ترديد ما هو واضح وجلى وهم سيقرونك على ما تقول. وقد حدث ذلك لى أثناء مقابلة صحفية مهمة تتعلق بالقرض الضائع فى تاكوما.

ففى السجلات الخاصة برفع الدعاوى القضائية بالمدينة، عثرت على مذكرة داخلية من مدير إدارة تنمية المجتمع فى المدينة إلى مدير المدينة تتضمن الخطوط العريضة فى السيناريو برمته عن السبب فى تقديم القرض والسبب فى ضياعه بهذه السرعة. وكان واضحا فى المذكرة أن القرض بدأ كوسيلة لمساعدة متعهد كان من قبل عضوا فى مجلس المدينة فى سداد قرض حصل عليه بضمانات فيدرالية قبل عدة سنوات من أجل ترميم مبنى فى وسط المدينة. وقد قام المسئولون بمجلس المدينة، فى عجالة شديدة بترتيب«نقل» غير عادى للقرض إلى متعهد آخر تضخمت ثروته خلال شهور.

عندما أجريت مقابلة مع عضو مجلس المدينة السابق، جعلته يقرأ المذكرة ثم وجهت إليه السؤال، «لقد كانوا يقدمون لك خدمة، أليس كذلك؟» وكانت إجابته «نعم كان الأمر كذلك».

كان هذا الاعتراف من أحد أعضاء مجلس المدينة السابقين، بأنه تلقى من رفاقه السابقين معروفا، عنصرا رئيسيا فى مقدمة الموضوع الذى نشرناه عن ذلك القرض الأخرق.

تقول مارى هارجروف، «فى اعتقادى أنه من أسس الصحافة المتقدمة، ألا تستمع فقط إلى ما يقولونه، وإنما تفسر مايقولونه ثم تجعلهم حينئذ يشرحون لك.

«لقد قمت بالكثير على النحو التالى : (هذا ما أفهمه مما أسمعه منك، فقل لى هل أنا على صواب. لقد قلت لى توا أنك لا تحب حقيقة ما فعل السيد فلان الفلانى. هل أنا على صواب؟ هل فهمت ذلك بشكل صحيح؟)».

وهى تقول لتلامذتها من المحررين الصحفيين أن يتوقفوا ليعيدوا صياغة المعلومات التى حصلوا عليها أمام الشخص الذى يجرون معه اللقاء الصحفى. «اترك لهم الفرصة لتصحيح ذلك وبعدها... تقول جملة قاطعة فسوف يقومون بالرد عليها، نعم، أو لا، ولكن، أو هذا صحيح، أو هذا هو ما أشعر به».

لاتكن كلك آذان فقط

أن تكون مستمعا جيداً هو جوهر إجراء المقابلات الصحفية الجيدة. ولكن عليك أيضا بالنظر جيدا. فالحاستان تسيران جنبا إلى جنب.

تقول مارى نيزويندر، «إن الانصات يتيح لك بحق الاستماع إلى ماقيل، ولكن مالم يقل، هو الأهم، إن التغيرات فى مقام الصوت، الاتصال بين العيون، وإشارات اليد، ولغة الجسد، جميعها جزء من اللقاء الصحفى.

«فى كثير من الأحيان، يبدأ الشخص الذى تجرى معه اللقاء فى فقدان السيطرة. قد يكون ذلك حيويا بالنسبة للتليفزيون، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لموضوع فى صحيفة أو مجلة، ومن ثم فعليك أن تضع نهاية لهذا الأمر.

«قد تسمع وأنت منصت حشرجة فى الصوت. هذه علامة.

«قد ترى ارتعاشة فى جانب من جوانب فمه أو ترى دمعة تترقرق فى عينيه، هذه إشارة أخرى خطيرة.

«غير أنه من المهم أن لا تجعله ينهار تماما.

«لأنه إذا وصلت المقابلة إلى هذا الحد عدة مرات، فإنها تصل إلى حالة من التوقف المدوى، الذى لن تستأنف معه على الاطلاق. وأنت لاتريد لذلك أن يحدث.

«ولذلك فإنه إذا وصلت الامور معى إلى هذا الحد أقوم بتغيير الموضوع برقة، بدون أن يشعروا بأننى أفعل ذلك، إن أمكن».

"أتعلم أنك تتحلى بشجاعة كبيرة"، هى إحدى الجمل التى تساعد أحيانا فى مثل هذا الموقف.

«فهم يريدون أن يصدقوا ذلك ومن ثم يتوقف انهيارهم.» كذلك تؤمن هارجروف بمراقبة وجه الشخص موضوع اللقاء الصحفى بعناية بحثا عن أدلة. وتقدم لنا مثالا افتراضيا على نجاح ذلك.

«عندما قلت لى هذه المعلومة، مستر سميث، اختلجت قسمات وجهك. ما معنى ذلك؟ لقد بدا صوتك واثقا ولكن لم تكن تبدو كذلك. هل هناك شئ آخر لم تتطرق إليه؟».

هل سمعت بهذه؟

هناك أسلوب تتبعه مارى هارجروف وهى أن تجعل الشخص الذى تجرى معه اللقاء الصحفى يقتنع بأن الناس يتكلمون عنه.

وقد استفادت من هذا الاسلوب فى مقابلة صحفية مع ريتشارد روبرتس، ابن المبشر اورال روبرتس.

سألته، «ماذا تقول لتلك السيدة العجوز وهى تراك تقود سيارتك الكورفيت؟ لابد وأن تصل إليك نفس الأقاويل التى وصلت لى: «إن هؤلاء الناس يعيشون فى منازل تساوى ملايين الدولارات وها أنا أرسل لهم كل هذه الاموال. لم أكن أعلم أنهم أثرياء. لقد كنت أرسل لهم من نقود الضمان الاجتماعى وأشعر الآن بأننى قد خدعت».

قلت لريتشارد، «ماذا تقول لهؤلاء الناس؟ لقد سمعت بذلك، أليس كذلك؟».

«نعم فعلا. سمعت» كان رده.

وما زالت هارجروف تتذكر إجابة روبرتس:«إنك لاتستطيعين إرضاء كل الناس».

تقول هارجروف «لقد كان ذلك جزءا من الصورة، غير أنها كشفت للقارئ الكثير عنه».

إنك عندما تجعل الشخص الذى تجرى معه المقابلة الصحفية يعترف بأن المسألة تهم الناس، وأن «الناس» يتكلمون عنها، فانك تتجنب اتهامه لك بأن صحيفتك هى التى تثير المسألة.

تقول هارجروف إنه إذا كان المحرر الصحفى لايرغب فى أن يكون فى وضع من يثير التساؤل، فليقل «الناس يقولون».

وهناك تكتيك آخر يمكن استخدامه: «لقد سمعت أنك فعلت هذا. هل سمعت بذلك؟ ».

المواجهة بالحقائق

تتيح مارى هارجروف لمن تجرى معهم اللقاء الصحفى ببعض «الاخطاء» القليلة فقط فى هذه اللقاءات الختامية قبل مواجهتهم بالمعلومات المضادة.

تقول هارجروف: «إذا أخطأوا الحقيقة مرتين أو ثلاث مرات، فإننى أعود لأصححها لهم. وغالبا، أتغاضى عن الأمر عندما يكذبون على، أو أدرك أنهم يكذبون على للمره الأولى. ولكن عندما يفعلونها فى المرة الثانية فإننى أبدأ فى التعامل معهم بشدة، أما فى المرة الثالثة فأقول: «انتظر لحظة، هناك خطأ ما هنا. فان مالدى من معلومات تكشف بوضوح الخطأ!؟».

غير أنها لاتتهم هذا الشخص بأنه كاذب. ولكنها ستقول على الأرجح بدلا من ذلك: «لدى مشكلة هنا، وعليك أن تساعدنى.... ومشكلتى هى أنك قلت ذلك، ولكن مالدى من معلومات أو وثائق تقول العكس. لماذا هذا التضارب؟».

«إنك بهذا تسهل كثيرا من حصولك على إجابة مما لو قلت "غير ممكن أن يكون الأمر كذلك"».

كثيرا ما تتحول اللقاءات الصحفية إلى مباراة فى سرعة البديهة، كما أن حجم

المعلومات التى سوف يدلى بها الشخص موضوع اللقاء يتوقف غالبا على قدر المعلومات التى استطاع المحرر الصحفى الكشف عنها.

هناك صمت، ثم هناك صمت

تقول تاللى، التى تصف نفسها أساسا بأنها فتاة ريفية من تكساس أن من بين الأساليب التى تتبعها هى أن تقوم بدور الأخرس.

«إن لدى روتين الصمت وبعد ذلك لدى روتين أن أجعلهم يعرفون أننى أعددت للموضوع جيدا وأن الأمر يتوقف على الشخصية التى أجرى معها اللقاء لمعرفة ماذا أعنى ضمنا فى الحالين. وفى أحيان كثيرة أحصل منهم على الكثير بأن أظهر بعض الغباء بدلا من محاولة التباهى أمامهم بالقدر الذى لدى من المعلومات».

إذا أفرط المحرر الصحفى فى إظهار قوته، والتباهى بأنه يعرف بالفعل كل شئ، فان الشخص موضوع اللقاء قد يتساءل لماذا اذن هذا اللقاء معه. لقد تعلمت ذلك تاللى بعد عناء.

تقول، «لقد ارتكبت هذه الغلطة فى أحد اللقاءات الصحفية الحساسة. فخلال اللقاء، بدأت إحدى العاملات السابقات فى إحدى المؤسسات تصف بالتفصيل فى المقابلة التى كانت تاللى تجريها معها أحد الاجتماعات الخاصة لمجلس الادارة.

تقول تاللى، «لقد نسيت ماذا كنت أفعل ولم أكن منتبهة. ولاحظت العاملة ذلك منى وقالت لى بالحرف الواحد، (يبدو لى أنك تعرفين كل هذه الاشياء فلماذا إذن تتحدثين معى؟).

تقول تاللى أنها حاولت السيطرة على الموقف بأن قالت لها أنها سمعت هذه التفصيلات من قبل وأرادت التأكد من صحتها.

«غير أن اللقاء تغير بسبب ذلك. لأنها افترضت بعد ذلك أنني أعرف أشياء كثيرة ومن ثم لم تقل لي كل ماكانت تريد أن تقوله... وكان ذلك بمثابة تذكرة لي كنت في حاجة إلى أن أذكر بها نفسي دائما هي: دعيهم يحكون لك القصة....

«لقد كان ذلك شيئا طيبا يجب أن أتذكره لأن اللقاء الصحفي التالي كان أكثر حساسية. لقد كانت تذكرة طيبة لي إلى درجة أنني جلست هناك وليس لي من شغل سوى القول بين الحين والآخر "اوه.... اوه حقا.... لماذا؟... ياللعار! بيه، احكي لي عن ذلك، كلا!، حقيقة؟. احكي لي كل ماحدث" «كل ماعليك هو أن تجلس مستريحا وتترك لهم مهمة رواية ماحدث».

الترهيب، الجزء الأول

من أصعب المواقف التي يمكن أن تنشأ عند محاولة ترتيب إجراء لقاء صحفي ذلك الذي يطلب فيه الشخص الذي ستجرى معه اللقاء أن يقدم له المحرر الصحفي الأسئلة كتابة. وهذا يعني غالبا أن هذا الشخص يريد أن يقدم الإجابة عليها كتابة.

وبطبيعة الحال. لاتشكل الاسئلة الموجهة كتابة والرد عليها كتابة لقاءاً صحفيا. إنها شبيهة أكثر باستجوابات المحامين المكتوبة. وهي بديل هزيل لذلك التبادل الذي يتدفق بحرية بين أسئلة وإجابات تتم وجها لوجه أو عبر الهاتف.

تقول ماري هارجروف أنها أحيانا توافق على الطلب بتقديم الأسئلة كتابة.

«إننا نوافق على ذلك فقط لمجرد أن نظهر أننا حاولنا بحق الاتصال بشخص ما وحاولنا إدراج رده في تحقيقنا. ولكن يجب علينا قبل أن نبدأ العمل في تحقيقنا أن نعتبر ذلك مجرد استثناء».

ثم إنها تحدد لنفسها شروطا أخرى قبل اللجوء إلى ذلك.

تقول، «أن تقوم ببعض المفاوضات. أقول لهم، إذا كان الأمر سيتم على هذا النحو، فمن حقى أن أقوم بإعادة تحرير الاجابات. أو ربما لن أستخدم كل هذه الإجابات. إن المشكلة تتمثل فى إننى إذا أرسلت اليك قائمة بالأسئلة، ثم ثار لدى سؤال بعد ذلك، فلن تكون أمامى فرصة لتوجيهه « كما أقول أيضا، إذا كنا سنقوم به على هذا النحو، فأنا أيضا أريد منك أن تجيب على كل واحد من أسئلتى جميعها».

الترهيب، الجزء الثانى

أحيانا يوافق أخيرا الأشخاص الذين تريد إجراء لقاء صحفى معهم، ولكنهم يوافقون على لقاء قصير يستحيل الخروج منه بشئ مفيد.

وقد صادفت أوليف تاللى هذه المشكلة خلال تحقيقها الصحفى الذى استمر لمدة عام حول الرعاية الطبية فى نظام السجون الفيدرالى والذى انتهى بحصولها منه على جائزة بوليتزر.

فقد أرجأ المسؤلون فى السجون الفيدرالية أحد اللقاءات الصحفية عدة مرات. وفى النهاية، أبلغوا تاللى أنها تستطيع قضاء ساعة معهم. ولكنها استطاعت فى النهاية أن تقتنص منهم ساعتين ونصف الساعة.

«وكانت الطريقة التى وصلت بها إلى ذلك، هى فقط أن قلت لهم"اذا كنتم تريدون إنهاء اللقاء، لابأس. ولكننى سوف أنشر فى الصحيفة أنكم لم تمنحونى الوقت الكافى للاستماع إلى أسئلتى حول هذه القضية. وأنكم قد اخترتم حتى ألا نخوض فى هذه المجالات. وسوف يسعدنى أن أعلن ذلك فى الصحيفة، إن هذا الموضوع لم يكن مهما لكم بما يكفى لتستمعوا إلى أسئلتى وتعليقاتى وإن ذلك ليس من مصلحتكم...."».

وتضيف تاللى: «إن اكثر مانجحت فيه من وراء إطالة زمن اللقاء الصحفى، هو إما اقناعهم بضرورة تحرى الدقة والعدالة، أو أن أبين لهم أنه من مصلحتهم إتاحة الوقت حتى لسماع الأسئلة».

الترهيب : الجزء الثالث

لايستسلم كل الاشخاص موضوع اللقاء الصحفى بهدوء لاجراء هذا اللقاء. فهم يمارسون أساليب الترهيب وأحيانا يكون هذا الترهيب شفويا.

وأحيانا أخرى يكون أكثر صراحة.

ففى منتصف الثمانينات، سافرنا أنا وزميلى لحضور مؤتمر يعقد فى قاعة فاخرة بمكتب قانونى فى بيفرلى هيلز لاجراء مقابلة صحفية نهائية مع رئيس جمعية للمدخرات والقروض تواجه متاعب فى كاليفورنيا الجنوبية.

وكنا مسلحين بشريط تسجيل واحد. وكان أشبه شئ بمسدس لعبة فى مواجهة المدفعية الثقيلة المسلح بها الطرف الآخر المواجه لنا على طاولة اللقاء.

وقد جاء محامو الجهاز التنفيذى لجمعية المدخرات والقروض بكاتب اختزال لتدوين كل كلمة. كما أنهم قاموا بتسجيل اللقاء، فى وجود أحد الفنيين للتأكد من أن أجهزة التسجيل تلتقط كل شئ.

وكان المحامون يرغبون فى تصوير الجلسة بالفيديو ولكننا رفضنا.

وكان هناك اثنان من المحامين يمثلون رئيس الجمعية - أحدهم من المحامين المشهورين فى القضايا الجنائية والآخر متخصص فى قضايا النشر كان قد كسب قضية كبرى ضد إحدى صحف الفضائح التى لمحت إلى أن الممثلة كارول بيرنيت ظهرت علنا فى حالة سكر.

ولم يكن هناك سوى تصرف واحد فى موقف كهذا : تجاهل هذه المظاهرة المبالغ فيها والمضى قدما فى إتمام لقائك الصحفى كما خططت له فى الأصل.

ولم تنته عملية الترهيب بانتهاء المقابلة الصحفية.

فقد استمر المحامى فى قضايا النشر لعدة شهور فى إرسال سيل منهمر من خطابات التهديد.

وتقول مارى هارجروف إنها لم تصادف أبدا مقابلة صحفية يحضرها كاتب اختزال، ولكنها ألفت وجود أجهزة التسجيل والسكرتيرات اللاتى يقمن بتدوين مذكرات اختزال للقاء. «لم يكن ذلك يمثل لنا إرهابا بقدر مايمثل لهم شخصيا، ولذلك فلم يكن يعنينى ذلك فى شئ مالم يبالغوا فى ذلك باستخدام كاميرا.»

وقد واجهت موقفا استخدمت فيه كاميرا الفيديو خلال تحقيقها الصحفى عن قيام جهاز ميديكاد Medicaid باعادة تسديد فواتير أحد مدارس التمريض فى أوكلاهوما. وهو تحقيق تضمن رحلة إلى المحكمة العليا فى أوكلاهوما لفتح سجلاتها.

وتقول هارجروف: إن التحقيق استمر لمدة عام، وأنها عندما حصلت فى النهاية على التسجيلات اكتشفت أن القائمين على إدارة بيت الممرضات هذا يستخدمون سيارات من طراز كورفيت كسيارات للشركة.

«وهكذا فقد ذهبت إلى أوكلاهوما سيتى للجلوس إلى أحد هؤلاء الرجال والتحدث معهم. وقد كان الأمر بمثابة صفقة تتم فى غرفة مجلس الإدارة. وكان من المفروض أن أتحدث فقط إلى واحد أو اثنين، غير أن الحجرة كان بها نحو ستة أشخاص. وأثاروا مشكلة كبرى بضرورة وجود كاميرا للفيديو لتسجيل اللقاء، ووضعوها فى مواجهتى بحيث كانت على بعد بضع بوصات من وجهى... والتصرف الوحيد فى مثل هذا الموقف هو المضى قدما وإتمام اللقاء حسبما تقوم به عادة».

وتقول هارجروف إنها لم تترك لكاميرا الفيديو الفرصة لمضايقتها لأنها كانت تدير هى أيضا جهاز التسجيل الخاص بها. «لقد كان لها نفس التأثير كما لو كانوا يستخدمون جهاز التسجيل الخاص بهم ومن ثم فلم أبالى بالفعل بالأمر».

الخلاصـــة

من الأهمية بمكان ألا تنسى السبب فى وجودك هناك.

إن عملية التحقيق الصحفى الذى تقوم به تصل إلى ذروتها عندما تواجه الشخص أو الأشخاص الذين تعتزم الكتابة عنهم، وأن تكشف النقاب عما توصلت إليه، وأن تسألهم «كيف تبررون ذلك؟ ماهى إجابتكم؟ لماذا حدث ذلك؟ ما قولك فى ذلك؟».

ولكن لابد من إعطائهم الفرصة للإجابة.

إنك تقوم بعملك من أجل العدالة.

وتقوم به من أجل الدقة.

وتقوم به أيضا لأن هذه المقابلة الصحفية- التى يجب أن تنشر- هى أهم وأشق مرحلة فى عملية التحقيق الصحفى برمتها. وربما ينجم عنها تصريحات هائلة، أو اعترافات مذهلة، أو تفسيرات مدهشة، والأهم من ذلك، أن ينجم عنها تأكيد أو نفى لاستنتاجاتك الأساسية من هذا التحقيق. وإذا ماسارت الأمور على مايرام، فان هذه اللقاءات الصحفية قد تنتهى بك إلى موضوع تحقيق صحفى جيد كما أردت له أن يكون.

الفصل الثالث

العمل الصحفى بمساعدة الكمبيوتر

لقد ساهمت برامج الكمبيوتر التى فى متناول اليد فى التيسير كثيرا فى استخدام الكمبيوتر الشخصى فى أداء المهام التى اعتدت على أن يقوم بها الكمبيوتر الكبير المركزى. وفى هذا الفصل نتعرف على كيفية الاستفادة من هذا التطور سواء من حيث التعامل مع البيانات التى تقوم بتجميعها أو بتحليل أشرطة التسجيل التى تحصل عليها من المكاتب الحكومية المحلية أو الخاصة بالولايات أو الفيدرالية. هذا فضلا عن عرض عشرات من الأمثلة المقدمة من الصحف ومحطات التليفزيون فى جميع أنحاء البلاد.

في ديسمبر عام 1991، اذاعت محطة KOMU التليفزيونية في كولومبيا بولاية مونتانا حلقات على مدى خمسة أيام من إعداد دانيد هينشمان الذى اكتشف أنه «على الرغم من نفى الحكومة، فإن السجلات الحكومية خلال السنوات الخمس الماضية تفيد بأن إدارة السلامة والصحة المهنية Occupational Safety and Health Adminis-tration(OSHA) لم تكتشف سوى 39 في المائة من حالات الوفاة في محل العمل والتى وقعت فى نطاق سلطاتها القضائية. وأن اكبر شركة خاصة فى العالم وهى شركة كارجيل Cargill تدير مصنعاً لتحضير وتعبئة الديكة الرومية يتسبب بصورة روتينية فى إصابة عماله بالعجز والاعاقة. وقد فشلت هذه الوكالة إلى حد بعيد فى إجبار المصنع على إجراء تغييرات. وفى سانت لويس، لم يبد المدعى العام المحلى اهتماما بالتحقيق فى حالة وفاة فى موقع العمل حتى برغم أن OSHA اكتشفت ستة انتهاكات متعمدة». (إن هذا المثال والأمثلة الأخرى الواردة فى هذا الفصل عن العمل الصحفى بمساعدة الكمبيوتر مأخوذة من كتاب «مختارت من تحقيقات صحفية تمت بمساعدة الكمبيوتر موجودة فى تقنيات أرشيف IRE، والتى أعدها مجموعة من كتاب ورؤساء أقسام التحقيقات الصحفية فى 1992)[1].

هذا ما تتفوق فيه أجهزة الكمبيوتر(وبرامج الكمبيوتر المتخصصة)، إنه علم الرياضيات، بما فى ذلك الحساب، واكتشاف الانماط. وهذا هو كل شئ.

إن فى ذلك مايكفى، بشرط أن تقوم أنت أيضاً بواجبك وواجبك هنا يتمثل فى تعلم مايكفى للاستفادة من هذا الجهاز الموجود على مكتبك مما هو أكثر من مجرد تخزين الكلمات أو الألعاب الإلكترونية. ولا داعى للذعر فقد تدافع الصحفيون من جميع أنحاء البلاد على هذه التكنولوجيا فى الأعوام الأخيرة، وهو مايثبت أن أسعار برامج الكمبيوتر أصبحت فى متناول اليد، وأصبح استخدامهاأسهل وأن البيانات قد أصبحت أكثر توفراً بوجه عام.

يتناول الفصل الرابع من هذا الكتاب كيفية الاستفادة بحنكة من قواعد بيانات النصوص الحكومية أو الخاصة التى تحتوى على المقالات، أو الخطب، أو الكتب أو على

الاقل تنويهات عنها، وفى هذا الفصل مقتطفات وأمثلة عن كيفية استخدام الكمبيوتر الخاص بك لوضع قائمة بيانات حصلت عليها من مكان آخر، غالبا من وكالات محلية أو تابعة للولايات أو فيدرالية، أو تحليل هذه البيانات أو الاثنين معا.

> فى ابريل عام 1986، نشرت صحيفة نيوز آند صن سنتينيل - News and Sun Sentinel التى تصدر فى فورت لودرديل حلقات كتبها فريد شولت تكشف أن «نوعية الرعاية الصحية التى تقدمها المستشفيات التابعة لإدارة المحاربين القدماء Veterans Administration (VA) أقل من المستوى (حتى بالمستوى الذى وضعته لنفسها). وتم كشف النقاب عن آلاف الوفيات بين المرضى والجرحى فى مستشفيات VA فضلا عن الأخطاء فى أوراق اعتماد جراحى القلب فى VA والاهمال فى عقاب الأطباء المهملين كما أنه تبين أن المستشفيات فى المناطق الصغيرة والبعيدة سيئة بنوع خاص».

أنواع قواعد البيانات

إن العمل الصحفى بمساعدة الكمبيوتر (CAR)، يتضمن استخدام واحدة من نوعين من قواعد البيانات أو كليهما - أحدهما قواعد البيانات التى يحتفظ بها الآخرون (الجهات الحكومية المحلية أو التابعة للولايات أو الفيدرالية) أو تلك الخاصة بك.

1- تحتوى قواعد بيانات الكمبيوتر الحكومية على معلومات مثل سجلات الجرائم، والرهونات العقارية، والتنويهات الخاصة بالمرور، وبيانات التعداد، والمحاكم القضائية وآلاف غيرها من أنواع السجلات.

يطلب المحررون الصحفيون من الجهة الحكومية نسخ الملف بأكمله (مجموعة التسجيلات) من الشرائط ذات التسع مسارات ومن أول البكرة وحتى انتقاله إلى البكرة الأخرى(تماما مثلما ترى فى السينما) وبثها فى جهازك. (تستطيع الحصول على

أشرطة فارغة للتسجيل عليها من عمال تشغيل جهاز الكمبيوتر لديك فى الصحيفة أو محطة التليفزيون التى تعمل بها، أو تستطيع أن تسأل الحكومة عن الجهة التى تشترى منها أشرطتهم والحصول عليها من نفس المكان).

احضر النسخ إلى المكتب واستعن بشخص يعمل فى البحوث أو التسويق لتحميل الأشرطة فى جهاز الكمبيوتر المركزى حتى تتمكن من العثور على إجابات لأسئلتك بمعاونتهم.

أو حَمل الاشرطة على جهاز الكمبيوتر الشخصى لديك (PC) بعد نسخ البيانات على قرص أو استخدام أجهزة الكمبيوتر التجارية المخصصة فى ترجمة البيانات المسجلة على أشرطة التسع مسارات إلى بيانات مقروءة على الكمبيوتر الشخصى.

أو افتح حسابا فى مركز كمبيوتر الكلية المحلى، وحمل البيانات على الكمبيوتر المركزى فيه، استخدم برامج الكمبيوتر لديه فى إدخالها إلى الكمبيوتر الشخصى عن طريق موديم Modem خاص لتحليل البيانات.

2- تستطيع أن تنشئ قواعد بيانات من مثل هذه المصادر. إذ أن السجلات الحكومية مازالت محفوظة فى أوراق، بالاضافة إلى تحميل لقاءاتك الصحفية، وقراءاتك أو أى شئ آخر، على جهاز الـ PC (الكمبيوتر الشخصى) واستخدام البرامج المتوفرة للمساعدة فى التنظيم والخروج بشئ له معنى من البيانات عن طريق، مثلا، إيجاد أنماط أو علاقات.

فى يونيو عام 1988، نشرت صحيفة برمنجهام بوست هيرالد حلقات على مدى خمسة أيام بقلم توماس هارجروف تبين وجود «مخالفات واسعة النطاق فى الطريقة التى أديرت بها الانتخابات فى ولاية آلاباما. ففى 11 مقاطعة كان عدد الناخبين المسجل يزيد عن العدد الفعلى للسكان. كما أن قوائم الناخبين ظلت فى زيادة مضطردة فى الفترة ما بين عام 1984 و1988 على الرغم من صدور قانون يقضى بتنقية جميع قوائم الناخبين. وكانت أسوأ مخالفات فى المقاطعات الزراعية الفقيرة، وفى المقاطعات التى كانت تدفع للقضاة الشهود على صحة الانتخابات مكافآتهم بواقع كل

ناخب مقيد كان الاحتمال كبيرا فى تضخم قوائم ناخبيها عن المقاطعات التى تدفع للقضاة مرتبات محددة. وقد ثبت فى المقاطعات التى كان يحدث بها معدلات مرتفعة من الغياب عن التصويت على نحو مشبوه أن قوائم الناخبين فيها غير دقيقة".

انواع البرامج

قاعدة البيانات، اذن، ليست سوى مجموعة من التسجيلات من نفس المصدر أو نفس المصادر المختلفة - مثل الاسماء، العناوين، أرقام التليفونات، سجلات الانتخابات، المدفوعات للضرائب- حملت على الكمبيوتر الخاص بك. وتقوم برامج الكمبيوتر بالبحث عن المعلومات وإخراجها لك بالطرق التى توجهها بها - سواء بالترتيب الابجدى، أو بالتاريخ، أو العنوان، أو تشريع معين - بحيث تخلق بذلك قائمة جديدة.

طوال عام 1991، نشرت صحيفة نيوزداى سلسلة من المقالات بقلم بينى لويب وتوم براون استندت إلى «تحليل للسجلات المالية لمدينة نيويورك التى كشفت أن هناك زيادة فى فواتير الضرائب التى يدفعها السكان على العقارات والمياه والصرف الصحى تصل إلى 275 مليون دولار. كذلك تم تخفيض الضرائب على المقاولين الكبار ممن لهم اتصالات سياسية واسعة تصل قيمة التخفيضات على الأقل إلى 50 مليون دولار. لانهم حصلوا على تخفيضات لا يستحقونها فى الضرائب على الممتلكات.

هناك أربعة أنواع رئيسية من البرامج التى تستخدم عادة فى هذا النوع من العمل:

1- قاعدة بيانات لملف عادى flat file، مثل برنامج شركة مايكروسوفت، ويباع بسعر السوق بنحو 100 دولار [2]. ان الملف العادى هو أبسط برامج قواعد البيانات. بمعنى أنه يقوم بأقل الأشياء ولا يتطلب سوى أقل قدر من التعليم والمجهود. وهو أساساً عبارة عن مجموعة من القوائم.

2- قاعدة بيانات العلاقات، مثل برنامج Borland's Paradox، ويصل سعره إلى نحو 300 دولار. ويستطيع هذا البرنامج أن يحمل مجموعة من الملفات العادية ويظهرها فى نوع من العلاقة المتبادلة بينها وينشئ قائمة تظهر هذه العلاقات بعدة طرق مختلفة. فعلى سبيل المثال، قد تأخذ ملفات المسئولين المنتخبين فى الكونجرس، وملف أعضاء لجنة العمل السياسى Political Action Committee. (لجان جمع التبرعات للمرشحين فى الانتخابات) لتبرعات PAC، وملف عن سجل التصويت الخاص بهم على قوانين مرتبطة بمصالح الـPAC ، وملف عن أجور إلقاء الخطب، وملف عن العقود التى أبرمها أعضاء الكونجرس مع شركات خاصة أو مع أفراد قبل انتخابهم. والشئ المشترك فى جميع هذه الملفات البسيطة هو عضو الكونجرس أو المشرع. وتستطيع قاعدة بيانات العلاقات إدماج القوائم بعدة طرق أمامك لترى البيانات الجديدة. وبذلك تبرز أنماط السلوك التى تستحق الكتابة عنها.

بمعنى، أن قاعدة البيانات ستعثر على أية علاقة مشتركة بين الأموال وأصوات الناخبين. غير أنها لن تبين لك أسباب هذه العلاقة. فالعلاقة المشتركة ليست سببا فى حد ذاتها. وقد تبين لك قاعدة البيانات أن المسئول الذى انتخبته تلقى 500 ألف دولار من شركات نقل من خارج الولاية، وأنه تلقى 150 ألف دولار أخرى كأجر عن إلقاء بعض الخطب من شركات نقل أخرى وأنه صوت إلى جانب مصالح قطاع شركات النقل فى 95% من الحالات. وقاعدة البيانات لاتظهر ولا تستطيع أن تظهر أن عضو الكونجرس هذا يتلقى رشاوى أو أن تصويته على هذا النحو كان بسبب تلقيه أموالا أو أنه كان يتلقى أموالا لأنه يصوت على هذا النحو.

ومع ذلك، فانه ستظهر لك خريطة رائعة للطرق التى تستحق منك استكشافها.

3- منسق حسابات، مثل برنامج لوتس Lotus 1-2-3 الذى يباع بنحو 400 دولار. وعلى الرغم من أن هذه البرامج صممت خصيصا للاستخدام فى الحسابات، فإنها تعتبر قاعدة بيانات قوية يمكن استخدامها بسهولة لتحليل الملفات التى تتضمن بيانات

مثل تعداد السكان، وتقييم الضرائب على الممتلكات وغيرها من الموضوعات التى لاتحتاج إلى قدرات معقدة لقاعدة بيانات أكثر تقدماً للبحث عن علاقات.

4- المجموعة الاحصائية، مثل البرنامج الاحصائى للعلوم الاجتماعية (SPSS PC+) التى تباع بنحو 200 دولار لمجموعة القاعدة، مع وحدات قياس متخصصة تتكلف عدة مئات أخرى من الدولارات. وعلى الرغم من أنها صممت خصيصا لمن يحتاجون إلى معالجة احصائية معقدة وبارعة للبيانات، كذلك يمكن استخدام المجموعات الاحصائية كقواعد لبيانات البحث عن العلاقات.

فعلى سبيل المثال، استخدم ديفيد بيرس ديمرس، وهو أستاذ مساعد فى الصحافة فى جامعة ويسكونسن فى ريفر فولز الـ SPSS PC+ لتحليل 5.508 عمليات بيع للممتلكات فى مينيسوتا لاحدى المجلات نصف الشهرية فى مينيابولس. وقد أظهر التحليل الذى أجراه مجموعة من «الأشخاص الذين يمتلكون ممتلكات مرتفعة الاسعار، يدفعون، كمجموعة، أقل من نصيبهم العادل من الضرائب، بينما يدفع الكثير من أولئك الذين يمتلكون ممتلكات منخفضة السعر أكثر مما يجب». كذلك كشف التحليل أن أصحاب الشركات والممتلكات الزراعية يدفعون أقل كثيرا مما يجب عليهم أن يدفعوه. وهكذا فإن أصحاب المنازل والمؤجرين يقومون، فى الواقع بدعمهم ضرائبيا.

إن الاختلافات بين هذه الأنواع الأربعة من برامج الكمبيوتر مستمرة فى التلاشى لأن مصممى هذه البرامج يتسابقون لزيادة قدرات برامجهم فى محاولة لاجتذاب المستخدمين الجدد للكمبيوتر. كذلك، فانه يمكن دائما قراءة ومعالجة البيانات الموجودة على أحد أنواع البرامج بواسطة البرنامج الآخر. فعلى سبيل المثال، يمكن للبرنامج SPSS PC+ قراءة وتحليل البيانات الموجودة على البرنامج Lotus 3 -2 -1.

فى ابريل عام 1989. نشرت صحيفة ستار تريبيون حلقات فى ستة أيام بقلم ديفيد بيترسون تشير إلى أن «أكثر من 40 ألفا من سكان ولاية مينيسوتا يلتحقون، كل عام فى مدارس مهنية يستأثر خريجوها بـ 90% من معدل التعيين فى الوظائف، وقد أعلن هذا الرقم فى كراسات جذب المرشحين لهذه المدارس وفى التقارير المرسلة إلى

المشرفين الحكوميين. ولكن، حقيقة الأمر، أن نحو نصف عدد الطلبة الذين أتموا تدريبهم فى المدارس نجحوا فى العثور على وظيفة دائمة ولساعات عمل كاملة فى مجال تخصصهم. كما أن كثيرين ممن نجحوا فى ذلك يحصلون على أجور تقل عن المستوى الفيدرالى لخط الفقر. واكتشفت صحيفة ستار تريبيون أساليب مراوغة للخداع وأخطاء إحصائية تعزز المبالغات التى تعلنها هذه المدارس. وفى الوقت نفسه، أنفقت مينيسوتا الملايين من أموال الضرائب على برامج كان يتعين إلغاؤها بناء على المعايير التى تشترطها الولاية».

إليك مايجب عليك أن تفعله بالنسبة لقاعدة بيانات للعلاقات أو قاعدة بيانات عادية: تقوم بعمل نموذج رئيسى، نموذج مطبوع، يوجد به خط منفصل (أو مجال) لكل نوع من المعلومات التى تعتزم جمعها. فعلى سبيل المثال، لتقل إنك تقوم بتحقيق إخبارى عن الحرائق المتعمدة، وسوف يكون النموذج الرئيسى لك يشبه نموذج الحرائق الموجود على صفحة (141).

فى نوفمبر 1989، نشرت صحيفة دايتون ديلى نيوز تحقيقا صحفيا فى حلقات لمدة ثلاثة أيام بقلم جون دوارتى وديف ديفيز يشير إلى أنه «على الرغم من أن أجيالا من العائلات قد شبت بجوار مصانع الصلب، ومصانع الورق، ومصانع السيارات المنتشرة هنا وهناك فى وادى «ميامى فالى» بولاية أوهايو، فإن القليل منهم يعرفون حقيقة المواد السامة التى تأتيهم من المصانع المجاورة لهم. وقد قدمت هذه الحلقات للقراء فى منطقة تضم سبع مقاطعات بيانا ثابتا بالادلة لأنواع المواد السامة التى تدفن فى أراضيها. وبالأخطار التى تمثلها هذه المواد. وتبين أن بعض المناطق فى هذا الاقليم من بين أقذر المناطق فى امريكا. ملايين الأرطال من المواد السامة التى تسبب السرطان وتدمر طبقة الاوزون تنطلق من المصانع الملاصقة للسكان.

فعلى سبيل المثال، اكتشفنا أن شركة للصلب فى مدينة ميدلتاون بولاية أوهايو تطلق مليون رطل من مادة البنزين المسبب للسرطان كل عام على بعد خطوات فقط من سور مدرسة ابتدائية. كما أن الكثير من الأحياء المعرضة للخطر أكثر من غيرها يسكنها عمال وعائلاتهم الذين تقبلوا مخاطر التلوث كأمر لامفر منه من أجل لقمة

العيش. وبعض الشركات تجنبت التبليغ عن الانبعاثات السامة من مصانعها عن طريق القيام بلعبة معقدة تخفى بها مخلفاتها عن أعين الجمهور».

إن هذه الطبعة أو النموذج الرئيسى هو ما تستخدمه فى كل مرة تريد الدخول على الكمبيوتر. وفى كل مرة تفتح فيها سجلا جديدا للاطفاء، فإنك تبدأ بنسخة من النموذج الرئيسى. وكل خط قائم بمفرده يسمى حقل "Field" ويمكنك أن تسأل الكمبيوتر وفقا لهذه الحقول، التى ترتبها بما يوافق احتياجاتك.

وبعد مضى، لنقل ستة أشهر، ستجد أنك قمت بتحليل 1000 حريق، كل واحد منها له سجل فى قاعدة بياناتك، وكل سجل يوجد به 35 مجالا أو نحو ذلك.

وأنك عندما تسأل الكمبيوتر التصنيف لكل مجال على حدة، فإنك قد تجد، افتراضا، أن:

- نصف دستة أو نحو ذلك من العناوين منيت بثلاث حرائق أو أكثر على امتداد فترة 25 عاماً.
- معظم ملاك المنازل ممن يستخدمون المنظم العام يستخدمون نفس الشخص.
- كل الاصلاحات الخاصة بالحريق تقريبا قامت بها نفس الشركة.
- قائد فرقة إطفاء الحرائق ذاته منى باشتعال الحرائق فى ممتلكات مختلفة له أو له فيها مصالح خاصة. بالسوء الحظ.
- سبعة من معارف قائد فريق إطفاء الحريق المقربين عانوا من عشرات من الحرائق التى اشتعلت فى ممتلكات لديهم أو لهم فيها مصالح مالية - سوء حظ بصورة خارقة للعادة.
- بمقارنة تواريخ الأذون الصادرة لاصلاح الخسائر المترتبة على الحريق مع التواريخ الفعلية لاشتعال الحرائق- تبين أن تصاريح ترميم المبانى التى منيت بخسائر بسبب الحريق قد صدرت فى مناسبتين: قبل أيام أو أسابيع من التاريخ الفعلى لاشتعال الحريق - ياله من بعد نظر يثير الذهن .

وهكذا وهكذا.

استمارة حريق

عنوان المنزل المصاب بالحريق

اسماء أصحاب المنزل

تاريخ الحريق

اسم مسئول مكافحة الحريق فى الموقع

السيطرة على سبب الحريق

اسم القائم بعملية السيطرة

تقرير الشرطة

اسم محدد التعويض

المؤمّن

قيمة خسائر المبنى

قيمة محتويات المبنى

النزاع القضائى ونتيجته

بحث ملكية الأرض

وجهة نظر المالك

وكل ما يمكن أن تفكر فيه الآن، أو فيما بعد.

وفى نوفمبر عام 1990 ، اذاعت محطة WRC التليفزيونية فى واشنطن حلقات على مدى أربعة أيام من إعداد لياتومسون وكريس زيتشنى، وساندرا توماس وورودى سكوت كشفت عن حدوث « أكثر من 3300 حالة وفاة و 52 ألف إصابة مرتبطة بقصور المعدات الطبية التى يفترض فيها أنها تنقذ الأرواح، وقد ركزت الحلقات الانتباه للمرة الأولى على فشل أجهزة للقلب تسمى احهزة وقف الاختلاج العضلى. وخلال السنوات الست السابقة توفى أشخاص آخرون من قصور أجهزة القلب هذه وسوء استخدامها أكثر من الوفيات التى حدثت من أى جهاز طبى آخر وافقت عليه إدارة الاغذية والأدوية Food and Drug Administration (FDA)، وكانت بعض حالات الوفاة التى بلغ عددها 512 حالة ترجع إلى أخطاء ارتكبها المعاونون الطبيون الذين فشلوا فى استخدام أو صيانة معداتهم على نحو سليم. غير انه فى 128 حالة على الاقل، ألقت فيها الـFDA بالمسئولية على خطأ فى تصميم المعدات، أو كسر فى أحد مكونات الجهاز أو أخطاء فى تصميم المعدات، أو كسر فى أحد مكونات الجهاز أو أخطاء اخرى فى الاجهزة ذاتها..... »

والآن لنجعل تحرياتنا أكثر تعقيدا.

لنفترض أننا قررنا تحليل نوعية العدالة التى يصدرها قضاة المحاكم الجنائية الخمس فى مدينتنا.

إننا نقوم بتفريغ أشرطة الكمبيوتر لكل حكم صدر على امتداد السنوات الخمس الماضية وبعد ذلك نصنف المتهمين من حيث الجريمة، والعنصر، والجنس، والدخل[3]. ثم نقوم بادخال اسم كل محام مثّل المتهمين. فماذا يمكن أن نكتشف؟

- القاضى ب سيصدر على الأرجح أحكاما بالسجن على النساء أكثر من الرجال الذين يرتكبون نفس الجريمة ولهم صحيفة سوابق مماثلة، وذلك مقارنة بالقضاة الاربعة الآخرين.
- المحامون الذين يدافعون عن المتهمين لم يكسبوا إلا فى نحو 20 فى المائة من المرات التى دافعوا فيها أمام هؤلاء القضاة، أى أنه فى 80 فى المائة من المرات لم يخرج

زبائنهم من قاعة المحكمة إلا بعقوبة ما. غير أن هناك ثلاثة محامين، وجميعهم يعملون في نفس الشركة، ستكون فرصتهم مضاعفة في المتوسط عندما يحاكم موكلوهم أمام محكمة القاضي هـ. لماذا؟

- هذا فضلا عن أنه لم يعد مسموحاً للمحامين باختيار القضاة وذلك بناء على الاصلاح القضائي الذي نفذ قبل ست سنوات. غير أن 80 في المائة من قضايا هؤلاء المحامين الثلاثة السوبر تعرض قضاياهم أمام القاضي هـ. لماذا؟
- هؤلاء القضاة الخمسة يصدرون بصفة عامة حكما شديد القسوة ضد من يحاكمون بتهمة الاتجار في الهيروين لأول مرة. فخلال السنوات الخمس، موضع دراستنا، حصل 95 في المائة من المدانين بالاتجار في المخدرات على أحكام بالسجن. غير أنه، وهذا هو المدهش في الأمر، عندما يتكرر محاكمة هؤلاء الاشخاص بنفس التهمة، فالأرجح كثيرا أن يظلوا خارج السجن، ويقضون عقوبتهم بدلا من ذلك في برامج تأهيلية بأمر المحكمة.
- الأشخاص المدانون بكافة أنواع الجرائم تصدر ضدهم أحكام شديدة التباين، على الرغم من وجود توجيهات بأحكام إلزامية، وكان أكثر الانماط اللافتة للنظر هو أن أولئك المتهمين الذين يعيشون في أحياء أكثر ثراء يتلقون معاملة متساهلة بشكل ملحوظ من القضاة الخمسة.

> في ديسمبر عام 1990، نشرت صحيفة ساكرامنتو بي على مدى يومين حلقتين بقلم فايز عليم ومايكل جي. واجنر وجيم ماير قاموا فيها بتحليل الحرب على المخدرات في مقاطعة ساكرامنتو في عام 1989 واكتشفوا أن «الحرب على المخدرات كانت فشلا باهظ التكلفة استهدف السود، والفقراء، والمدمنين. وعلى الرغم من أن البيض يمثلون غالبية متعاطي المخدرات في مقاطعة ساكرامنتو، ويمثلون غالبية المواطنين فيها، فإن السود كانوا يمثلون غالبية ممن اعتقلوا في جرائم متعلقة بالمخدرات. وكانت استراتيجية هذه الحرب بالدرجة الاولى تتعلق بمتعاطي المخدرات، وليس بمروجيها وكبار التجار فيها. وكانت أكثر تهم جرائم المخدرات استخداما هي

الحيازة، وأن 88 في المائة ممن ألقى القبض عليهم اعترفوا بتعاطى المخدرات. وكان 80% من بين الذين وجهت إليهم التهم الثلاث التى يتكرر توجيهها للمتهمين فى جرائم المخدرات من العاطلين. وأن جميع من كانوا يعملون منهم تقريبا كانوا يحصلون على الحد الادنى من الأجور. وكان أقل من نصفهم حاصلين على دبلوم المدارس العليا . وكان معظم أولئك الذين ألقى القبض عليهم فى تهم المخدرات قد اعتقلوا من قبل بنفس التهم، وكان نحو نصفهم ممن يخضعون للمراقبة أو من المفرج عنهم عندما ألقى القبض عليهم آخر مرة. وقد تبين أن هذه الدورة التى تحدث فى تزايد مستمر. وأن متوسط تكلفة عملية اعتقال واحدة متعلقة بجرائم المخدرات وادانة مرتكبها تبلغ 11 ألفاً و 500 دولار، أى أكثر من ضعف ما ينفق على تعليم طفل لمدة عام فى مقاطعة ساكرامنتو».

هل من الممكن حقا أن يكون تحليل المعلومات بمساعدة الكمبيوتر على هذا النحو من السهولة ؟

نعم ولا .

إن الكمبيوتر الشخصى يستطيع أن يمدك بالاجابات فى سرعة مدهشة. أيا كان عدد القضايا التى تزوده بها. أسرع إلى أى مدى؟ أسرع من الوقت الذى تستغرقه فى قراءة هذه الفقرة.

التغلب على العقبات

غير أن هناك عددا من العقبات التى يجب التغلب عليها من بينها :

- ضرورة أن يكون لديك تجهيزات فى الكمبيوتر سريعة إلى حد ما .
- ضرورة المثابرة عندما تحاول إقناع الوكالة الحكومية بالتصريح لك بالحصول على البيانات.

- ضرورة مساومة الحكومة فى تخفيض رسومها إلى الحد المعقول بعد أن تنجح فى النهاية فى إقناع المسئولين بالتصريح لك بالحصول على البيانات.
- ضرورة العمل بصفة لانهائية على تنقية البيانات، ومراجعة خلوها من الأخطاء وعدم الاتساق.
- ضرورة قيامك، لدى استخدامك لبرنامج الكمبيوتر لأول مرة، بصعود سلم طويل وبطئ من التعليم حتى تنجح الأمور معك (باستثناء برامج الملفات البسيطة).
- ضرورة لجوئك إلى طلب المساعدة من أشخاص متمرسين فى تحليل البيانات.

سوف نقوم بمناقشة كل واحد من هذه الموضوعات.

فى ديسمبر عام 1991، نشرت صحيفة بيكون جورنال (اكرون) حلقات فى ثلاثة أيام بقلم جولين ليمباتشر وبوب بينتر تظهر أن "النظام فى مدينة أوهايو لا يريد أو لا يستطيع منع تكرار عودة السائقين المخمورين إلى القيادة من جديد. وكشفت الحلقات عن أن ولاية أوهايو متخلفة كثيرا عن الولايات الأخرى فى التعامل بشدة مع عودة السائقين المخمورين للقيادة، وأن القضاة مستمرون فى خفض أو رفض آلاف التهم المتعلقة بقيادة المخمورين للسيارات كل عام، وأن السائقين الذين تثبت إدانتهم نادراً مايحصلون على أى أحكام تقترب من أقصى العقوبة لهذه التهمة، أيا كان عدد الجنح التى ارتكبوها، ذلك لأن القضاة فى أوهايو متساهلون للغاية فى الاستفادة من معاقبة المذنبين، وأن دوريات الطرق السريعة فى أوهايو قد تدخلت فى الأمر وترسل مذكرات إلى القضاة تحثهم فيها على توقيع أقصى العقوبة على العائدين إلى ارتكاب نفس الجريمة الذين يتحدون علنا أوامرهم، وأن القوانين المتشددة الموجودة فى كتب القانون لا تنفذ من جانب القضاة".

وإليكم كيف وصف سكوت كلارك، محرر الشئون الاقتصادية فى صحيفة هيوستون كرونيكل رحلاته الوعرة الأولى على سفينة الكمبيوتر الشخصى[4].

لقد جاء استخدام سجلات الكمبيوتر معه بمجموعة جديدة من المشاكل لنا.. ويدور الكثير من هذه المشاكل حول التكلفة وحرية الوصول إلى المعلومات والبيانات.

إننا نبدأ بالسعي للحصول على بيانات معينة عن العمالة من وكالة منظمة فى الولاية من خلال التقدم بطلب صريح للحصول على سجلات. وتقوم المحررة الصحفية، قبل التقدم بطلبها بإجراء اتصالات مع مصادرها فى الوكالة لمعرفة المعلومات المتوفرة فى كمبيوتر الوكالة.

وكان الرد الذى تلقيناه فى البداية هو أن المعلومات غير مجمعة بالطريقة التى تناسب احتياجاتنا وعندما أبلغناهم بأننا نريدها على أية حال، قالوا أنهم ليسوا متأكدين من أن سجلات «الكمبيوتر» الخاص بهم مصرح بالكشف عنها، وأشاروا إلى أنه من غير المتاح لنا حرية الوصول إلا إلى ملفاتهم المدونة على الأوراق. وبعد أن أقنعناهم بأن مرسوم السجلات المقترحة Open Records Act لم يحدد على أى نحو تحفظ هذه السجلات، طلبوا منا رسوما قيمتها 4 آلاف دولار، والتى قد تتضمن 80 ساعة عمل فى البرمجة. بعد ذلك عقدنا اجتماعين مع المسئول عن المعلومات المعلنة كنا خلالهما ندور معه فى حلقات مفرغة من المناقشات.

وكان جوهر المأساة هو أنه لم يكن لدينا معلومات تكفى لتوجيه الأسئلة الصحيحة عن تخزين بياناتهم، كما أن المسئول عن المعلومات المعلنة لم يكن لديه معلومات كافية للرد عليها. وفى النهاية رتبنا لمحلل البرامج فى صحيفتنا اجتماعاً للتحدث مباشرة مع محلل الوكالة.

ونظراً لأن محللنا كان مسلحاً بفهم قوى لما نحاول القيام به، فقد استطاع أن يمدنا بصورة جيدة لما هو متوفر فى تسجيلات الوكالة وبكيفية الحصول عليها بأقصى قدر من الكفاءة. وانتهى بنا المطاف الى التقدم بطلب نحصل به على معظم ما نسعى إليه بتكلفة لاتزيد عن 200 دولار، على أن يقوم مبرمجونا بالعمل الذى اقترحت علينا الوكالة من قبل القيام به من أجلنا.

وقبل أن يرسلوا لنا الملفات بأكملها، طلبنا نسخة من سجل اخترناه بصورة عشوائية من كل قاعدة بيانات حتى يتسنى لنا التأكد من أن لديهم ما نعتقد أنه لديهم. (في طلب سابق للحصول على بيانات ائتمانية، أنفقنا 150 دولار في الحصول على ملفات اكتشفنا فيما بعد أنها لاتحتوى على أى معلومة مهمة أكد لنا المسئولون في الوكالة وجودها).

هذا بالاضافة إلى أنه بمجرد نجاحنا في الحصول على صورة جيدة عن الطريقة التي تقوم بها وكالة التشغيل بتجميع بياناتها، أصبح واضحاً أنها أبلغت وزارة العمل بجزء كبير من هذه المعلومات. ومنذ ذلك الوقت اتصلنا بالاشخاص الاكثر دراية بالتعامل مع طلبات الحصول على بيانات الكمبيوتر والذين تكون بياناتهم مسجلة بصورة أكثر ملاءمة لما نبحث عنه في تحقيقنا الصحفي.

وكانت النتيجة النهائية هي أنه بعد ما يقرب من أربعة أسابيع وضعنا أيدينا، على مايبدو، على كل شئ كنا نسعى للحصول عليه.

لاشك أننا ارتكبنا الكثير من الأخطاء، ولكننا تعلمنا بعض الدروس المستفادة.

1- بعض الوكالات تشدد من حمايتها لسجلات الكمبيوتر أكثر من غيرها من الملفات الأخرى، فهي تشعر على نحو ما بأنه ما أن تصل إلى الكمبيوتر الخاص بهم، فسوف يسهل عليك الوصول إلى كل شئ. كما أنه حتى مع وجود الكثير الآن من التحقيقات الصحفية التي تتم بمساعدة الكمبيوتر، فإن التقدم بطلب لسجلات الكمبيوتر، ولاسيما على مستوى الولاية، سيكون على الأرجح هو الطلب الأول. وفيما يتعلق بأي طلب للحصول على معلومات، فمن المفيد أن تتصل بالاشخاص الذين يحتفظون بالسجلات بالفعل.

2- إن مناقشة الطريقة التي تخزن بها السجلات تدعو إلى الرهبة، حتى بالنسبة للمتخصصين في الكمبيوتر.

3- لاتجعل التكاليف تسبب لك إزعاجاً. انظر إليها على أنها نقطة البداية للمفاوضات.

وهناك دائما ، كما هو الحال مع كل شئ، طريقة أرخص للقيام بذلك. فالوكالات قد تطرح رقما كبيرا فى البداية فى محاولة للتخلص منك.

4- إن البيانات فى صورتها الأولية تكون دائما أرخص من البيانات المعالجة. فكّر فى الحصول على البيانات فى صورتها الأولية وبعد ذلك هيئها لاحتياجاتك. وكلماكان حجم البيانات كبيرا ، كلما كانت أرخص لأن السعر الذى عرضته عليك الوكالة مقابل قيامها بتلخيص مافى بياناتها تحتوى تماما على ماتريد. خذ منهم أكثر مما تحتاج. فانك تستطيع دائما أن تلقى بالفائض عن حاجتك.

5- بمجرد أن يستقر بك الرأى على السجلات التى تريدها ، استخرج نسخة مطبوعة من أحد السجلات للتأكد من أنها تحتوى على كل ما تحتاجه قبل الحصول على الملف بكامله.

6- الوكالات تتبادل البيانات دائما مع بعضها البعض. تتبع البيانات فى وكالات أخرى أو حتى فى الشركات الخاصة التى قد تكون أكثر تعاونا أو التى ربما تستخدم هذه البيانات بالفعل بصورة أكثر يسراً بالنسبة لأهدافك[5] .

فى يناير وحتى نوفمبر 1991 ، نشرت صحيفة سان أنطونيو لايت سلسلة من المقالات بقلم دان كيلى الذى أشار إلى أن «التذاكر الثابتة، التى كانت فى وقت من الأوقات أسلوب حياة فى المحاكم الاقليمية بسان انطونيو، اتضح أن هذا الأسلوب يضيع على المدينة دخلا يزيد عن مليون دولار. لقد أصبحت الرشوة والاحتيال من جانب المحامين، والقضاة، وضباط الشرطة، فضلا عن انهيار الثقة فى نظام المحاكم، هى بعض آثار التذاكر الثابتة. وقد بدأ المحرر الصحفى دان كيلى فى الكشف عن عمليات الفساد منذ عام 1990 وأسفرت سلسلة مقالاته التى تبلغ عددها 47 مقالا خلال عام 1991 فى النهاية عن إدخال المدينة لاصلاحات والبدء فى تحقيقات جنائية. وتم فى نهاية الأمر فصل تسعة قضاة، ووقف 12 ضابط شرطة عن العمل، وقامت نقابة المحامين وهيئة السلوك القضائى فى الولاية باجراء تحقيقات إدارية أخلاقية».

وماذا عن تنقية البيانات؟ لابد أن تعرف منذ البداية أنها دائما قذرة ولابد دائما من تنقيتها. يشرح لنا روب ديفيز مساعد رئيس التحرير للبحوث الاخبارية فى صحيفة ستار تريبيون ما هى المشكلة وماذا تفعل حيالها؟

وبعد الأخذ والعطاء مع المحامين والبيروقراطيين فى الوكالة، تحصل أخيرا على شريط التسجيل.

تقوم أنت بعملية مصارعة إدخاله فى الكمبيوتر الرئيسى أو الكمبيوتر الشخصى وقد أصبحت الآن على الطريق نحو مغامرة وإثارة كبيرين، حيث لم يبق سوى أن تحسب الأرقام وتكتب الموضوع، أليس كذلك؟

كلا، ليس بعد. لو أنك وضعت يدك على أحد التحقيقات المناسبة للكتابة، فإنك تعلم أن عليك أن تبذل جهدا كبيرا لانجازه بما فى ذلك عملية تنقية البيانات.

وقد أمضيت - باعتبارى باحثا فى عمليات المسح، ومحررا صحفيا يستند فى عمله على قاعدة البيانات - أوقاتا طويلة ومرهقة أسعى خلالها للتحقق من أنه لاتوجد مشكلات رئيسية فيما يتعلق بالبيانات قبل أن أبدأ بالفعل عملية الجدولة والتساؤلات والتحليلات لهذه البيانات.

ما هى البيانات القذرة؟ حقا، إنها كل البيانات التى لاتتوافق مع تفصيلات ما تضمها وثائقك. غير أن هذا تعريف غير محدد وزائد عن اللازم.

دعنا نجرى مراجعة سريعة. إن جميع قواعد البيانات مكونة من سجلات. عبارة عن خطوط أفقية من البيانات. هذه الخطوط من البيانات قد تكون حروفا هجائية (أو مايسميه سدنة الكمبيوتر بـ «ألفاAlpha»، أو أرقاماً أو كليهما. ثم تقسم هذه الخطوط من البيانات إلى قطاعات تسمى «حقول fields».

كل واحد من هذه المجالات - سواء كان تاريخ الميلاد، أو رقم شارة الشرطى، أو حجم المساهمات المقدمة لأحد السياسين- له نموذج. وإذا كان الأمر ينطوى على دولارات

أو سنتات، فهناك نماذج للعملات تبين أن الرقم 121145 يعنى حقيقة 1.211.45 دولار وليس 0.121145 .

وعندما تتعامل مع شريط تسجيل أو اسطوانة شخص آخر أو تنقل بيانات من خلال الجهاز الذى يصل الكمبيوتر الخاص بك بأجهزة الكمبيوتر الأخرى بواسطة موديم modem، فانك تعتمد بذلك على أساليبهم فى جمع البيانات، وعلى عمال تشغيل دخول البيانات والمبرمجين لديهم.

والبيانات القذرة قد تجئ من كثير من هذه المصادر، بما فى ذلك عمال تشغيل دخول البيانات ذوى الأصابع الثقيلة، والكتبة الذين يخطئون فى ملء الوثيقة الأصلية أو المبرمجين الذين يخطئون فى كتابة خط الشفرة الذى يمثل مجالا به أرقام على الكمبيوتر.

والبيانات القذرة قد تكون بسبب رداءة شريط التسجيل أو حتى بسبب أصوات شوشرة الخط التليفونى عندما يتم إرسال بيانات من كمبيوتر آخر إلى الكمبيوتر الشخصى لديك.

ولكن أيا كان السبب، فإن البيانات القذرة تعنى شيئا واحدا : بداية العمل الشاق والمرهق. إنك بحاجة، قبل أن تبدأ الجدولة والتساؤل والتحليل، إلى أن تتأكد من وجود بيانات قذرة. إن تنقية البيانات لاتعنى للباحث فى الدراسات الاحصائية سوى التأكد من أن إجابات المشارك فى الاستبيان، ترجمت إلى أرقام ونصوص صحيحة على ملف بيانات.

أما بالنسبة للباحثين الذين يستندون فى بحوثهم على قواعد البيانات، فإن الأمر يصبح أكثر تعقيدا.

فهناك وسيلتان لاكتشاف البيانات القذرة. البحث فى ملف البيانات بالعين المجردة (عملية مملة ولكنها ضرورية أحيانا) أو فحص جدولة الملخصات لاكتشاف وجود خلل فى الجمع.

وإذا ما تفقدت الملف بالنظر وشاهدت عدة خطوط متداخلة وغير مفهومة، فإن الشريط الذى بحوزتك شريط ردئ على الأرجح، أو أن تكون هناك شوشرة فى الخط التليفونى أثناء نقل البيانات بواسطة الموديم modem. وقد أصبح ذلك من الأمور التى لاتحدث كثيرا الآن مثلما كانت تحدث قبل عشرة أعوام بفضل أجهزة الكمبيوتر والبرامج الأكثر تقدما. ولكن عندما يصادفك هذا الخلل فلا حيلة لك فى الأمر.

وإذا كان وجود هذه المشكلة فى مسافة مطولة من الشريط، فقد تلجأ إلى نقل البيانات على شريط جديد (المرجح أن مصدرك استخدم شريطا قديما مهلهلا. كتب عليه عدة مرات من قبل) أو نقله اليك مرة اخرى. أما إذا كانت الشرائط غير السليمة قليلة، فيجب عليك أن تقرر ما إذا كنت ستتجاهلها أو أن ترجع إلى الوثائق الورقية للبحث عن البيانات الصحيحة بنفسك.

تأكد من أن النماذج تبدو صحيحة عند نقطة ما أثناء قيامك بعملية التنظيف. بمعنى أن تكون الحقول الخاصة بالحساب بالدولار ليست مدونة بأعداد عشرية. وأن الحقول العددية يوجد بها العدد الصحيح فى الاماكن المخصصة للأرقام العشرية، وأن الحقول التى تتوقع وجود ألفا عليها تحتوى فى الواقع على حروف هجائية وليس على قيم رقمية.

إذا كانت هناك مشكلة متعلقة بالنموذج، فإن هناك كثيراً من البرامج التى تساعدك على وضع الحقل على نموذج.

بعد ذلك، راجع وجود أى خروج على الحقل. وقد تعرف الباحثون فى الدراسات الاحصائية - نظرائك ممن يقومون بالاحصائيات فى وسائل الإعلام - على هذه الخدعة منذ زمن بعيد، ففى حقل لاتتوقع أن تجد فيه سوى 2أو 3 أو 4 وتجد فيه 0، فستعلم أن هناك مشكلة فى السجل الذى يوجد فيه هذا الصفر.

فى مثل هذه الحالات، عليك أن تقرر ما إذا كنت ستتجاهل الحقل الخاص بهذا السجل أو العودة إلى الوثيقة الورقية (إن كان هناك وثيقة) للحصول على التصحيح، أو أن تعوضها بالتحليلات والتقارير.

أحيانا يكون لديك حقل كان من الضرورى أن يتضمن بيانات ولكن لاتوجد عليه مثل هذه البيانات، أو العكس بالعكس. وهذا يتطلب منك مرة أخرى زيادة التحقق.

هل يشير الحقل إلى أن هناك مساهمة مالية واحدة على الأقل من PAC إلى أحد رجال السياسة. غير أن إجمالى المساهمات المالية لـPAC تشير إلى الصفر؟ هنا عليك أن تتأكد من أن هناك معلومات ناقصة (وهذا شئ مهم فيما تقوم به من عمل) أو أن ذلك كان مجرد خطأ فى الحقل الخاص بـPAC وأنه كان لابد من وجود صفر فى مجال المساهمات المالية؟.

من السهل التغلب على معظم هذه المشكلات إذا كانت لديك حرية الوصول إلى الوثائق الورقية ولديك الوقت الكافى لتصحيح البيانات. فى أحيان كثيرة لايكون لديك أيهما، وعليك فى مثل هذه الحالات اتخاذ قرار بكيفية استخدام البيانات بالفعل.

هل تتجاهل السجل كلية؟ هل تأخذ كافة البيانات الأخرى الموجودة على السجل وتتجاهل هذا الحقل الخاص فى هذا السجل؟ هل تلجأ إلى التخمين؟ هذه هى القرارات التى يجب عليك اتخاذها، ولا يستطيع أحد غيرك أن يبت فيها طالما أنك الوحيد الذى يعرف كيف يستفيد من البيانات.

وتمنياتى لك بحظ طيب مع شوشرة الشرائط. وأن تحصل دائما على بيانات مضيئة ونظيفة وألا تصادف قطاعات رديئة خلال مشوارك وأن يكون رئيسك فى العمل ممن يقدرون كم يستغرق العمل الجيد من وقت[6].

فى فبراير وديسمبر عام 1991، نشرت صحيفة نيويورك نيوزداى عدة مقالات بقلم وولتر فى Walter Fee اشار فيها إلى أنه «فى عام 1991، تصدعت المرافق الحيوية فى مدينة نيويورك تحت وطأة مشكلاتها المالية الحادة. ووسط اقتطاعات واحتجاجات بأنه لاتوجد أموال من أجل المرافق الحيوية، كان هناك برنامج تديره المدينة يكافئ بعضا من أغنى المواطنين وأكثرهم نفوذا بمئات الملايين من الدولارات على صورة منح ضرائبية مجانية تعطى لهم بطريقة أوتوماتيكية. وأشار فى تقريره إلى أن برنامج الحوافز

الصناعية والتجارية Industrial and Commercial Incentive Program الآخذ فى التوسع السريع قد أصابه الانحراف، إذ أنه يمنح تسهيلات ضرائبية أوتوماتيكية تستند فقط إلى المعايير الجغرافية والانشاءات ولا تستند إلى الحاجة إليها. وقد أدى ذلك إلى ضياع أكثر من 100 مليون دولار من الضرائب على الممتلكات فى عام 1991، ومئات الملايين الأخرى فى سبيلها إلى الضياع.

وإليك هذه النصائح التى يقدمها لك ديفز لتجنب كثير من هذه المشكلات، أو على الأقل تيسير حلها.

عندما تطلب بيانات:

1- حاول إقناع مصادرك بنقل بياناتهم إلى جهازك بواسطة الموديم modem وهذا يعفيك من مشكلات التوافق بين الاجهزة.

2- احصل على كافة الوثائق. وهذه قد تكون واحدة من عدة أشياء.

آ- صورة نظيرة للنموذج الذى تم منه تسجيل البيانات على الكمبيوتر.

ب- تعليمات من الكتبة حتى يتسنى لك معرفة القواعد التى أدخلوا على أساسها البيانات.

جـ- الشكل العام للسجل. وهذا سيساعدك على معرفة أسماء الحقول فى كل سجل أو أطوالها ونماذجها.

د- الشعارات التوصيفية أو القيم المتعلقة بالرموز الخاصة فى كل حقل.

3- تأكد من أنه يمكن قراءة شريط التسجيل أو القرص المصغر بنظام الكمبيوتر الخاص بك. سواء كان جهاز الكمبيوتر أو البرامج. اعرف معلومات عن كل مما يلى، أو اجعل خبير الكمبيوتر لديك يتناقش مع خبير مصدرك فى هذا الأمر :

أ- كثافة الشريط. والكثافة هى حجم البيانات المخزنة على مساحة معينة من الشريط. وهى تقاس بوحدة تسمى «البايت» فى كل بوصة، أو BPI. والمعيار

السائد هو BPI 6250. ويجب أن يتمكن الكمبيوتر الخاص بك من قراءة كثافة الشريط الذى كتبت عليه البيانات (ينطبق ذلك على الأقراص المصغرة. فعلى سبيل المثال إذا كنت تستخدم جهازا قديما من طَرازَ IBM, XT، كالذى يستخدمه محرر الرسائل الاخبارية، فسوف يتعذر عليك قراءة قرص عالى الكثافة).

ب- حجم الزمرة. وهذا هو حجم قطعة المعلومات على شريط التسجيل وتستطيع أجهزة الكمبيوتر قراءة الشرائط بكفاءة أكبر اذا كانت مجمعة فى زمرات. ويمكن تحديد أحجام الزمرات، بأن تكون جميع الزمرات بنفس الحجم، أو متنوعة الأحجام. اعرف حجم كتلة الشريط. وتأكد من أن جهازك يستطيع التعامل معها. إذا لم يستطع ذلك، اطلب من مصدرك أن يضع البيانات فى كتل يستطيع جهازك قراءتها.

جـ- اعرف إذا كانت البيانات خاضعة لنظام ASCII (American Standard Code for Information Interchange) أم لنظام EBCDIC (Extended Binary Coded Decimal Interchange Code) وهو عادة اللغة التى يعترف بها الحاسوب الضخم لـ IBM. ولا يهم لأى النظامين تخضع البيانات، وإنما المهم أن يستطيع جهازك قراءتها.

د- الملصقات. أو «هيكلة الشريط». هل هو خاضع لمعايير IBM، أم لايوجد عليه ملصقات؟ وهذا لايعنى تلك الملصقات المبهرة الملصقة على الشريط من الخارج، بل يعنى الطريقة التى تم بها تنظيم الملفات على الشريط. وإذا لم يكن عليها هذه الملصقات، فمن الضرورى أن يكون ملف البيانات فقط موجودا. إما إذا كانت ملصقاته مصنعة بمعايير IBM، فسوف يكون على الشريط معلومات أخرى. وماعليك فقط إلا أن تطلب من جهاز الكمبيوتر الخاص بك معرفة ما إذا كان الشريط به ملصقات أم لا.

ولابد من أن تكون برامج الكمبيوتر فى جهازك الشخصى قادرة على التغلب على الكثير من هذه المشاغل - لا أن يكون حلها فقط بواسطة برامج الحاسوب الضخم - وذلك قبل أن تقوم بتحميل البيانات. غير أنه مما سيساعدك إلى حد بعيد، أن تحصل على إجابات مقدماً وأن تجرى التعديلات قبل ذلك [7].

> فى مارس عام 1991، نشرت صحيفة سانت بتريسبيرج تايمز حلقات على مدى سبعة أيام بقلم ديفيد بارستو وسوزان تيلور مارتن وتشوك مورفى، وبوب بورت وريتشارد بولمان أشارت إلى أن «المحاكم تسئ تنفيذ قانون للولاية يسمح للأشخاص المتهمين بارتكاب جرائم بحظر الاعلان عن سجلاتهم الجنائية، وكان هذا القانون، الذى وضع فى الأصل ليعطى لمرتكبى جريمة متعلقة بالماريجوانا للمرة الأولى فرصة ثانية، قد استغل فى إخفاء أحكام متعلقة بالقتل والاحتيال. ونشر بعد ذلك موضوع كشف كيف أن أربعة قضاة منعوا التصريح بإعلان سجلات جنائية كنوع من المحاباة للأصدقاء».

أختيار اجهزة الكمبيوتر وبرامجها

ما هو الحد الأدنى من كفاءة الكمبيوتر اللازمة لمساعدتك فى كتابة تحقيقاتك؟ أن تكون سرعة جهازك الشخصى 486 أو أسرع. وهذه النظم بما فى ذلك الشاشة monitor، تتكلف أقل من ألفى دولار. والجهاز ذو السرعة 486 والمزود بامكانية كتابة الحساب وغيرها من أجهزة زيادة السرعة تباع بأقل من 2500 دولار بما فى ذلك الشاشة. وكلما زادت السرعة كلما كان ذلك أفضل.

هذا فضلا عن أنك تحتاج إلى جهاز كمبيوتر له ذاكرة كبيرة حتى تستطيع الاحتفاظ بكل البيانات التى تريد تحليلها ويستطيع التعامل مع البرامج. حاول أن تكون الذاكرة فى حدود 16 ميجابايتز (MB) من ذاكرة عشوائية للقراءة والكتابة Ram Random Access Memory وأن تكون 300 MB على القرص الصلب أو أكثر. هذه

الميجابايتز (MB) المسجلة على Ram أو على أقراص مازالت رخيصة الثمن حتى يومنا هذا - ولا تزيد تكلفتها عن 200 إلى 500 دولار اضافية على ما وضعه صناع الكمبيوتر فى تصميمهم المبدئى.

فى ابريل عام 1991، نشرت صحيفة كولومبوس ديسباتش حلقات على ثلاثة أيام بقلم آلان دى. ميللر وأظهرت أن «بضع عشرات من أصحاب المنازل يمتلكون بعضا من أسوأ أنواع الاسكان فى كولومبس. فقد اكتشف هؤلاء الملاك ثغرات فى القوانين الخاصة بسلامة الاسكان، أى كشفوا عن وجود قوانين تسمح لهم بتأجير شقق دون المستوى وتجنب ترميمها بدون أن توقع عليهم عقوبة. فمن بين عدد الممتلكات التى تمت دراستها وهى 1500وحدة، كانت الـ500 التى يوجد بها أكثر المخالفات مملوكة لتسعة ملاك. وقد عاش مستأجروهم فى ظروف غير صحية وتشكل أحيانا تهديدا لحياتهم طوال شهور، وأحيانا سنوات، بينما نجح الملاك فى تجنب إجراء الترميمات... وقد ظل أحد هؤلاء الملاك ممتنعاً لمدة سبع سنوات، ونجح فى الافلات بانتهاكاته إلى أن تم نشر الحلقات. وقد تم إغلاق المبنى الذى يمتلكه والذى كان يأوى فى ذلك الوقت أكثر من 80 مستأجراً... ».

أجريت أول تحقيق صحفى لى بمساعدة الكمبيوتر (CAR) فى عام 1984 بالاشتراك مع الصحفى إريك بلاك، الذى أراد أن يناقش نظام المحاكم المدنية فى مينيسوتا. وكان من الشائع تماما فى عام 1984 أن يكون أول رد للأوصياء على سجلات الحكومة على طلبات الصحافة بالحصول على بيانات للكمبيوتر هو «لا» مدوية، زاعمين دائما أن البيانات المسجلة على الكمبيوتر لا تحكمها نفس قواعد الافصاح التى تخضع لها تلك البيانات المسجلة فى الاوراق. ثم انهم قد يقولون ان المعلومات لم تحفظ بطريقة تتيح الرد على أسئلة المحرر الصحفى. وأنها قد تحتاج إلى مبرمج متخصص حتى يتسنى كتابة برنامج. وهذا، حسبما يقولون، يستغرق مابين 8 إلى 20 سنة ويكلف الصحفى نحو 20 مليون دولار.

إن تلك المقاومة للكشف عن البيانات، إضافة إلى عملية التدريس الرائعة التى قام بها لمئات الصحفيين اليوت جاسبان، المحرر الصحفى المتميز الذى اهتم بتعلم كيفية

القيام بمثل هذا النوع من العمل ثم بدأ فى تعليم الآخرين، هو ما أدى إلى انتشار أعمال الصحافة بمساعدة الكمبيوتر.

إذا تعذر على الوكالة الحكومية الاجابة على الاسئلة، أو رفضت الاجابة، فعلى الصحفيين اللجوء إلى الحصول على البيانات بكاملها من أجهزة الكمبيوتر الحكومية وتحليلها بأنفسهم، وهو الأمر الذى أصبح الآن أكثر يسراً بفضل برامج تحليل البيانات.

هذا إلى جانب أن كافة الاحكام القضائية قضت بأنه طالما أن البيانات المسجلة على الاوراق متاحة للجمهور، فلابد من الكشف عنها أيضا إن كانت مسجلة على الكمبيوتر.

فى ديسمبر عام 1991، نشرت صحيفة كانساس سيتى ستار حلقات على سبعة أيام بقلم جيف تيلور ومايك ماكجرو، ومايكل منصور وجريجورى ريفز «أجريت خلالها تحريات عن وزارة الزراعة الامريكية، التى كان الرئيس لينكولن قد وصفها عندما استحدثها لأول مرة، بأنها «وزارة الشعب». ولكن الحلقات كشفت عن وزارة اغتصبها المزارعون الاثرياء، وتكتلات صناعة الاغذية العملاقة، وأصحاب النفوذ. فقد كشفت أن : آلاف المزارع التى تمتص دافعى الضرائب، وتستهزئ بالحدود التى وضعتها وزارة الزراعة الامريكية لأقساط المدفوعات – وذلك أيضا بمساعدة من وزارة الزراعة الأمريكية – وأن نظام التفتيش على اللحوم يفشل فى حماية الامريكيين ويعرضهم لمخاطر مميتة، وأن المزارعين السود أشرفوا على الانقراض، وهو مايرجع إلى حد ما إلى التفرقة العنصرية فى جميع مكاتب البيض بوزارة الزراعة الامريكية، وأن الشركات العملاقة تستولى على ملايين الدولارات لمساعدتهم فى الاعلان عن منتجاتهم الغذائية على حساب دافع الضرائب ، وأن السجل البيئى المخيف لهذه الوزارة مستمر، وأن أحد مكاتب وزارة الزراعة الامريكية يوافق على آلاف الملصقات كل عام، رغم أنها مضللة وغالبا ماتكون أخطاؤها مميتة».

وهناك مزيد من التطور فى برامج وأجهزة الكمبيوتر الشخصى ذات فائدة عظيمة لكتاب التحقيقات الصحفية :

- برامج للمسح والتعرف على الطبيعة البصرية والتى تتيح لك أن تأخذ المواد المطبوعة - السجلات الورقية، والمقالات، والشهادات الخطية، والمواضيع الاخبارية وما شابه - ونقل نسخ منها مباشرة إلى جهازك أوتوماتيكيا بدون الحاجة الى نسخها على الآلة الكاتبة يدوياً.
- البرامج المتطورة والتى تتميز بسهولة التعامل معها متوفرة لتنظيم مثل هذا النوع من البيانات. وأكثر هذه البرامج أهمية هى برامج النص الفائق hypertext - أى البرامج التى تجعلك تقوم بتنظيم المواد فى جهازك بالصورة التى قد تنظمها بها فى ملفات. غير أن برامج النص الفائق أفضل منها لأنها تنظمها فى الكمبيوتر.
- أصبحت تكنولوچيا القرص CD-ROM رخيصة للغاية ومتوفرة تماما. وفى الفصل الرابع تفاصيل عن كيفية استطاعة القرص CD-ROM - وهو يشبه تماما الأقراص المبرمجة التى تستخدمها فى الاستماع إلى الموسيقى - مساعدتك فى البحث فى النص أو فى قواعد البيانات الموسوعية بدون مقابل. كما أنك تستطيع تحميل القرص الفائق CD-ROM فى جهازك بتكاليف تقل عن 400 دولار، ونظراً لأنها تحمل معلومات أكثر إلى حد بعيد من الاقراص العريضة، فهى تكون بذلك التكنولوجيا التى يجب عليك استكشافها.

وسوف نستكشف جميع هذه الأنواع من التكنولوجيا تباعاً.

فى مايو وديسمبر 1991، نشرت صحيفة تايمز يونيون على مدى ستة أيام تقارير بقلم هارفى ليبمان أشارت إلى أنه «فى نيويورك، تبين أن السود ومن ذوى الاصل الاسبانى معرضين للسجن بنسبة تزيد 65 فى المائة عن البيض فى جرائم المرة الأولى. كما أن 90 فى المائة تقريبا من عمليات الاعتقال المرتبطة بالمخدرات فى مقاطعة ألبانى وقعت بالدرجة الأولى فى اثنين من أحياء السود. وحتى إذا قامت الشرطة باعتقال مروجى المخدرات خارج هذين الحيين، فإنها لاتعتقل سوى السود تقريبا، ولم توجه تهمة بيع المخدرات إلى أى رجل أبيض واحد خارج أحد أحياء السود طوال ستة أشهر كاملة. وقد أكدت دراسة تالية لأحد المتخصصين فى الجرائم استعانت به الولاية،

ماتوصلت اليه صحيفة تايمز يونيون من أن مرتكبى الجريمة الأولى من الأقليات تصدر ضدهم أحكام أشد».

وإليك كيف استفاد ديفيد ارمسترونج الصحفى بصحيفة بوسطن هيرالد من برامج المسح:

على عكس العشرات من الصحف الأخرى فى جميع أنحاء البلاد، تصدت صحيفة بوسطن هيرالد لمشكلة تحويل جبال السجلات الورقية إلى قواعد بيانات الكترونية. وكانت تلك مشكلة خاصة بالنسبة لهذه الصحيفة لأن أحد مصادر المعلومات المهمة - وهى سجلات الحملات الانتخابية للولاية ولمدينة بوسطن - لم تكن مخزنة الكترونيا.

فى البداية، أجرينا اتصالات مع شركات الدخول على البيانات لمعرفة أسعار الدخول على هذه السجلات. وأدى ذلك بالصحيفة إلى الاتصال بشركة فى أوهايو بالدخول على سجلات الحملة بواقع 13 سنتا للسجل. وكان هذا السعر يساوى نصف السعر تقريبا لأقل الأسعار التى عرضت علينا. وكان الكثير من هذه الاسعار يتراوح مابين 26 و 33 سنتا للسجل الواحد، بالاضافة إلى رسوم الاستشارة وغيرها من التكاليف.

ولقد صادفتنا عدة مشكلات مع الدخول على البيانات. أولا، أنها أصبحت شديدة التكلفة. فخلال حملة انتخابات حاكم الولاية فى عام 1990، أنفقنا أكثر من 10 آلاف دولار على إنشاء ملفات الكترونية للمساهمات المالية لعدة مرشحين لهذا المنصب. ذلك بالاضافة إلى أنه قد صادفتنا تأخيرات فى الحصول على المعلومات وأخطاء فى السجلات التى كنا نتلقاها. كذلك كان زمن تحويل المعلومات إلى نظام اليكترونى مشكلة. وعند هذا الحد بدأنا فى البحث عن بدائل. ونظرا لأن سجلات الحملة مطبوعة أو مكتوبة بواسطة طباعين ليزر، فقد بحثنا إمكانية فحص السجلات فى نفس موقعها.

وكانت إدارة نظم البيانات فى الصحيفة تقوم بالفعل بمناقشة إمكانية الاستعانة بماسحات فى إدارة أخرى بالصحيفة. ومن ثم فقد قامت إدارة نظم المعلومات بعد تلقيها طلباً منا بمعلومات مسح، بدراسة اختبارات المسح ونجحت فى نهاية الأمر فى الحصول على الموافقة لشراء وحدة منها. (معارض: فى العادة أنا من الدعاة المتحمسين لأن تقوم صالة التحرير بشراء وتشغيل معدات الكمبيوتر الخاصة بها، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمعدات للتحقيقات الصحفية والمشروعات الخاصة. أما فى هذه الحالة، ونظراً لحاجتنا بعض الوقت فقط للماسح وتكاليفه الباهظة، فلم يكن لنا اعتراض على أن يتولى العاملون فى نظم البيانات زمام الأمور).

وإليكم تفصيلا سريعاً لمكونات نظام المسح لدينا:

- ماسح من طراز Hewlett-Packard HP ScanJet-Plus وكان سعره 1455 دولارا وكان يضم كافة التجهيزات اللازمة لربطه بالكمبيوتر الشخصى. وقد تم إدراج مغذ أوتوماتيكى للوثائق فى الصفقة باعتباره ميزة اضافية، ولكنه كان شديد الفائدة. وكان للـ HP ScanJet دورة بصرية مقدارها PPi 300 .

- كمبيوتر شخصى مزود بوحدة Zeos 486, 33 MHz سرعتها MB 200 للمشغّل الصلب. وكانت تكلفة هذه الوحدة 4453 دولارا (ملاحظة : ليس من الضرورى شراء كمبيوتر شخصى جديد لإدخال نظام المسح فيه).

- جهاز الكمبيوتر الذى تستخدمه من طراز ووردسكان Wordscan من إنتاج مايكروسوفت Microsoft. وهذا الجهاز لا يعمل إلا عن طريق النوافذ. ويبلغ سعر جهاز الكمبيوتر بسعر القطاعى 795 دولار ولكن مع التخفيض الذى حصلت عليه مؤسستنا بلغ سعره 595 دولاراً. ويستطيع جهاز الكمبيوتر مسح 300 كلمة فى الدقيقة. كما يوجد به اشارات مفيدة تصدر أصواتا تعلن عن احتمال وجود أخطاء. وبمجرد مسح المعلومات داخل أجهزتنا، يمكن نقلها على 30 نموذج من الاشكال المختلفة لحروف الطباعة.

وكانت التجربة الاولى – والوحيدة لنا– مع نظام المسح ذات نجاح محدود. فقد حصلنا على 300 صفحة بقوائم المساهمات المالية للمحافظ والتى بحاجة إلى الدخول عليها. وقد قمنا بتكديس السجلات على الماسح باستخدام الملقم الاوتوماتيكى للوثائق. وكانت الصفحات تقرأ بمعدل صفحة كل 20 ثانية. وقد استغرق مسح التلاتة آلاف سجل جميعها نحو ساعتين. وتم تصدير البيانات من ملف ASCII إلى خط XyWrite. ويتم معظم عمليات تنظيف السجلات على XyWrite. وقد صادفتنا متكلة واحدة كبرى. وهى أن الماسح كان يخلط بين الحين والآخر بين حرف الطباعة الصغير إل"l" وحرف الطباعة الصغير تى"t" . وذلك بسبب انحدار طفيف عند الطرف الاخير للحرف l . ونتيجة لذلك كانت مدن مثل "Lowell" تظهر "Lowett". غير أن معظم الكلمات والحروف الأخرى كانت تقرأ بدقة.

ولو أن بيانات الحملة شحنت إلى الخارج من أجل الدخول على البيانات، لكانت التكلفة قد بلغت 392 دولار، بالاضافة إلى تكاليف البريد. أما فى هذه الحالة، فإن عملية المسح وإثبات صحة البيانات أنجزت فى أقل من يوم، وبأقل جهد بشرى. هذا فضلا عن أننا نجحنا فى تطوير برنامج XyWrite لتصدير هذه البيانات فى شكل فاصلة محدودة بعد أن تم تنظيفها. والخلاصة أن الماسح أثبت أنه استثمار ناجح [8] .

فى يوليو – ديسمبر 1991، نشرت صحيفة البوكيرك تريبيون سلسلة من المقالات بقلم دان فوكليش أظهرت أن «المجلس التشريعى فى ولاية نيوميكسيكو تسيطر عليه المصالح الخاصة، فقد جاء 72 فى المائة من جميع أموال الحملة الانتخابية من المصالح الخاصة، كما أن قوانين تمويل الحملات الانتخابية فى الولاية تثير السخرية، ويتم جمع الأموال تزامنا مع صنع القوانين. ولم تكن اقرارات جماعات الضغط سليمة، ويسمح بصراعات مصالح كريهة تحت اسم (برلمان المواطنين). وقد أخذت سلسلة المقالات هذه مواطنى نيو ميكسيكو إلى موقع الأحداث وجعلتهم يحكمون بأنفسهم فيما إذا كانت الأموال التى تتدفق على أعضاء المجلس التشريعى خلال الأيام الـ 30– أو الـ 60 التى تعقد فيها دورة المجلس كل عام تؤثر عليهم».

تباع القاعدة المسطحة للماسح -وهى آلة شبيهة بآلة صغيرة للنسخ الفوتوغرافى - بما يزيد قليلا عن 1000 دولار. ولكن لا تنسى أسعار البرامج.

أحد الأنواع يلتقط صورة للصفحة التى تمسحها ويضعها فى الكمبيوتر كصورة. ولا تستطيع أن تفعل بها أى شئ إلا بقدر ما تستطيع أن تفعله مع صورة - مثل تغيير حجم هذه الصورة.

أما برامج المسح ذات قدرات التعرف البصرى على الصفات (DCR) فإنها تسمح لك بمسح الصفحات واستخدام النص بنفس الطريقة التى تستخدمها لو إنك قمت بادخالها مطبوعة بالآلة الكاتبة، أى أنك تستطيع تحرير هذه الوثائق التى تم مسحها. وإذا كان البرنامج لايشير إلى أن به قدرات DCR، فأنت لاتريده. وهذا البرنامج يباع بما يتراوح بين 100 و 500 دولار أو أكثر.

فى يوليو وأغسطس عام 1991، نشرت صحيفة اوكلاند تريبيون، حلقات على ثلاثة أيام بقلم مايكل كوليار وبول جرابويز أظهرت كيف أنه يوجد «فى أحياء خاصة فى كاليفورنيا طبقة غير ظاهرة من الحكومة تمكنت خلال العقد الماضى من الانتشار حتى برغم معاناة الولاية ومعظم المحليات والمقاطعات فى كاليفورنيا تحت وطأة الاقتطاعات الحادة فى الميزانية والفوضى المالية. وجاء فى الجزء الأول من الحلقات تفاصيل عن عدد هذه الوكالات الغامضة الموجودة، والاموال التى تنفقها وعن كيف أن المسئولين المحليين المنتخبين ينعمون بدخول إضافية من الاشتراك فى مجالس أحياء صغيرة انتهت الفائدة منها منذ أمد بعيد. أما الجزء الثانى من الحلقات فقد تم فيه رصد وكالة لتخطيط الصرف الصحى فى أحد الأحياء. كانت قد انتهت من آخر مشروع لها هناك قبل عدة سنوات، ولم يكن لها مكتب أو موظفين دائمين، ومع ذلك كان لها حساب مصرفى به 13 مليون دولار وقامت بمضاعفة المكافآت التى تمنحها للسياسيين الأعضاء فى مجلس إداراتها ثلاث مرات .....» .

تتيح لك برامج النص الفائق البحث خلال كل ملفاتك بالكلمة أو بسلسلة من الكلمات أو حتى بأجزاء من الكلمات، وتستطيع أن تضع لك فهرساً وتضمن لك ألا تنسى أى شئ جمعته على مدى الشهور العديدة لتحقيقك الصحفى.

فعلى سبيل المثال، قد يتعذر عليك تذكر الشخص الذى حكى لك عن الرجل الذى له علاقات غير عادية مع ثلاثة خنازير وحمار. تقوم أنت بالبحث فى كلمة «حمار»، على الفور يأتى لك البرنامج بالجمل التى توجد بها هذه الكلمة، ويبين لك الجملة التى سجلت فيها ويعطيك السطر. ثم تتذكر أنت بعد ذلك أن هذا المصدر قد جاء ذكره فى عدة لقاءات صحفية. إنك تستطيع إعادة البحث فى مئات الملفات لديك عن هذا المصدر وتجده فى مذكراتك فى خمسة ملفات اخرى.

تقوم أنت حينئذ بوضع مفتاح خاص لجميع هذه الملفات، بعد أن تضع الفهرس الجديد لك عن هذه القضية فقط، حتى يتسنى لك فى كل مرة تكون فيها فى هذه الملفات أن تقفز اوتوماتيكيا إلى هذه المذكرات عن اللقاءات الصحفية بمجرد الضغط على زرار.

وإليك الشرح الذى تقدمه كاتى هانسن، وهى أمينة مكتبة أخبار سابقة فى صحيفة ستار تريبيون لزملائها من أمناء المكتبات والصحفيين لبرنامج النص الفائق.

بالنسبة لأمناء المكتبات والمحررين الصحفيين الذين يسعون إلى توفير بعض الوقت المخصص لاعداد الوثائق، تقدم لهم امكانيات البحث والاسترداد بنظام Folio VIEWS للولوج بسرعة إلى كميات هائلة من الوثائق.

وعلى الرغم من وجود كثير من منتجات برامج البحث فى النص الكامل، فإن تلك البرامج التى تستطيع التعامل مع كميات ضخمة من النصوص تكون عادة شديدة التعقيد بالنسبة للتعامل اليومى ولا تستطيع عادة برامج استعادة النص سهلة الاستخدام التعامل مع كميات ضخمة من النصوص ويكون أداؤها ضعيفاً عندما تكون قاعدة البيانات التى يتم البحث فيها أكبر من الذاكرة المتوفرة.

أما Folio VIEWS، وهو أول إنتاج تجاري من شركة Folio، فانه ينجح فى إيجاد توازن بين هذين النقيضين ويضع فى الكمبيوتر الشخصى إمكانية استعادة نصوص معقدة.

وقد اكتسب هذا البرنامج اسمه من قدرته على خلق "VIEWS" «مشاهد»، أى أشبه بتنظيم كتل من النصوص. وقد تكون هذه المشاهد VIEWS مقتطفات أو نظرات سريعة على قاعدة للبيانات أو قاعدة البيانات الكاملة ذاتها.

وترى الشركة أن هذا البرنامج الذى يبلغ سعره 659 دولار فتح للخدمات الاعلامية والناشرين الذين يرغبون فى وضع نسخ اليكترونية قابلة للبحث من أعمالهم.

ومن أعظم مايتميز به برنامج VIEWS من قوة هو حجم البيانات التى يستطيع التعامل معه. ويمكن لقاعدة بيانات برنامج VIEWS (وتسمى info-base) أن تنمو لتصل إلى جيجابايتس (gigabytes)، تحتوى على معلومات يصل حجمها إلى أربعة أضعاف ما يستطيع برنامج CD-ROM تحمله.

ولقد قمت باختبار برنامج Folio VIEWS على جهاز كمبيوتر طراز IBM Ps/2 وأيضا سعة 386 كلون. وقد كان أداء البحث والاستعادة جيدا للغاية على كلا الجهازين، غير أننى قد أوصى بطرازات 386 أو 486 لخلق قاعدة معلومات infobase ضخمة الحجم.

ولا يحتاج هذا المنتج إلا إلى 512 كيلو رام Ram للعمل وفق نظام DOS3.0 أو أعلى. بالاضافة إلى أن الأداء لم يتأثر بالاختلافات فى أحجام قواعد المعلومات infobases التى تتراوح مابين 250 كيلو بايت وواحد ميجابايت و أيا كانت قاعدة البيانات التى أعمل فيها، فإن أداء البحث واستعادة البيانات كانت سريعة بنفس القدره.

ولقد تم تصميم العناصر الهيكلية المختلفة فى برامج Folio VIEWS - مثل قواعد بيانات وأوراق المخطوطات المرقمة جانب واحد أو المجموعات والوصلات - لاستعادة المعلومات على نحو سريع وسهل ودقيق.

وتسمح مجموعة معالم (ميزات) البحث من الدرجة الاولى بمقاطع بحث تصل إلى 256 حرف - أي نحو 42 كلمة. وعندما تبحث في حروف "to" أو "or" قد تجد تعبيرات محددة تماما مثل "To be or not to be". والعثور على مثل هذا التعبير قد يستهلك وقتا كبيرا ويكون صعبا في برنامج لايوجد به فهرسة كاملة.

وتزود برامج VIEWS مستخدميها بمعايير بحث قطية. فإنك تستطيع البحث باستخدام كل المعاملات المنطقية مثل and, not, or كما أنك تستطيع البحث عن كلمة مفردة أو جملة. كما توفر أيضا طرق البحث المتداخلة، عمليات البحث بالبطاقة Wild-card والبحث بالتقريب.

وعندما يقوم المستخدم بدق معيار البحث على مفاتيح الطبع تواصل خطة الفهرسة لمنتجات Folio من البرامج، والتي تسمى Underhead Technology، تضييق مجالات البحث في الفهرس، وفي معظم الحالات، تستطيع برامج VIEWS تحديدكافة المرات التي ذكرت فيها الكلمة التي تبحث عنها بمجرد أن تنتهي من كتابة آخر حرف في الكلمة.

وتحتفظ برامج Folio VIEWS باحساس قوي بالنظام من خلال تقنيات البحث هذه ومن خلال الهيكل الذي تفرضه على المعلومات. وهي توفر أدوات ممتازة للربط بين المعلومات والافكار الخاصة بمجموعات المعلومات. وهذه المرونة مفيدة بصفة خاصة في وضع جداول المحتويات، وفي بنود الإحالة إلى الفهارس أو الكتب واضافة هوامش للتحقيقات الصحفية الممتدة على مدى عدة أسابيع أو شهور - هوامش تتيح للصحفيين والمحررين الرجوع إلى المادة الأصلية لدى مراجعة دقة المشروع النهائي.

ويمكن تركيب وصلات ساخنة للبدء في استخدامات خارجية، أو ملفات جرافيكية، أو ملفات رقمية صوتية وبرامج تحريك الصور. وتحتفظ VIEWS ببرنامج مقيم للتوقف والاستمرار سعة 10 كيلوبايت يتيح للمستخدم التنقل بين قاعدة معلومات وبين استخدام آخر.

وتتضمن برامج VIEWS للتوثيق الشامل برنامجا متصلا بالمعالج المركزى. ودليلا فوريا متصلا. ودليلا مرجعيا سريعا ويعتبر هذا التوثيق المتصل شاملا، ولكن طريقة «دليل النص الفائق» لايقدم الكثير لتدريب المستخدم. ويفضل الاستعانة بدليل مكتوب.

وحسبما تقول شركة Folio، فان هناك العديد من الشركات النظيرة، بما فى ذلك شركة Mead Data Central، التى اشترت مؤخراً شركة Folio، وغيرها من الشركات تقوم بتطوير قواعد بيانات جاهزة لنقلها على برامج VIEWS .

ويمكن الحصول على كتالوج بالاسعار من Folio وهو يتضمن بنوداً مثل Federal Register، وكتب Matthew Lesko وRoger Ebert's Movie Home Companion، الخاصة بكاليفورنيا وغيرها من الولايات. وشفرة الولايات المتحدة للقوانين الفيدرالية U.S. Code of Federal Regulations، وسلسلة الكتب العظيمة، والقوانين البيئية، وكتب التاريخ وصيغ مختلفة من الانجيل.

ويوجد لدينا أيضا فى صحيفة ستارتريبيون أحد منتجات الـ CD-ROM يسمى ماجزين راك Magazine Rack الذى يستخدم برامج Folio VIEWS كآلة بحث.

كذلك قد يكون أمناء مكتبات الصور على معرفة ببرامج VIEWS للصور، وهو نظام أرشيف الصور الاليكترونية الجديد الذى أعلنت عنه مؤخراً شركة Lexis/Nexis. ويستخدم هذا المنتج أيضا برامج Folio VIEWS كآلة بحث، تربط بين التعليق على الصورة وبين الصورة الرقمية.

يقوم مستخدمو البرنامج بإرسال ملف البيانات من خلال الخدمة المستحدثة، التى تقوم بتنظيم معلومات آسكىASCII (الرمز الامريكى القياسى لتبادل المعلومات بين نظم معالجة البيانات ونظم الاتصالات وتوابعها American Standard Code Integrat-ed Cicuils) فى قواعد المعلومات infobases، ويتم إنشاء قواعد المعلومات باستخدام أمر تحويل الـ VIEWS لاستيراد ملفات فى 41 نموذج مختلف، بما فى ذلك Word Per-fect و Microsoft Word، أو باستخدام محرر النص المدمج داخل برنامج VIEWS.

تتم فهرسة النص وتحويله إلى نموذج الملف الخاص بـ Foilo بسرعة تصل إلى مابين 6 ميجابايت إلى 8 ميجابايت فى الساعة. وسوف يحتوى الملف الجديد على كل من الفهرس والنص الأصلى معاً، مضغوطين إلى نحو نصف حجم ملف النص الأصلى.

تستطيع خلق قائمة تجعل قاعدة المعلومات أكثر سهولة فى استخدام الآخرين لها وذلك عن طريق طبع ملف النص الذى يتضمن بنود القائمة.

اجعل لكل ملف علامة تستخدم كرابط، ثم صل ببساطة فيما بين مجموعات الربط لاختيار الموضوعات فى قاعدة المعلومات .

ويمكن إدراج حواشى توضيحية وإحالات من فهرس إلى آخر كما يمكن إضافة ربطات شبيهة بالنص الفائق إلى أجزاء أخرى من قاعدة المعلومات.

فعلى سبيل المثال، يمكن خلق روابط بين المصطلحات الفنية وقائمة سرد الكلمات الصعبة والشرح لها ، أو بين الفهرس ومرجع معين للنصوص. وإذا ما وجد المستخدم مرجعاً مشيرا فى الفهرس، فما عليه إلا الضغط على أحد المفاتيح الذى يستعيد بصورة أوتوماتيكية المعلومات وثيقة الصلة بالمرجع.

ولا تقتصر الروابط بالمعلومات الخاصة بالنص. إذ أن قاعدة المعلومات يمكن أن تخلق تأثيرات لوسائل إعلامية متعددة عن طريق الربط ببرامج أخرى تعزف الموسيقى.

والربط مع برامج أخرى يتم بسلاسة شديدة إلى درجة أن المستخدم لن يلاحظ على الأرجح الانتقال إلى الـVIEWS والعودة مرة أخرى.

وهذه بعض الأفكار المفيدة لأمناء المكتبات والمحررين الصحفيين :

- قم بتطوير منتجات ثانوية من المواضيع الصحفية المنشورة - مثل مواضيع المقالات الكبرى أو مجموعة من المواضيع المتصلة بموضوع ربما يكون قد تم نشره اليكترونيا فى الأسواق المتخصصة. ونظراً لانه يمكن ربط الصور والجرافيك بالنص، فإن قاعدة المعلومات أصبحت تقرأ و«تحس» مثل الصحيفة. فعلى سبيل المثال، ابتكرت شركة

Buckmaster للنشر منتجاً أطلقت عليه اسم «أنباء الصفحة الأولى» ، وهو عبارة عن تجميع للمقالات من خدمات متعددة الاسلاك ، باستخدام Folio VIEWS .

- يمكن للصحيفة نشر مواضيع المقالات اليكترونيا فى الأسواق المتخصصة. فعلى سبيل المثال قد تكون سلسلة المقالات التى نشرتها صحيفة ستار تريبيون عن رعاية الأم البديلة مفيدة لادارات الخدمات الاجتماعية الحكومية، والمدارس والمكتبات العامة ويمكن تسويق هذه المنتجات الثانوية مع حق البحث فى النص الكامل فى حالة حدوث شوشرة. ويمكن وضع قاعدة معلومات للكلمات الافتتاحية للصحيفة التى تعمل بها.
- يمكن استخدام برامج VIEWS فى إدارة ملفات المعلومات الشخصية. ويمكن لأمناء المكتبات تحسيل الابحاث المهمة - وخاصة تلك التى تدعم أعمال التحقيقات الصحفية- على قاعدة معلومات يمكن البحث فيها.
- يمكن المشاركة فى أبحاث الموضوع الواحد الذى يقوم به عدة محررين، كل واحد منهم يكتب فيه من زاوية مختلفة. فعلى سبيل المثال، يمكن دعم الابحاث الخاصة بالحملات الانتخابية بتحميل حلقات ممتازة مثل «سجل بوش» بقلم اندرو روزينتال وجويل برينكلى، التى نشرتها صحيفة نيويورك تايمز ابتداء من 25 يونيو عام 1992 كما يمكن إنشاء قاعدة معلومات للأسئلة السريعة عن المراجع، مثل «كم عدد القوانين التى استخدم بوش الفيتو ضدها ؟ ». والآن يستطيع أمين المكتبة البدء فى بحث عن الحملات الانتخابية قبل أن يعود مرة أخرى إلى الخط المتصل on-line.

تستطيع أيضا أن تنتج قاعدة معلومات مصغرة على مشروع رئيسى يمتد إلى عدة شهور أو سنوات، مثل (سوق امريكا) Mall of America. ولا أستطيع أن أحسب لك كم مرة طبعت كلمة اخوان غيرميزيان Ghermezian Brothers فى Nexis أو DIALOG.[9]

أو إنشاء قاعدة بيانات عن (حلقات العالم) "World Series" تحسبا لفوز فريق Minnesota Twins (أو فريقك المحلى) بالبطولة. فقد ظل المحررون فى قسم الرياضة

على مدى عدة أيام يستفسرون منا عن معلومات معينة مع تغيير طفيف فى صيغة السؤال. وكان باستطاعة أحد أمناء المكتبات إجراء بحث شامل حول حلقات العالم، تحسبا لهذه الاسئلة بناء على تجربتنا السابقة. وكان من الممكن تحميل هذا البحث فى قاعدة معلومات وتخزينها فى موقع البحث للمستخدم الأخير ليستفيد منها محررو القسم الرياضى – أو أن توضع مباشرة على أجهزة الكمبيوتر التشخصية فى صالة الأخبار.

- الاسترجاع السريع للمعلومات غير المصنفة – اذ يستطيع أمين المكتبة أو المحرر الصحفى تحميل كل ملفاته على الخط المتصل على برامج VIEWS. وبمجرد تحميلها، يمكن استخدام المعلومات وإعادة استخدامها فى كل شئ ابتداء من البحث فى الروابط المتبادلة لدراسات التحقيقات الصحفية إلى الحماية القانونية فى قاعة المحكمة.

إن أى انسان فى حاجة إلى التعامل مع معلومات ديناميكية سيجد ضالته فى برامج VIEWS [10].

فى سبتمبر عام 1991، نشرت صحيفة نيوزداى حلقات على ثلاثة أيام بقلم لو دولينار وآلن إيسن، وسيليستى هادريك ومايكل سلاتيلا أشارت إلى أن «الحزب الجمهورى فى مقاطعة ناساو تلاعب فى منح المئات من وظائف الخدمة المدنية التى يتم شغلها عن طريق المسابقات لصالح مسئولين ومساهمين وأصدقاء للحزب. وقد تم تخطى الناجحين على رأس القائمة لصالح المحاسيب السياسيين وتم تغيير مواصفات الوظائف لصالح عمال ذوى اتصالات سياسيه. وقد اقتصرت الوظائف على الجمهوريين عن طريق الدعاية المحدودة عن الوظائف. وحصل مسئولو الحزب على أكثر من المتوسط فى كل فئة. وكان أكثر من 80 فى المائة من العاملين الذين وضعوا على رأس فئات الأجور من المسئولين فى الحزب أو أقاربهم أو المساهمين بالأموال فى الحزب».

وإليك الشرح الذى يقدمه ستيف دويج، مساعد رئيس التحرير لابحاث الاخبار فى صحيفة ميامى هيرالد عن تجربتهم فى الصحيفة فى استخدام برامج CD-ROM.

تستخدم برامج CD-ROM أساسا نفس تكنولوجيا الأقراص المدمجة الرقمية التى تسود فى قطاع الأعمال الموسيقية.

والميزة التى تتفوق بها أقراص CD-ROM على الأقراص المرنة هى الكثافة الفائقة للبيانات. بمعنى أن 4.5 بوصة فى القرص CD-ROM يمكن أن تحمل فيه بيانات تزيد على 600 ميجابايتس. وهذه طاقة تخزين تصل إلى نحو 1800 مرة عن الأقراص المرنة القديمة ذات الابعاد 25 5 بوصة و 360 كيلو .

من المساوئ الواضحة لأقراص CD-ROM أنك لاتستطيع وحسبما يشير اسمها أنها تقرأ فقط Read only - كتابة بيانات على اسطوانة CD-ROM ، غير أنه بالنسبة لاستخدامات هذا القرص فى صالة تحرير الاخبار ليست هذه بمشكلة كبيرة. فقد جرت العادة على أننا نستخدم أحجاماً هائلة من البيانات لا أن ندخلها.

(يمكنك أن تشترى أقراصاً تسمى «اكتب مرة واقرأ عدة مرات» - write once read - many (WORM)، ولكنها باهظة الثمن).

وهناك واحدة أخرى من مساوئ أقراص CD-ROM وهى سرعة الولوج، ويستغرق مشغل القرص الصلب الجيد من 15 إلى 20 مليثانية (ms) للعثور على أحد البيانات التى يبحث عنها البرنامج. ويستغرق القرص CD-ROM من النوع الجيد 350 مليثانية (ms) وبعضها له سرعات ولوج تصل إلى500 (ms)، وبمعنى آخر، أقراص CD-ROM أبطأ بواقع 15 إلى 25 مرة عن مشغل القرص الصلب.

وعلى كل حال، لايمثل بطء السرعة لمعظم مستخدمى هذا القرص فى صالة تحرير الأخبار مشكلة حقيقية.

ولو كنت تستخدم أقراص CD-ROM للدخول على معلومة واحدة فقط مثل رقم

تليفون من الدليل القومى أو إحصاء للافراد من قناة خاصة بالتعداد، إذن فهذا البطء المزعوم يعتبر أمراً تافها.

كما أنك إذا كنت تستخدم أقراص CD-ROM فى عمل يحتاج إلى قاعدة بيانات واسعة النطاق. فالنصيحة هنا أن تستخدم مشغل قرص صلب ذو كفاءة عالية للتخزين المؤقت، وما عليك سوى أن تقوم ببساطة بنسخ البيانات التى تحتاجها من قرص الـ CD-ROM إلى مشغل القرص الصلب، ثم قم بتنفيذ عملك الاحصائى على مشغل القرص الصلب.

وإليك هذا المثال: كنت أريد إنشاء ملف خريطة لفلوريدا الجنوبية لادماجه فى برنامجنا للخرائط (Atlas GIS)، ومن ثم اشتريت قرص CD-ROM عليه ملفات Florida TIGER (وهى قاعدة بيانات جغرافية عملاقة) من مكتب الاحصاء. وكان إجمالى ملفات مقاطعة ديد Dade (ميامى) فقط يزيد على 47 ميجابايتس. وباستخدام نظام تشغيل البيانات DOS ، قمت بنسخ ملفات ديد على الـ Doolittle الخاص بى لتحويل أجزاء خط TIGER إلى الاضلاع اللازمة للاطلس. وقد استغرقت عملية التحويل عدة ساعات. ولكن لو أننى قمت بها من قرص CD-ROM مباشرة لاستغرقت العملية قرابة اليوم.

ولا يحد من استخدامات أقراص CD-ROM سوى أنواع البيانات التى تستطيع الحصول عليها من هذا النوع من الأقراص.

- يوجد بالفعل مواد مرجعية هائلة - دوائر معارف، وفهارس، وموسوعات الدليل- متوفرة على أقراص CD-ROM (بعضها مع ذلك، تافه، والكثير من أقراص CD-ROM المبكرة مملوءة بنصوص كتب وما إلى ذلك بدون حقوق الملكية).
- بعض مسوقى قواعد البيانات الكبرى المتصلة on-line يبيعون نسخاً من بياناتهم. وقد اعتدت على العروض من هذا القبيل من شركة Dialog، بما فى ذلك قاعدة بياناتها المسماه Standard & Poor's Corporations وصحيفة ميامى هيرالد مسجلة

على قرص. وإذا كنت تريد بعض الحقائق القليلة من مثل هذه القاعدة، فمن الأرخص أن تحصل عليها on-line، ولكن إذا كنت تبحث عن أنماط فى قاعدة بيانات كبيرة، فعليك إذن بطلبها على قرص .CD-ROM .

- أصبح هناك المزيد والمزيد من البيانات الحكومية التى توزع على أقراص CD-ROM وقد كان مكتب الاحصاء رائداً فى هذا الطريق، حيث باع معظم بيانات تعداده فى عام 1990 على أقراص CD-ROM وبأسعار رخيصة كذلك يوجد الكثير من البيانات الخاصة بالتبادل والتجارة الدولية على أقراص CD-ROM.

ويتعذر عليّ أن أشير عليك بنوع الأقراص CD-ROM التى يمكن أن تشتريها، لأن الأسعار تنخفض باضطراد، وتدخل إلى السوق طرز جديدة منها طوال الوقت.

ومع ذلك فسوف أصف لك النظام الذي أستخدمه. جهاز الكمبيوتر الخاص بى ماركة IBM PS/2 طراز 55SX به مشغل قرص صلب داخلى سعة 60 ميجابايت. وقرص الـ CD-ROM ماركة توشيبا 3201B خارجى مزود بوصلة مكيّف (adapter)، طراز SCSI (Small Computer System Interface ، وتنطق سكوزّى).

وقد كلفتنا الوحدة والمكيّف اللذين اشتريناهما فى بداية العام الحالى 800 دولار، رغم أننى شاهدت طرزاً أخرى أعلن عنها مؤخراً بسعر يقل عن 500 دولار. كذلك توجد مشغلات على أقراص CD-ROM من إنتاج NEC، وChinon، وهيتاشى Hitachi وغيرها.

وبالاضافة إلى ذلك يوجد لدىّ مشغل قرص صلب خارجى من طراز CMS Lan-stack (سعة 204 ميجابايت) يقوم ببراعة بفك قيد مؤخرة قرص CD-ROM (والميزة التى يتميز بها الميكّف "adapter" من طراز SCSI هو أنك تستطيع بسهولة ربطه بثمانية أجهزة خارجية تخرج من بطاقة مكيّف "adapter"واحد).

والخلاصة أن قرص الـCD-ROM وسيلة سهلة وغير مكلفة نسبيا فى التعامل مع كميات كبيرة من البيانات إذا ماكانت البيانات التى تريد استخدامها متوفرة على CD-ROM .[11]

في نوفمبر وديسمبر عام 1991، نشرت صحيفة دالاس مورنينج نيوز مقالات بقلم اد تيمز وستيف ماجونجل أظهرت أن «الجيش الامريكي يتجاهل قوانينه ذاتها في الاحكام الصادرة ضد مرتكبي الجرائم من المنخرطين في الخدمة. ويرسل أعداداً غير متوازنة من المنتمين إلى الاقليات إلى أقسى سجونه. وكشف التحقيق الصحفي عن حالات قام فيها القادة العسكريون بإرهاب الشهود أو قاموا فيها بتكديس هيئة قضاة المحكمة العسكرية بضباط يميلون إلى الادانة. وتتم إدانة المتهمين بناء على أدلة يصفها الخبراء بأنها لاتصلح إطلاقا لو عرضت في المحاكم المدنية، وإلى جانب التمثيل غيرالمتوازن للأقليات بين المسجونين في السجون العسكرية، فالقضاة العسكريون دائما من البيض».

وهناك الكثير من الأدوات الرخيصة المتوفرة الآن للأشخاص الذين يعملون على الكمبيوتر الشخصي. فلماذا إذن لاتستكشف بعض الخيارات المتوفرة؟

ومن أين تحصل على المساعدة في هذا المجال؟

هناك اثنتان من أبرز المنظمات لتقديم المساعدة هما :

- (MICAR) The Missouri Institute for Computer Assisted Reporting تنظم حلقات دراسية وتساعد في تحليل البيانات وعنوانها هو : University of Missouri, P.O. Box 838, Columbia, Mo. , 65205 ويديرها الآن باقتدار براندت هيوستون وأصبحت MICAR الآن جزءا من IRE.
- The Indiana University National Institute for Advanced Reporting التي اشتهرت بمؤتمرها القومي السنوي الذي يستمر ثلاثة أيام والذي يتم خلاله بحث كثير من الجوانب المتعلقة بالكمبيوتر وكتابة التقارير الصحفية. وعنوانها هو : NIAR, ES 4106, 902 W. New York Street, Indianapolis, Ind, 46202 .
- وأخيرا، احرص على قراءة العمودين الجانبيين لهذا الفصل. فسوف يبين لك أحدهما طريقة الشروع في مشروع تحقيق صحفي بمساعدة الكمبيوتر (CAR) قد يتحول في

نهاية الأمر إلى كتابة سلسلة مقالات وهو أمر من السهل القيام به، والآخر سيبين لك كيف تنشر المواضيع الطويلة فى صحيفتك.

فى ديسمبر عام 1991، نشرت صحيفة ساكرامنتو. بى حلقات بقلم مايك واجنر وماركوس بريتون أشارت «إلى أى مدى وصل الاستغلال للعمال الزراعيين المهاجرين فى كاليفورنيا وكشفت كيف أن مشرفى الولاية لم يقوموا بأداء واجبهم فى تأمين ظروف عمل ومعيشة إنسانية لهؤلاء العمال. وقد أجرت الولاية 28 تحقيقا فقط بشأن انخفاض الأجور إلى الحد الأدنى لعمال زراعيين طوال ست سنوات. ويتعرض أكثر من 20 ألف من العمال الزراعيين فى كاليفورنيا كل عام لاصابات تعجزهم عن العمل، ولكن القليل منهم الذين يحصلون على مزايا التعويض. ويعيش مابين 2 إلى 6 فى المائة فقط من قوة العمل فى مساكن مجهزة. ولم يحدث مرة واحدة إلغاء لتراخيص استخدام المبيدات الحشرية، برغم إصابة آلاف من العمال بتسمم المبيدات الحشرية».

هوامش

1- يحتوى هذا الكتاب شديد الفائدة، الذى حرره جوناثان شميد واندرو سكوت (المدير التنفيذى السابق لـ IRE)، على أمثلة من نماذج IRE لدخول المسابقة، وفيه يشرح المحررون الصحفيون ما الذى أنجزوه وكيف أنجزوه.

وتحوى كل صفحة من صفحات الكتيب الـ73 على ملخص لما توصل إليه المحررون الصحفيون، جنبا إلى جنب مع تفسير مختصر للكيفية التى بدأ فيها الموضوع، وقاعدة البيانات الفعلية التى استخدمت فيه أو التى تم إنشاؤها مع وصف للبيانات، ومصادر هذه البيانات، والنتائج والمتابعة إذا لزم الأمر، ونصيحة للآخرين ممن يرغبون فى القيام بنفس الشئ، ومناقشة للصعوبات أو غيرها من الظروف غير الطبيعية والفترة الزمنية التى استغرقها التحقيق.

وقد أعدت طبع (بتصريح من IRE) الملخصات المحررة لجزء صغير من محتويات الكتيب. فإذا كنت بحاجة إلى أفكار ممتازة، وأيضا أسماء محررين ممتازين للاتصال بهم طلبا للنصيحة، فلن تجد أفضل من هذا الكتيب.

ويباع الكتيب بسعر 17 دولار، بما فى ذلك تكلفة البريد والتسليم. والعنوان هو : IRE, PO Box .838, Columbia, Mo. 65205

2- أسعار برامج الكمبيوتر فى حالة سيولة شديدة. فمنذ بداية العقد الحالى، كانت تسير فى اتجاه واحد هو الهبوط. ولم أورد الأسعار هنا إلا لأبين الفروق النسبية فى أسعار الأنواع المختلفة. وهناك طرق قانونية كثيرة لتوفير الإنفاق على برامج الكمبيوتر. فبدلا من شراء أحدث نسخة، اشتر النسخة السابقة. فقد اشترى أحد طلبتى نسخة سابقة من الـ Works بـ 10 دولارات فقط. بل إن أحدث النسخ يمكن الحصول فيها على تخفيضات هائلة فى الأسعار. وتباع الآن Poradox التى أشرنا إليها فى هذا الفصل بأقل من 150 دولار إلا أن الناشر يخفض الاسعار ليتسنى له الحصول على نصيب من سوق المبيعات. هذا فضلا عن أن كثيرا من هذه البرامج رخيصة للغاية إذا قمت بالتحديث عن طريق إبدال الطرز. فعلى سبيل المثال، تبيع شركة مايكروسوفت برنامجها الشهير FoxPro، بجزء بسيط من سعر القطاعى إذا قمت بالتحديث من شركة منافسة. وأخيراً، تعرض معظم محال بيع برامج الكمبيوتر ولاسيما تلك التى تنشر إعلاناتها فى المجلات القومية، تخفيضات كبيرة فى الأسعار التى يعلن عنها الناشرون. ارجع للإعلانات .

3- لا تحتفظ المحكمة، بطبيعة الحال بمعلومات عن الدخل. غير أننا نستطيع هنا استخدام بديل للتوصل على الأقل إلى اختصار تقريبى ربما يكون عمليا. وهو رقم المنطقة التى يعيش فيها كل منهم.

4- هناك كثير من المشكلات الأخرى بالاضافة إلى تلك التى ذكرها كلارك. أكبر هذه المشكلات هى أن العاملين فى الحكومة على جميع المستويات يمكن أن يمحوا المعلومات الموجودة على الأشرطة، مثلما اكتشف أن ذلك ماكان يفعله بعض أعضاء إدارة بوش قبل نقل السلطة مباشرة إلى إدارة كلينتون. بالاضافة إلى أن الكثير من القرارات الحاسمة تتم عن طريق رسائل تروح وتجئ على نظم كمبيوتر متصلة ببعضها البعض، ونادراً مايتم إنقاذ هذه الرسائل وغالبا لاتقع تحت طائلة قوانين حرية الوصول إلى المعلومات. وهذا يعنى أن الكثير مما يجرى فى الحكومة ليس متاحاً للمؤرخين ولا لنظرائهم من الصحفيين.

5- أعيد طبعها من النشرة، يونيو عام 1991، 4-1 وقمت بنشر هذه النشرة لمساعدة الصحفيين المهتمين بكتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر. فنحن نتقاسم النجاح والفشل. والاشتراك فى هذه النشرة قيمته 35 دولار، والنشر يكون عرضيا أو بصورة غير منتظمة - بواقع ست إلى ثمانى مرات تقريبا كل سنة تقويمية. وعنوان النشره هو :.The Newsletter. 5622 Wood Lane St Louis Park, Minn, 55436 للحصول على عينة من النشرة.

6- أعيد طبعها من The Newsletter نوفمبر عام 1991، 4-1.

7- نفس المصدر ، 4 .

8- The Newsletter، مايو 1992، 3-1.

9- يعتبر The Mall of America أكبر سوق تجارى فى البلاد ، وتقوم كل محطات التليفزيون والصحف تقريبا بارسال محررين صحفيين إلى بلومينجتون Bloomington بولاية مينيسوتا ، لمراجعة العروض فيه من أجل قرائها ومشاهديها. وقد أنشئت هذه السوق بمبادرة من الأخوة غيرميزيان Ghermezian الكتيرين، الذين انشأوا قبل ذلك أكبر سوق تجارية فى إدمونتون Edmonton.

10- هذا المقال نسخة أجرى عليها تحرير طفيف من استعراض الآنسة هانسين للملفات قاعدة البيانات The Database Files، وهو أحد النشرات الاعلامية التى قمت بنشرها. («تعتبر Folio VIEWS وسيلة ممتازة للتعامل مع مالديك من أطنان البيانات وهى وسيلة ليست باهظة التكاليف (نسبيا) للقفز إلى النص الفائق» بقلم كانى ال. هانسين عن كتاب The Database Files/The Newsletter of News Research، يناير، 1993، 3-1) والاشتراك فى هذه النشرة الاعلامية التى تصدر ست مرات سنويا هو 100 دولار وعنوانها هو : 5622, Wood Lane, St Louis Park, Minn 55436 .

11- The Newsletter، فبراير 1992 ، 3-1.

كتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر

بقلم آن ساول، صحيفة جانيت Gannett[1].

البداية من لاشئ

فور عودتك من المؤتمر القومى للصحافة بمساعدة الكمبيوتر National Conference on Computer - Assisted Journalism (لقد دفعت تكاليف المشاركة بطريقتك الخاصة) تجد أن الجميع متحمسون لاستخدام الكمبيوتر لمساعدتهم فى كتابة مواضيعهم.

وللأسف أن الكمبيوتر الوحيد فى الصحيفة التى تعمل بها موجود فى مكتب مراقب النفقات ولا يوجد عليه سوى البرنامج الشهير Lotus 1-2-3 الذى يستخدمه فى التعامل الصاخب مع الأرقام.

غير أنه لابد لك من العمل معه، فقد قمت بالبحث اللازم وتعاملت أيضا مع أرقام خاصة بك. تتقدم إلى مكتب رئيسة التحرير مسلحاً باقتراح موضوعك لتقول لها أنه لاينقصك سوى 20 ألف دولار لتربح بها جائزة بوليتزر للصحيفة.

كن واقعيا

المشكلة واضحة :

- إن الصحيفة، مثلها فى ذلك مثل الصحف الأخرى هذه الأيام، تفتقر إلى النقود.
- إن رئيسة تحريرك تعتقد أن كلمة بايت (byte) هى قضمة (bite) تأخذها من الهامبورجر – ولكنك فقط أخطأت فى هجائها.

- إنه يدور فى ذهنك فى هذه اللحظة كل عروض انديانا بوليس العظيمة عن تلك التحقيقات الصحفية الضخمة التى تستمر على مدى ستة أشهر (تحقيقات عظيمة فعلا، ولكنها تفوق قدرة ميزانية صحيفتك فى تلك المرحلة).

ابدأ العمل

الصحفيون بطبيعتهم وبطبيعة عملهم متشككون فلماذا لاتكون رئيسة تحريرك متشككة أيضا ؟ إذن قبل أن تفكر حتى فى طلب موارد إضافية - عليك أن تثبت لها أن الكمبيوتر يستطيع مساعدتك فى إنجاز العمل على نحو أفضل.

أولا: يجب أن تكون لديك فكرة عن الموضوع. فحسبما تكون ربما قد سمعت فى انديانا بوليس أو قرأت فى إحدى مجلات صناعة الكمبيوتر، لاتبدأ مشروعات التقارير الصحيفة بمساعدة الكمبيوتر بالكمبيوتر، بل تبدأ بفكرة موضوع. ويقتصر دور الكمبيوتر على المساعدة فى كتابة التقارير الصحفية.

ثانيا: إن مشروعات التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر لايتعين أن تكون كبيرة ومدوية. فأجهزة الكمبيوتر يمكن أن تساعد الصحفيين حتى فى المواضيع الصغيرة ، بل والروتينية.

وبسبب عدم وجود أى مصادر لك، لذلك عليك أن تبدأ.

ابحث عن فكرة

نظراً لأن العام هو عام انتخابات، فإن معظم الصحف ستنشر موضوعات عن اتجاهات تسجيل الناخبين. وبناء على نوع المعلومات (العنصر، الجنس، الحزب السياسى) اللازمة للتسجيل فى الولاية التى تعيش فيها، فإن قوائم تسجيل الناخبين قد تساعدك فى التعرف على ما إذا كان هناك تحول فى الانتماءات الحزبية بين الأقليات فى مواقع معينة أم أنها مجرد تغييرات تعم عملية التسجيل.

وإنجاز هذا الموضوع بدون كمبيوتر، سيحتاج منك إلى القيام بنخل كمية مطبوعات هائلة لقوائم تسجيل الناخبين حتى تلاحظ هذه الاتجاهات.

أما اذا كانت هذه الأرقام مسجلة بواسطة الكمبيوتر، فإنك تستطيع على الفور إخراجها بأى المعايير (العنصر، النوع، الحزب) المتوفرة.

وإذا كانت القوائم متوفرة على شريط ذو 9 أقسام وليس لديك drive لتسعة أقسام فى الصحيفة التى تعمل بها، فربما تستطيع اللجوء إلى الجمعية المحلية من أجل القيام لك بعملية تحليل هذه الأرقام.

ولكن دعنا نفترض الأسوأ - وهو أن السبيل الوحيد أمامك للوصول إلى القوائم هو الحصول عليها مسجلة على الورق.

احصل على قرض

اسأل مراقب النفقات إن كنت تستطيع استخدام جهاز الكمبيوتر الخاص به عندما لايكون موجودا. وإذا لم يكن بوسعك توفير 500 دولار ثمن برنامج Paradox أو برنامج لقاعدة بيانات اتصالية، فإنك تستطيع دائما أن تبدأ ببرنامج Lotus 1-2-3 الموجود بالفعل على كمبيوتر المراقب. سوف يؤدى برنامج Lotus عمليات استخراج البيانات البسيطة التى تحتاجها لمثل هذا الموضوع، وعندما تسمح لك ظروفك بشراء برنامج Paradox، فإنك تستطيع نقل ملفات Lotus فى هذا البرنامج لحفظها لحين كتابة موضوعات فى المستقبل عن تسجيل الناخبين.

وإذا كنت لاتعرف كيف تستخدم البرنامج Lotus، فيمكنك التفكير فى الاشتراك فى دروس فى الكلية المحلية (وهى غالبا لاتكون مرتفعة التكلفة) أو أن يكون مراقب النفقات على استعداد لمساعدتك فى بداية المرحلة.

اشرع فى العمل

ابدأ بقائمة تسجيل الناخبين الحالية. وإذا كان لديك الوقت الكافى، تستطيع الدخول على أرقام السنوات السابقة، وعندما يتم الانتهاء من التسجيل لانتخابات نوفمبر، تستطيع أيضا الدخول عليها. كما يمكنك الدخول على قوائم أسماء الاشخاص الذين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات السابقة. وأن تنشئ صيغة خلية لرصد النسبة المئوية للاقبال على التصويت. ويمكن لهذه المعلومات أن توفر لك موضوعا صغيرا ولطيفا عن الدوائر الانتخابية التى كان بها أعلى أو أقل نسبة إقبال على التصويت فى السنوات السابقة - وذلك بناء على أرقام فعلية وليس عن طريق مجرد معلومات - قدمها لك مكتب تسجيل الناخبين أو مقر الحملة الانتخابية لأحد المرشحين (المعلومات المقدمة من هذا المصدر الأخير مشكوك فيها غالبا).

بعد الدخول على المعلومات، ابدأ فى أداء بعض العمليات البسيطة لاخراج المعلومات. ولا تنسى الاحتفاظ بقائمتك الاساسية وأن تؤدى عمليات إخراج البيانات على نسخة.

والآن يمكنك على الفور تحليل نسبة الاقبال على التصويت وأنماط التصويت. وبذلك تكون قد أنشأت قاعدة بيانات يمكن أن تبنى عليها لعدة سنوات.

ولئن كان ذلك لن يؤدى بك إلى موضوع يحصل لصحيفتك على جائزة بوليتزر، إلا أنه سيسفر عن موضوعات لها بعض الأهمية الآن وفى المستقبل. وسوف تقنع رئيسة تحريرك بأن الكمبيوتر يساعد المحررين الصحفيين على أداء وظيفتهم على نحو أفضل.

كن حكيما

حتى إذا أقنعت رئيسة التحرير بأن الكمبيوتر ساعدك على القيام على نحو أفضل فى بعض الموضوعات البسيطة، فإن الوقت الحالى لايعتبر الوقت المناسب لتفاجئها بمسألة الـ 20 ألف دولار.

أنظر فى قائمة المشتريات ورتبها بحسب الأهمية، ابدأ بالبنود الصغيرة التى تتميز بضآلة أسعارها- مثل برنامج كمبيوتر لقاعدة بيانات. تأكد من أنك تستطيع استخدام هذه البنود على الفور حتى يتسنى لرئيسة التحرير أن ترى نتائج لكل بند من المصروفات التى توفرها لك.

وربما تكون قد سمعت فى الحلقات الدراسية المختلفة التى شاركت فيها فى انديانا بوليس أو قرأت فى النشرات الاخبارية المتعددة عن كتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر، إن الصحفيين البارزين الذين يقومون الآن بتحقيقات صحفية ضخمة بمساعدة الكمبيوتر بدأوا صغاراً.

المهم أنهم بدأوا بالفعل.

(آن سول تعمل محررة لنظم الأخبار فى صحف جانيت "Gannett" وتساعد المحررين الصحفيين فى هذه المنظمة فى كتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر).

وهذه طريقة أسهل

بقلم جون أولمان

اشتر نسخة من Microsoft Works بحوالي 100 دولار. بعد ذلك، أنشئ لك طبعة أو قالب كالتالى : العمود واحد يحمل عنوان المواضيع التى تكتبها. العمود الثانى فيه التاريخ. العمود الثالث به طول الموضوع عندما ترسله إلى مساعد رئيس التحرير (ACE)، العمود الرابع به طول الموضوع الذى أرسله ACE إلى مكتب النسخ. (سيعرض عليك الـACE ما أرسلوه وإذا لم يفعل ذلك، حاول أنت أن تعرف) ، العمود الخامس به اسم محرر النسخة الذى قام بتحرير موضوعك. (قم بزيارة ليلية للصحيفة لتعرف من الذى أخذ موضوعك وما إذا كان لديه أى أسئلة) العمود السادس به طول الموضوع بعد نشره.

قم بهذه العملية. لنقل، لمدة ستة أشهر.

والآن لقد أنجزت أول قاعدة بيانات اتصالية. تهانينا[2] .

وإليك ماتفعله بهذه البيانات. عندما تخزن معلومات فى عدة مجالات، فإنك تستطيع تحديد من هو محرر النسخة الذى يجرى أكبر اختصارات على موضوعاتك وأكبر قدر من هذه الاختصارات. اصطحب هذا المحرر إلى العشاء وحاول أن تعرف ماهى بحق السماء المشكلة (ثم حاسب الصحيفة على تكاليف العشاء باعتباره عشاء لأحد مصادرك)[3] .

هوامش

1- The Newsletter، مايو 1992 ، 3-7 .

2- حسنا ، حسنا . إنه ملف بسيط. ولكن حتى الملفات البسيطة بها بعض الامكانيات المعقولة. وبالنسبة لك سوف أتجاهل الفرق.

3- The Newsletter، مايو 1992، 8 .

الفصل الرابع

كيف تحصل على أكبر أستفادة من قواعد البيانات

على الرغم من أن كثيرا من الصحفيين الآن ينعمون بثمار المكتبات الاليكترونية فإن معظم أمناء المكتبات لا يستخدمون سوى جزء بسيط من الخمسة آلاف مكتبة الموجودة حاليا. هذا الفصل من الكتاب يعرفك كيف تستفيد على نحو أفضل من قواعد البيانات التى تتعامل معها، ويعرفك فى العمود الجانبى، كيف تتوسع فى استخدامها.

لقد أدركت الآن أن قواعد البيانات الإلكترونية أدوات رائعة للحصول على خلفيات عن أى موضوع معين لك. كيف لى أن أعرف ذلك؟ لأنك تقرأ فى كتاب عن كتابة التحقيقات الصحفية المتطورة ولأن البحث فى قاعدة للبيانات أصبح الآن من الأعمال الروتينية فى كتابة التحقيقات الصحفية، تماما مثلما هو الحال مع مئات من الصحفيين والاذاعيين الذين يحاولون فقط الحصول على فكرة والتحقيقات التى سيعملون فيها فى اليوم التالى.

قد تكون ممن يستخدمون قواعد البيانات بشكل روتينى للعثور على مصادر. وأصبح أمين المكتبة الذى يقوم لك بالبحث عن المعلومات من الأشخاص الذين تراهم بشكل منتظم الآن، بل وعلى فترات قصيرة. ولكن هل لديك أية فكرة كم تكون قواعد البيانات أداة ممتازة للتحقيق عندما يحسن باحث متمرس استغلالها؟.

وإليك المثال التالى عن عملية بحث لأمين مكتبة بصحيفة فيلاديلفيا انكوايرار قام بها لدون باريت وجيمس ستيل فى تحقيق صحفى حصلا به على ثانى جائزة بوليتزر للفريق، ذلك التحقيق الذى تناول كل المزايا التى يعطيها الكونجرس لأشخاص وشركات مختارين. وكان من الصعب تعقب الحقائق فى هذا التحقيق لأن المعلومات الكاملة التى يمكن التحقق منها كانت دائما مفقودة من السجل العام. (يحكى لنا بارليت هذه الطرفة).

كانت القاعدة الانتقالية لقانون الضرائب تكشف فقط عن المعلومات التالية عن هوية المستفيد من قانون ضرائب الشركات الخاصة :

شركة فى مدينة ديلاوير Delaware أنشئت فى 10 أغسطس 1928 ، وكانت مديونيتها فى 28 مايو 1986:

- 975 مليون دولار قيمة المبلغ الاسمى لقرض بنكى بنسبة فائدة متغيرة يستحق السداد فى 31 مايو 1994.

- 400 مليون دولار قيمة المبلغ الرسمى لسندات ثانوية بفائدة 12.5 فى المائة تستحق السداد فى أول يونيو عام 2001.
- 225 مليون دولار قيمة المبلغ الاسمى لسندات ثانوية منتهية بفائدة $12\frac{1}{4}$ فى المائة تستحق السداد فى أول يونيو عام 1998.

إتصلت بجينيفر ايوينج، أمينة المكتبة الشابة التى أعمل معها منذ عدة سنوات ودار بيننا الحديث التالى:

بارليت : «نريد بعض المعلومات عن إحدى الشركات».

ايوينج : «ما هو اسمها؟ »

بارليت : «لانعرف.»

(فترة صمت طويلة هنا كانت جينيفر، التى اعتادت على مطالبنا الغريبة، تقوم خلالها دون شك بانتقاء كلماتها بعناية، وتتساءل بينها وبين نفسها من أى كوكب هبطنا عليها. وفى النهاية تكلمت).

ايوينج : «أعطنى أى تلميح.»

باريت : «لدينا عدة أرقام.»

أعطيتها قيمة المديونيات وتواريخ الدين. وبعد مرور خمس دقائق اتصلت بى وأبلغتنى باسم الشركة.

عثرت فى صحيفة وول ستريت جورنال The Wall Street Journal (التى تضمها قاعدة البيانات Dow Jones News Retrieval) على موضوع عن أن شركةFMC Corp تعرض سندات ثانوية منتهية قيمتها 225 مليون دولار بفائدة 12.5 فى المائة مستحقة السداد فى أول يونيو 1998، وسندات ثانوية قيمتها 400 مليون دولار بفائدة 12.5 فى المائة مستحقة السداد فى أول يونيو عام2001.

وبمراجعة Standard & Poor تبين أن شركة .FMC Corp القائمة اليوم، كانت

قد تأسست فى ديلاوير فى 10 أغسطس عام 1928 تحت اسم John Bean Manu-facturing Co. وكانت تلك معلومة أخرى للتعرف على هوية الشركة.

هذه الطريقة تعتبر بالنسبة لأى إنسان عادى منا بمثابة عمل استخبارى فذ... صح؟. أما بالنسبة لجينفر ايوينج، أمينة المكتبة فى صحيفة انكوايرار التى قامت بالبحث عمليا on-line، فلم تكن تلك مهمة تنطوى على صعوبة خاصة. وكان أصعب جزء فيها هو البت فى أى قواعد البيانات من بين العديد من قواعد البيانات المتوفرة لديها هو الأفضل. تقول ايوينج، إن هذا الطلب كان روتينيا تقريبا. والواقع أن هذه الطرفة تمثل الجانبين الطيب والسئ، ولكن ليس القبيح، فى البحث فى قواعد البيانات.

الجانب الطيب

مازالت قواعد البيانات تمثل واحدة من أعظم، وأسرع وأحدث مصادر المعلومات بالنسبة للمحرر الصحفى - أى محرر صحفى يعمل فى أى مكان. هذا بالاضافة إلى أنها مردودة التكاليف إلى أبعد الحدود. ولم يعد البحث فى قاعدة البيانات مجرد رفاهية تتمتع بها الصحف شديدة الثراء، وذلك على الرغم من أن انتشار قاعدة بيانات فى صالات تحرير الأخبار فى جميع أنحاء الولايات المتحدة يظل حديث النشأة نسبيا. هذا فضلا عن أن هناك كثيراً من قواعد البيانات التى يجب عليك الاختيار من بينها. فضلا عن المئات الأخرى التى تتوفر كل عام.

فعلى سبيل المثال، يعلن دليل Guadra Directory of Databases، الذى تتولى نشره الآن شركة .Gale Research Inc، انه فى عام 1979 - 1980 ، كان هناك 400 قاعدة بيانات يوفرها 221 منتجاً. أما فى إصدار يوليو عام 1991 أورد دليل Guadra أسماء 5,026 قاعدة بيانات من 2,158 منتجاً لها.

والمعلومات الواردة فى قواعد البيانات تعفيك من إعادة اختراع العجلة (أى البدء من نقطة الصفر)، أو من أن تظل، كما هو الحال بالنسبة لمعظم الصحفيين، لاتعلم إلا أن العجلة اخترعت وأنها تستخدم بالفعل كثيرا.

الجانب السئ

يظل البحث فى قاعدة بيانات، بالنسبة لكل المحررين الصحفيين تقريبا عملية من خطوتين، إحداهما ترجع بالمحرر الصحفى خطوة مهمة أخرى إلى الوراء بعيدا عن الاعتماد على نفسه فى العثور على المعلومات.

فالمحرر الصحفى تخطر له الفكرة. وأمين المكتبة هو الذى يترجم المسألة إلى بحث، ويختارقاعدة (قواعد)البيانات، ويقوم بالبحث فيها، ثم يقوم بتسليم ماتوصل إليه من نتائج إلى الصحفى، ثم ينتظر لمعرفة ما إذا كنت تستحق تكاليف الفاتورة.

وكنت أعتقد، حتى وقت قريب، أن هذا ماتسير عليه الأمور دائما. لماذا ؟ لأن أمناء المكتبات يضعون بأنفسهم المعلومات فى جهاز الكمبيوتر ومن ثم فالأمر يحتاج إلى أمين مكتبة لاخراج هذه المعلومات.

فعلى سبيل المثال، كنت قد اشتركت فى عدد من برامج الدراسات العليا فى البحث فى قواعد البيانات كجزء من برنامج حصولى على الدكتوراه فى جامعة ميسورى بكولومبيا ، ودرست مناهج تتضمن أبحاثا عن البائعين، وكتبت مقالات وأجريت مسحاً فى الصحف حول هذا الموضوع. كما أننى أقوم بنفسى بالبحث من حين لآخر طوال أكثر من عشر سنوات وأعتبر نفسى واحدا من بين أفضل عشرة ممن اعتادوا على التعامل مع عدد قليل من قواعد البيانات، ولا أعرف شيئا عن البعض الآخر، بل ومعلوماتى تقل عن الصفر فى بعض قواعد البيانات الآخرى.

أما أمناء المكتبات المدربين جميعهم - أولئك الحاصلين على درجة الماجستير فى علم المكتبات (MLS) فقد بلغوا شأنا بعيدا فى معرفة أى قاعدة بيانات (9 من 10)- أما أنت فماذا لديك؟

لماذا كان الأمر كذلك؟ لأن البحث يحتاج إلى تدريب وتمرين مستمر. ويحتاج فهم خطط التصنيف المستخدمة فى قواعد البيانات إلى بذل الجهد والوقت والتكاليف التى

تبذل فى دراسة رسمية لأعمال المكتبات، إذ أن معظمها لايعتمد على البديهة، حتى بالنسبة لأمناء المكتبات المدربين أحيانا.

وإليك المثال التالى. افترض أن مدينتك فى سبيلها إلى قبول عروض من شركات خاصة للتخلص من القمامة، وقررت المدينة أن التعامل مع شركات خاصة بدلا من العمال الحكوميين المنتظميين سيكلفها أموالا أقل، وعلمت أنت من مجموعة مختلفة من المصادر - سواء كانت إخباريات أو مصادر أو من قراءاتك أن المافياMob تسللت إلى هذا العمل ومن ثم فقد قررت التعرف على الوثائق المطبوعة فى هذا الشأن وإجراء البحث بنفسك.

أنت تعرف أن أعظم قوة تتمتع بها قواعد البيانات هى أنها تستطيع قبول أغرب المفاهيم المختلفة، وتربط بينها ولا تتبرم بالأشياء التافهة لأن الكمبيوتر لايلتفت إلى أى شئ فيما عدا البيانات ذات الصلة. تختار أنت، لأحد طرفى المعادلة مصطلح «الجريمة المنظمة» و «المافيا Mob» أو "Cosa Nostra"وفى الطرف الآخر تختار«قمامة» و «نقل القمامة» و«نفاية refuse» .

وبطريقة ما تضع يدك على قاعدة البيانات المناسبة، غير أن البحث يعثر لك على مليون معلومة - استشهادات من مقالات تتضمن ما أدخلته من مفاهيم. لماذا؟ لأن كلمة "refuse" تعنى أيضا يمتنع "decline" ولايريد "won't"، ويرفض "turn down" والآن، فقد التقطت كل المقالات التى رفض "refused" فيها شخص ما الترشيح فى حملة انتخابية، أو الزواج، أو التوقيع على الخط المنقط والآلاف غيرها من البدائل. وبدلا من الاستفادة بواحدة من أعظم نقاط القوة فى قواعد البيانات - ألا وهى توفير وقت البحث - تجد أنك قد أسأت استعماله. وهذا يصدق بصفة خاصة عندما تبحث فى قاعدة بيانات للنص الكامل ولم تقصر البحث على العناوين أو الملخصات على سبيل المثال.

طوال عملية البحث، أنت تكافح من أجل إعادة التعريف، وإعادة التحديد، ويجرى بك الوقت وتتضخم لديك التكاليف.

ومن جهة أخرى هناك مشكلة أخرى شائعة.

أنت تختار مصطلحات للبحث عن معلومات ليست مفهرسة تحت نفس المصطلحات التى تريدها، حتى وإن كانت من أكثر المصطلحات شيوعا فى الاستخدام سواء منك أو من بقية الجمهور المتعلم (من غير أمناء المكتبات). ذلك أن أمناء المكتبات يفهرسون بطريقة مختلفة عن الطريقة التى قد تفهرس أنت وأنا بها المعلومات، وهو مايفسر لنا لماذا يستطيعون هم العثور على أشياء نفشل نحن فى العثور عليها.

وربما تخرج من عملية البحث المضلّلة تلك بفكرة أن المعلومات غير موجودة هناك، ولكنك ترتكب بذلك خطأً فاحشاً. فقد أضعت فى إحدى المرات ساعات لاحصر لها فى البحث عن معلومات لتحقيق وثائقى من «تحقيقات الصفحة الأولى» عن انهيار عمليات الصيد التجارى حول العالم، أو الانهيار الوشيك لها. ولم أستطع الوصول بسرعة إلى معلومات مفيدة متفرقة هنا وهناك فى الصحف المتخصصة، إلا بعد لجوئى إلى باحثين محترفين من أمناء المكتبات المدربين. ولو كنت أقل ألفة بالعملية وأقل معرفة بنقاط الضعف لدى، لربما كنت قد استنتجت أن المعلومات المفيدة ببساطة ليست موجودة.

غير أن تطور التكنولوجيا، قد جعل سيطرتك على عمليات البحث أكثر سهولة، وأكثر احتمالا، وأقل تكلفة وأكثر سرعة.

القرص (الإسطوانة) CD-Rom

القرص أو أسطوانة CD-ROM المخصص للبيانات مشابه للاسطوانات CDs التى تشتريها من أجل سماع الموسيقى المسجلة عليها[1]. ويعتبر القرص CD-ROM أفضل كثيرا، فى تخزين البيانات عن الأقراص العريضة. فعلى سبيل المثال يستطيع قرص CD-ROM حمل مايصل إلى 600 ميجابايت من البيانات، أو نحو 300 ألف صفحة من

النصوص. وبالمقارنة، فإن الاسطوانة العريضة القديمة عرض 5.25 بوصة (حوالى 11 سم) التى مازلت استخدمها فى المساندة تحمل نحو 270 صفحة مطبوعة، كما أن جهاز الكمبيوتر IBM XT الذى استخدم فى كتابة هذا الكتاب، لايوجد به سوى قرص صلب hard disk صلب سعة 10 ميجابايت فقط.

وقد دأب كثير من بائعى قواعد البيانات on-line مؤخرا على عرض بياناتهم التى جمعوها لعدة سنوات ماضية أو أكثر على قرص CD-ROM، وبدأ الجمهور، والجامعات، بل وحتى مكتبات الصحف فى الاشتراك عندهم. وتشترك مكتبة صحيفة ستار تريبيون فى ثلاثة من قواعد البيانات تلك - وهى : ملخصات من الصحف على أسطوانة، وملخصات من الدوريات على أسطوانة وكلتاهما من شركة University Microfilm Inc, (UMI)، ثم قاعدة بيانات صحيفة نيويورك تايمز على أسطوانة سى. دى. روم CD-ROM[2].

يقول بوب جانسين، رئيس أمناء المكتبة فى صحيفة ستار تريبيون، أنه يحصل على أسطوانات CD-ROM لأن المحررين الصحفيين أصبحوا يأتون إلى المكتبة، بأنفسهم للبحث عما يحتاجونه إذ يتوجهون مباشرة للبحث فى قاعدة البيانات إذا كنا مشتركين فيها. أما إذا كنا غير مشتركين فإننا نوفر الوقت والمال باستخدام خط التليفون المباشر on-line للوصول إلى مانحتاجه تماما.

«إن المحررين الصحفيين يستخدمونها فعلا وهم سعداء بما سيتوفر لهم من معلومات بمجرد أن يصلوا إلى المكتبة. وقد تزايد انتشار استخدامها إلى درجة أننا سنحتاج قريبا إلى أسطوانة CD-ROM جديدة وجهاز لقراءة المعلومات[3]».

أما المكتبات العامة ومكتبات الجامعة فلديها اسطوانات سى. دى. روم أكثر كثيرا. فمكتبة Mineapolice Public Library العامة توفر لمرتاديها أكثر من نصف دستة من قواعد البيانات، أما جامعة مينيسوتا University of Minnesota فلديها أكثر من ثلاث دست. كيف يفيدك هذا؟ سأعدد لك طرق الاستفادة.

مجانا لك أنت فقط

كان عنوان المقال عظيما : «الاحتيال دون أن تدرى فى تعليم الصحافة» وكانت العناوين الفرعية للمقال عظيمة بنفس القدر تقريبا : «مهارات التعامل مع قاعدة البيانات فى الكمبيوتر جوهرية فى الصحافة الجادة. لماذا تخذلنا مدارس الصحافة؟».

كان المؤلف، هو أحد أساتذة الصحافة، ينعى فى مقال نشر فى مجلة Quill فى يونيو عام 1992 أن مدارس الصحافة لاتقوم بما يكفى، لإعداد طلبتها للدخول فى العصر الإلكترونى الجديد للصحافة بمساعدة الكمبيوتر، سواء من حيث هضم الأرقام، أو تحليل البيانات أو الدخول إلى قواعد البيانات الإلكترونية بصفة خاصة وكان المقالان التاليان بمثابة كتيب صغير عن خدمات on-line [4].

وقد لقى مقال شهر سبتمبر فى المجلة رداً واحداً، عبارة عن خطاب يقول إن مهارات التعامل مع قاعدة البيانات لاتوفرها الكلية التى يقوم فيها هذا الأستاذ نفسه بالتدريس، لأنه لاتوجد أى أموال لتغطية نفقات البحث.

حسنا، ماذا تعنى لهم ولك كلمة «بدون مقابل»؟

لقد أصبح من النادر أن تجد مكتبة أكاديمية أو مكتبة عامة لايوجد بها نوع من أجهزة قراءة اسطوانات CD-ROM التى توفرها لمرتاديها.

أنت تجلس أمام جهاز الكمبيوتر وترد على أسئلته، وهذا ليس فقط نوع من الود من ناحية الكمبيوتر تجاه أى شخص يستخدمه ولكن ود للصحفى بنوع خاص. فأنت لاتحتاج أساساً إلا إلى معرفة ما الذى تريد أن تعرفه من الكمبيوتر.

وكثير من الأجهزة بها طابع يقدم لك المعلومات التى طلبتها مكتوبة على الورق. ولهذا فأنت لست بحاجة إلى أن تدون مذكرات بنفسك.

وهل أشرت إلى أن ذلك بدون مقابل؟

إن ذلك لايكلفك أنت أو مؤسستك التى تعمل بها مليما واحدا[5].

تعلم استراتيجيات البحث خارج الخط

على الرغم من أن استراتيجية البحث لمعظم المنتجات من اسطوانات CD-ROM تعتبر قليلة مقارنة بنظرائها on-line فإن القيام بعمليات بحث كثيرة - حسبما يجب أن تفعل - يجعل لديك إحساساً بنظم التصنيف والطريقة التى يتم بها التعامل معها.

وهذا فى حد ذاته لا يؤدى بك إلى مرتبة الخبير كباحث فى قاعدة بيانات، فالأمر أبعد من ذلك كثيرا. غير أن ما يؤدى بك إليه هذا هو أن تصبح خبيراً «كمستفهم» من قاعدة البيانات - أى إنك تكون شخصا يستطيع أن يجعل البحث الذى يجريه أمين المكتبة on-line أكثر كفاءة من عدة نواح مهمة : 1) فأنت تصبح أفضل فى التفكير من حيث المفاهيم والكلمات المفاتيح، 2) وأنت تصبح أفضل فى معرفة كيف تتفاعل مع أمناء المكتبات الذين لايريدون، من ناحيتهم، أيا من هذه البيانات، وكلما كنت ناجحا فى الاتصال بهم والتحدث معهم،كلما كان ذلك سببا فى إنجازهم للبحث الذى تطلبه على نحو أفضل.

بل والأهم من ذلك، أن كتاباتك الصحفية سوف تقفز قفزة نوعية من حيث فائدتها، وإتقانها وبراعتها ويكون لها مردود لك ولقارئك أو مشاهدك.

استراتيجية البحث

لقد توفر لى الآن الكثير من قواعد البيانات على أسطوانة CD-ROM فى Twin Cities، وهذه هى الطريقة التى أنجز بها بحثى، وهى طريقة قد تود أن تستخدمها أنت أيضا.

- أولا، ألقى نظرة على قواعد البيانات المسجلة على القرص CD-ROM للخروج بأى أفكار يمكن أن تجذبنى. (أنظر القسم الأول من الفصل السادس حول إقتراحات بشأن الخروج بأفكار للمشروع).

وبهذه الطريقة، أستطيع التقاط الكثير مما هو منشور فى الصحف ذات الانتشار الواسع عن الموضوع الذى اخترته. وهذا من شأنه أن يثقفنى حول إمكانيات تحقيقى الصحفى وينبهنى لما نشر بالفعل فى هذا الشأن. وعندما أقرأ المقالات، فإننى أضع خطا تحت بعض المفاهيم الرئيسية والمؤلفين والمصادر الرئسيين ممن يبدو أنهم على علم وفكر.

أرجع مرة أخرى إلى قاعدة بيانات CD-ROM، للبحث فى المصطلحات الجديدة، وأيضا فى أسماء المؤلفين أو المصادر، أو فى أى عنوان لكتب أو مقالات التقطتها أثناء قراءتى.

- ثانيا، أبحث الآن فيما إذا كنت بحاجة لأدفع لشخص أيا كان حتى أكون on-line. وغالبا تكون الاجابة بنعم، وذلك لسببين : 1) أن حداثة بيانات برنامج الـCD-ROM ترجع إلى يوم طبع الاسطوانة. أى أنك ستكون بحاجة إلى الذهاب on-line لتحصل على أحدث المعلومات. 2) أن قواعد بيانات برامج الـCD-ROM التى تكون متوفرة لى أكثر من غيرها نادرا ما تتضمن الصحافة المتخصصة أو الفنية - أى تلك المطبوعات التى تحدث فيها الخبراء بعضهم إلى البعض الآخر، والتى يوجد منها الآلاف. وغالبا ما أكون بحاجة إلى هذه المقالات أيضا، سواء كان ذلك من أجل المعرفة والآراء حول الموضوع المنشور بها أم من أجل التعرف على المصادر العليا[6].
- ثالثا، أستخرج طبعة بنتائج بحثى وأقدمها إلى باحث on-line (أو أصفها عبر الهاتف)، حتى يتسنى للباحث تصميم بحث يوجه إلى هدف معين له فائدة عظيمة لى.
- وبعد أن أقوم بتجميع كل ذلك، أقوم بكتابة مذكرات تستحق الفوز بجائزة والتى ستقنع المشرفين بالسماح لى باتمام التحقيق.

اقتفاء أثر الموضوعات

المسّوق هنا هو الشركة التى تأخذ مجموعة من قواعد البيانات من مصادر تسعى جاهدة إلى بيعها وتجميعها معا حتى لاتضطر أنت (أو الباحث الذى يعمل معك) إلى تعلم مجموعة جديدة من أوامر البحث فى كل مرة تفتح على قاعدة بيانات.

أفضل وأكبر قواعد البيانات هى DIALOG Information Services التى يملكها الآن ناشر الصحف Knight-Ridder والتى تضم نحو 400 قاعدة بيانات.

وأنا استخدمها طوال الوقت عندما أطلب باحث. وإليك كيف ولماذا يتم ذلك:

تتميز DIALOG بأنها تترك للباحث القيام بنفس البحث عبر كل قواعد البيانات أو عدد مختار منها فى نفس الوقت. ثم تخبرك بعدد الخبطات المهمة فى كل واحدة منها قبل الدخول إليها. وهذه الميزة تسمى غالبا البحث الشامل.

وعندما أبحث عن خلفية للأشخاص، فاننى عادة أدرج بعض قواعد بيانات DIALOG التالية أو كلها. (تستطيع عادة أن تعرف السبب فى ذلك من مجرد ذكر اسمها ولكننى أضفت بعض المعلومات الخاصة كلما كان ذلك مناسبا).

- وكالة AP للأنباء، وهى عبارة عن ملفات وكالة اسوشيتيد برس تعود الى عام 1984.
- الأبحاث الفنية والانسانية Arts and Humanitarian Search، والتى ترصد 1300 صحيفة للفنون والشئون الانسانية، بالاضافة إلى مواد من 500 صحيفة للعلوم الاجتماعية والطبيعية.
- Book Review Index، والتى تقدم فهرسا للكتب يرجع إلى عام 1969 ويوجد به أكثر من مليونى تسجيل.
- Book in Print، وتقدم قائمة بالكتب التى تحت الطبع وبها أكثر من 1.3 مليون تسجيل.

- Congressional Record Abstracts، والتى تعود إلى عام 1981 وتحتوى على نحو نصف مليون تسجيل. كما أن تقارير اللجان واللجان الفرعية، وجلسات الاستماع التى تغطى كافة مظاهر الحياة تعتبر رائعة فى العثور على مصادر وفهم لكل جوانب مشكلة ما، بما فى ذلك أبعادها السياسية، رغم أنها على كل حال لاتقتصر على ذلك.

- Legal Resource Index، وهو فهرس للمصادر القانونية يعود إلى عام 1980 ويحتوى على نصف مليون تسجيل منتقاة من 750 صحيفة قانونية «كبرى» وغيرها من المصادر القانونية. وتعتبر المقالات المنشورة فى الصحف القانونية بمثابة منجم ذهب من المعلومات لأننا، فى الولايات المتحدة نقنن كل مشكلاتنا، ويقوم المؤلفون لهذه المقالات بمناقشة حالة القانون وتفسيراته القضائية، وغالبا ما يحددون ماهو الشئ الطيب بالنسبة لقانون ما رغم أنهم يكرسون معظم اهتمامهم لما هو خطأ، والسبب فى ضرورة تصحيحه وما يجب تصحيحه، وعادة ماتكون قاعدة البيانات هذه من بين أكثر القواعد فائدة.

- Magazine Index، وهو فهرس للمجلات يعود إلى عام 1973 (وبعضها يرجع إلى عام 1959) ويحتوى على أكثر من 2.5 مليون سجل. ماذا تظن حجم المساعدة التى يمكن أن تقدمها لك قاعدة بيانات مليئة بالمقالات بقلم كتاب المجلات- ممن لديهم وقت أكثر، ومساحة أكبر، وينقلون مزيدا من المقتطفات ودائما يكون لديهم أحدث الأفكار للتحقيقات؟ هل تقول حاسمة؟

- الجرائد، التى تعود إلى سنوات كثيرة مضت، والتى يكون بها أكثر من 5 مليون سجل تعتبر مصدرا مهما. وبالاضافة إلى عشرات من الصحف اليومية الامريكية الموجودة فى الملف حتى يناير عام 1993، وتتضمن، ابتداء من هذا التاريخ فما بعده، كل الملفات تقريبا من Knight-Ridder من Vu Text، والتى تعتبر واحدة من بين اثنتين من أهم قواعد البيانات فى الصحف (قاعدة البيانات الثانية، بالطبع، هى

Data Times، التى يوجد بها عشرات الصحف التى تثير اهتمامك أيضا وليست مسجلة على DIALOG).

- Social Scisearch، التى تعود إلى عام 1972 وبها مايزيد على 2 مليون تسجيل لمختارات من 1500 من «أهم صحف» العلوم الاجتماعية، بالاضافة إلى 3000 صحيفة أخرى لمقالات فى العلوم الاجتماعية نشرت فى الصحف "الطبيعية، والفيزيائية والطبية البيولوجية».

وبحسب مايتوفر لك من النقود، يمكن توسيع قواعد البيانات الأساسية هذه لسببين .

1- النقود. فعندما يكون باستطاعتى دفع تكلفة البحث، فغالبا أدرج فى طلبى:

- بيانات PTS Newsletter Database، التى تعود إلى عام 1988 وبها نصف مليون تسجيل منتقاة من نحو 400 نشرة اخبارية متصلة بشئون الأعمال الخاصة والتجارة. وتكسب قاعدة بيانات Newsletter دخلها من توفير المعلومات التى لاتستطيع الحصول عليها من أماكن أخرى، أو على الأقل ليس بنفس السرعة، كما أن محررى النشرات الاخبارية يكونون من المصادر العظيمة للصحفيين.
- Scisearch، التى تعود إلى عام 1974 وبها أكثر من 10 مليون تسجيل منتقاة من 2600 صحيفة علمية وفنية «كبرى».
- قاعدة بيانات وثائق العلوم السياسية U. S Political Science Documents، التى تعود إلى عام 1975 وبها نحو 60 ألف تسجيل منتقاة من 150 صحيفة أمريكية «كبرى» للعلوم السياسية.

2- قاعدة بيانات التخصص Topic specialization. وبطبيعة الحال، عندما يكون من بين اهتماماتى واحدا من عشرات المواضيع المتخصصة - مثل العلوم، الأعمال الخاصة، البيئة - فإننى أدرج قواعد البيانات فى DIALOG المتخصصة فى هذه الموضوعات.

والآن، سيلاحظ القارئ المهتم أن دليل قواعد البيانات التى أشرت إليها فيما سبق تضم أكثر من 5 آلاف قاعدة بيانات وأن DIALOG ليس بها إلا نحو 400 «فقط» فماذا عن كل القواعد الأخرى؟

إن هذه الأعداد، من ناحية، تعتبر مضللة. فالدليل يدرج، مثلا، كل صحيفة تعرض ما تحتفظ به من بيانات الكترونية قاعدة بيانات منفصلة، وهى بالفعل كذلك. غير أن الكثير من هذه الصحف يمكن التقاطها فى واحدة من قواعد بيانات DIALOG أو Papers.

ومع ذلك، فان الحجم العام لهذه البيانات صحيح، فهناك الكثير من قواعد البيانات الموجودة بالفعل غير مألوفة لمعظم أمناء المكتبات فى الصحف. أو المكتبات العامة أو مكتبات الجامعة، لأن الباحثين فى أى مكان يميلون إلى استخدام عروض عدد محدود من مسوقى قواعد البيانات.

وحتى يتسنى لك تكوين فكرة عما تمثله قواعد البيانات من فائدة للصحفيين والتى تكون غير متوفرة عن طريق كبار المسوقين، (وعن أسلوب لخدمة نفسك بلا خجل فى التعرف عليهم)، انظر إلى العمود الجانبى المصاحب لهذا الفصل.

قواعد البيانات الحكومية

مازالت الحكومة الفيدرالية أكبر منتج للمعلومات فى العالم. ويمكن القول، أن المعلومات هى الشئ الوحيد الذى تنتجه. غير أنه منذ مطلع التسعينات، دأبت الحكومة الفيدرالية على تخفيف، ووقف، وخصخصة هذه السلعة الوحيدة التى تنتجها بطرق عديدة وفى مرات عديدة، وجميعها تسبب ضيقا لأولئك الناس الذين يكسبون رزقهم من توفر المعلومات وتكاملها.

إن المفارقة التى تدعو للسخرية هى أن ذلك يحدث فى نفس اللحظة تقريبا التى دخلنا فيها فى عصر المعلومات الذى طالما بشرنا به، وشاركتنا فى ذلك الحكومة الفيدرالية، على الاقل، بزيادة استخدامها للكمبيوتر.

إن القضية مهمة ومعقدة. وعلى كل حال. فهناك قدر كبير من الكتب متوافر حول هذا الموضوع فى مكتبات المجالات العلمية والقانونية. (ولكن للأسف لايوجد الكثير منها فى مجال الصحافة).

أما الجانب الإيجابى فى هذا الأمر فهو أن الحكومة الفيدرالية شديدة الضخامة إلى درجة أن العديد من أفرعها توفر البيانات الكترونيا. ومفتاح معرفة أى البيانات متوفر على الدوائر الإلكترونية هو Federal Database Finder.

هذا بالاضافة إلى أنه صدر فى عام 1993، بموافقة مجلس الكونجرس تشريع يجعل حرية الوصول إلى المعلومات الفيدرالية الإلكترونية أكثر سهولة. وقد حدث ذلك أيام ضعف إدارة بوش. ولم يتضح بعد ماذا سيحدث فى ظل إدارة كلينتون.

أما على مستويات حكومات الولايات والحكومات المحلية، فان حرية الوصول إلى المعلومات الإلكترونية تزيد إلى حد بعيد. فعلى سبيل المثال، قامت ولاية مينيسوتا بتشغيل قاعدة بيانات مزودة بمعلومات ديموجرافية وعن الموارد الطبيعية منذ تسع سنوات. كما تسمح مقاطعة هينيبين Hennepin بولاية مينيسوتا بالبحث الإلكترونى فى سجلات محكمة المقاطعة وسجلات تسجيلات المقاطعة وبعض المعلومات عن الضرائب على الممتلكات.

(من المشروعات الجيدة للطالب والواردة فى فصل مجتمع الصحفيين المهنيين Society of Proffessional Journalists القيام ببحث عن حكومات الولايات والحكومات المحلية لمعرفة ما هى السجلات المتوفرة بهذه الطريقة. ويمكن نشر نتائج هذا المشروع فى كتيب صغير، وبذلك يتمكن الطلبة من نشر أسمائهم وكسب بعض النقود من المهنيين فى الولاية الذين قد يشترون الكتيب كل عام، وفى نفس الوقت يتعرف هؤلاء المهنيون على أحدث المعلومات فى هذا الشأن. إن هذا أفضل كثيرا لهؤلاء الطلبة، ولك أنت أيضا من بيع فانلات التى شيرت).

هوامش

1- CD-ROM هو اختصار لجملة قرص (اسطوانة) مدمج - ذاكرة للقراءة فقط Compact disc-read only memory.

2- تعرض نيويورك تايمز ثلاث سنوات من النص الكامل بنحو 2250 دولار سنويا. وتحتوى News-paper Abstract، على 8 صحف: اتلانتا كونستيتيوشن (وبعض مقالات الجورنال) وبوسطن جلوب، وشيكاجو تريبيون، وكريستيان ساينس مونيتور، ولوس انجليس تايمز، ونيويورك تايمز، و وول ستريت جورنال، وواشنطن بوست. ومعظم هذه الصحف ترجع إلى عام 1985، ويتكلف هذا القرص نحو 2950 دولار سنويا، ويوجد فى Periodical Abstract، 450 دورية وتتكلف نحو 1175 دولار. اطلب رقم التليفون 0600 - 521-800 لمزيد من المعلومات.

3- الواقع أن صحيفة ستار تريبيون قد بدأت مؤخرا فى تسويق صحيفتها بنفسها على CD-ROM من خلال News Bank.

4- الفقرة المذكورة كتبها J. T. Johnson والاثنتان الأخريان Lawrence Krumenaker. أنظر Quill، يونيو 1992، 31-38 .

5- بالطبع، هذه قواعد بيانات بيبليوجرافية. بمعنى أنها تحتوى على استشهادات من مقالات ومقتطفات قصيرة تستطيع من خلالها البت فيما إذا كانت هذه المقالات مفيدة لتحقيقك. ومع ذلك يجب عليك تعقب هذه المقالات فى بقية المكتبة. وهذا أمر سهل إلى حد ما لأن المكتبة لديها قائمة بكل المطبوعات التى تشترك فيها وكيف ترجع إليها للحصول على نسخة. هذا بالاضافة إلى أن لديها قائمة بكل المطبوعات الاخرى المتوفرة لكافة المكتبات الاخرى فى المدينة التى تتعاون معها. ولكن اذا تعذر عليك العثور على المطبوعة فى المدينة، فلا تيأس. ابحث عن العنوان فى أى دليل للمطبوعات واتصل بدار النشر مباشرة. فهى عادة تستجيب لمطالب الصحفيين للحصول على نسخ مساندة على الفور. وإذا كنت لاترغب فى إضاعة الوقت كل أسبوع للبحث فى المقالات، فحاول أن تضع نظاما يقوم فيه مساعدو النسخ بهذه المهمة من أجلك، وهناك بعض المكتبات التى يمكن أن تؤديها لك بأجر.

6- كن على ثقة من أن لديك فرصة أفضل كثيرا فى إجراء محادثة مفيدة مع خبير بمجرد أن تقرأ بعض المقالات المهمة التى كتبها هذا أو ذاك مما لو اتصلت أنت بهم مباشرة. هذا بالاضافة الى أننى إذا عثرت على مقالة مستنيرة أو مستفزة، فإننى أبحث فى الاصدارات الثلاث التالية من المجلة التى نشرت المقال لأعرف إذا كان أحد ما قد بعث برسالة إلى المحرر يمكن أن تجعلنى أتراجع عن الرأى الذى اتخذته إزاء قيمة ماكتب. كما أنك بالطبع تستطيع أن تتوجه إلى on line وتطلب من الباحث أن يبحث لك عن مقالات جاء بها اشارة إلى هذا المؤلف. أما اذا كان ما أثار اهتمامى كتاب، فإننى عادة أتعقب بعض استعراضات الكتب لأعرف رأى الخبراء فيه وماذا يجب على أن أعرفه إزاء أى نقد لهذا الكتاب.

قواعد البيانات غير المتوفرة
فى ترسانة أمين مكتبتك
بقلم جون أولمان

يعتمد معظم أمناء مكتبات الأخبار على حفنة من مسوقى قواعد البيانات التى يستخدمونها : Data Times، و Dialog، و Lexis، و Nexis (من Mead Data Central)، وVuText واحدة أو اثنتين أخريين، غير أن هناك الكثير من قواعدد البيانات التى لاينقلها المسوقون المفضلون. وإليك عرض لعينات تتضمن وصفا جزئيا لما تحتوى عليه قاعدة البيانات التى قد تكون لها قيمة خاصة لكتاب التحقيقات الصحفية.

- تحتوى قاعدة بيانات Duns Legal Search على معلومات منتقاة من السجلات العامة عن قطاع الاعمال الخاصة فى جميع الولايات الخمسين، بما فى ذلك ملفات UCC، والدعاوى القضائية، والرهونات والاحكام القضائية (معروضة على Dun & Bradstreet).
- تحتوى Facilities Index System على معلومات حول قرابة نصف مليون شركة خاصة والمواقع التى تعقبتها وكالة الحماية البيئية Environmental Protection Agency (EPA) بسبب وجود مواد خطرة فيها (Chemical Information System).
- تحتوى Family Tree على معلومات عن «أشجار العائلة» (200 ألف شركة والشركات التابعة لها (Dun & Bradstreet).
- تحتوى FDA Electronic Bulletin Board على مجموعة متنوعة من المعلومات التى نشرتها إدارة الأغذية والأدوية Food and Drug Administration. بما فى ذلك تقرير

التنفيذ الذى تصدره أسبوعيا عن الأدوية الخاضعة لأوامر سحبها من السوق. (BT Tymnet Dialcom Service).

- تحتوى GAO Reports and Testimony النص الكامل لتقارير من مكتب الإحصاء الحكومى Government Accounting Office، وهو جهاز التحريات للكونجرس. (NewsNet).
- يحتوى Government Activity Report على معلومات عن الشركات والمنشآت والمؤسسات التعليمية التى تتلقى أموالا من الحكومة الامريكية. (Dun & Brad-street).
- تحتوى Long-term Forcast Database على أكثر من 3 آلاف سلسلة دورية سنوية عن بيانات اقتصادية امريكية (The WEFA Group).
- تحتوى National Referral Center Database على أسماء وعناوين وأرقام تليفونات 14ألف منظمة على استعداد لتقديم استشارات خبراء. (LOCIS, the Library of Congress).
- تحتوى Reople Finder على أسماء وعناوين وأرقام تليفونات (وأحيانا تاريخ الميلاد وأسماء أفراد العائلة والجيران وغيرها من المعلومات) لأكثر من 100 مليون شخص. (Information America).
- تحتوى Prentice Hall On-line معلومات ائتمانية عن 60 مليون شخص وشركة فى تسع ولايات هى : كاليفورنيا، وديلاوير، وفلوريدا، والينوى، وماساشوسيتس، وميسوري، ونيويورك، وبنسيلفانيا، وتكساس. (Prentice-Hall On-line).
- تحتوى Public Record Information على 85 مليون سجلا عاما تغطى أشياء مثل المحاكم، والمبادئ التجارية الموحدة Uniform Commercial Codes والرهونات، واختبارات الشركات، فى 19 ولاية (Prentice- Hall On-line).

- تحتوى Regional على السلاسل التى تصدر شهريا أو سنويا للمؤشرات الاقتصادية فى 19 ولاية و 40 مدينة، وهى سلاسل MSAs و PMSAs. (General Electric Information Services).
- تحتوى State Macro على 47 ألفا من البيانات الاقتصادية التى تصدر شهرية أو ربع السنوية أو السنوية فى كل ولاية (WEFA Group).
- تحتوى State UCC and Lien Filings على بيانات المبادئ التجارية الموحدة Uniform Commercial Code المقدمة فى 12 ولاية هى : كاليفورنيا ، وكلورادو، وفلوريدا ، والينوى، وايوا ، وميريلاند ، وماسا شوستس، وميسورى، ونبراسكا ، ونورث كارولينا ، وبنسيلفانيا ، وتكساس.
- تحتوى Tax Information Service على معلومات من قوائم الضرائب الجزافية للمقاطعات فى سبع ولايات هى : أريزونا ، وكاليفورنيا ، وكلورادو، وانديانا ، وميسورى، وأوهايو، وتكساس. (TRW Title Information Services)
- تحتوى Title Information Service على سجلات كتاب للمحاكم الاقليمية ومحاكم إعلان الإفلاس للملكيات الخاصة فى سبع ولايات : أريزونا ، وكاليفورنيا ، وكلورادو، وانديانا ، وميسورى، وأوهايو وتكساس.
- تحتوى Westlaw Federal Legislative History على القوانين العامة وخاصة المفيدة للصحفيين، وتواريخ القوانين، وتقارير. (West Publishing Co.)
- تحتوى Westlaw Federal Tax Database إلى جانب معلومات أخرى عن الضرائب، على كل قضايا الضرائب التى ظهرت فى المحاكم منذ عام 1954. (West Publishing Co.)
- تحتوى Westlaw Government Contracts على نصوص وملخصات حول أحكام أصدرتها المحاكم، بما فى ذلك جلسات استماع مكتب ادارة الاعمال التجارية الصغيرة Small Administration Business وغيره من المحاكم (Westlaw) .

الفصل الخامس

استخدام أساليب علم الاجتماع

يمكن استخدام بعض أدوات علم الاجتماع - بما فى ذلك القياسات الحالية من التداخل، والتعداد، واستطلاعات الرأى- للارتقاء بمستوى تحقيق صحفى يستخدم أدوات تقليدية فى كتابة التقرير الصحفى. كما أنك تستطيع، أحيانا، تحرى وجهات النظر المهنية المتعارف عليها تقليديا إزاء موقف ما بتحدى افتراضاتهم من خلال تقديم صحافة متميزة.

أن تخطئ فهذا من طبيعة البشر، ولكنك عندما تفسد الأمور فعلا، فأنت فى حاجة إلى كمبيوتر :

1- 1978 Farmer's Almanac

فى نوفمبر عام 1991، ألقت صحيفة ستار تريبيون ضوءاً كاشفا ومزلزلا على الطريقة التى تعاقب بها ولاية مينيسوتا مرتكبى جريمة الاغتصاب. فقد قام المحرران الصحفيان آلان شورت ودونا هالفورسن، بمساعدة الباحث روب ديفيز، مساعد مدير التحرير التنفيذى للبحوث، قاما بفحص سجلات 767 من مرتكبى جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسى بالأطفال، أدينو بتهم من الدرجة الأولى خلال السنوات العشر السابقة. وخلصوا إلى النتائج التالية :

- المدانون بجرائم الاغتصاب والاعتداء الجنسى بالأطفال قاموا بارتكاب 3 آلاف حالة اغتصاب تقريبا، بمعدل أربع جرائم لكل واحد منهم.
- أن مرتكبى جرائم الاغتصاب الذين حصلوا على علاج نفسى فى السجن أعيد اعتقالهم أكثر ممن لم يتلقوا هذا العلاج.
- تقضى قواعد الأحكام القضائية، خلال معظم سنوات الثمانينات أن مرتكبى الجرائم الجنسية من الدرجة الأولى يقضون 43 شهراً فى السجن. غير أن 27 فى المائة منهم لم يقضوا أى وقت فى السجن، أما من يسجنون فلا يقضون إلا 24 شهرا فى المتوسط.
- فى عام 1989 ضاعف المجلس التشريعى للولاية قواعد العقوبة لتصبح السجن لمدة 86 شهرا. غير أن نصف مرتكبى الجرائم الجنسية من الدرجة الأولى فى مقاطعة هينيبين Hennepin قرب مدينة مينيابوليس حكم عليهم فى العام التالى بالوضع تحت المراقبة المقترن بالعلاج، وأحيانا قضاء وقت فى السجن. وبعضهم عاد بالفعل مرة اخرى طليقا فى الشوارع.

وإليك مقدمة الموضوع الرئيسى التى نشرت فى اليوم الثانى من بدء الحلقات :

تقدم ولاية مينيسوتا نوعا رفيقا من العدالة التى تغفر لمرتكبى جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسى بالأطفال وتمنحهم فرصة أخرى.

وتتعلق الولاية بأمل إعادة تأهيل مرتكبى الجرائم الجنسية، ولكنها لا تقوم

بمراجعة تتأكد بها من أن برامج العلاج النفسى تساعدهم على الامتناع عن ارتكاب الجرائم. ولكنها بالفعل لاتمنعهم.

ولقد جلبت هذه البرامج التقدمية المديح لولاية مينيسوتا ، ولكنها لم تجعل الولاية أكثر أمنا بالنسبة لنسائها وأطفالها.

إن دراسة الطريقة التى توصل بها المحرران شورت وهالفورسن، إلى هذه النتائج لحلقات تحقيقهم الصحفى تستحق أن نعطيها وقتا أكبر قليلا. فهذا التناول يبين أنه ما أن تنشغل بنفسك فى إجراء عملية بحث مبدئية (بدلا من مجرد القبول ببحث أجرى بالفعل والنقل عنه) ، فإنك قد تجد أن الأشياء ليست هى التى قبل بها الناس.

فقد احتوت الحلقات التى نشرت على مدى ثلاثة أيام على عدد من دراسات لحالات الاغتصاب بها تفاصيل قصص رهيبة عن مرتكبى جرائم الاغتصاب، ولكن كان فى بؤرة اهتمام الدراسة إجراء بحث جيد وتقليدى بطريقة العلوم الاجتماعية وإليك ما نشرته الصحيفة لشرح الدراسة لقارئيها :

إن أنماط جرائم المغتصبين والمعتدين جنسيا على الاطفال التى يعلن عنها اليوم مذهلة، بل ومخيفة.

والحقيقة أسوأ من ذلك - أسوأ كثيراً.

وكل الدراسات حول مرتكبى الجرائم الجنسية، بما فى ذلك هذه الدراسة، تقدم تقديرا أقل لعدد الجرائم التى ارتكبوها. وهذا النوع من البحث لايحسب إلا الاحداث المسجلة. مثل عدد مرات الاعتقال أو الاحكام بالادانة، أى عندما يصطدم مرتكب الجريمة الجنسية بالقانون. غير أن معظم عمليات الاغتصاب وغيرها من الاعتداءات الجنسية لايتم التبليغ عنها مطلقا، واذا تم التبليغ فإن الجريمة لا تحل مطلقا.

قبل عامين، استعرض فريق من الباحثين فى ولاية اوريجون عشرات من الدراسات فى الوظائف التى يشغلها مرتكبو الجرائم الجنسية، وخلصوا إلى أنه نظراً لوجود خلل فى تصميم هذه الدراسات وأخطار أخرى، لم تتوصل أى منها إلى قياس

دقيق لعدد المرات التى يعاود فيها المجرم ارتكاب جريمة الاغتصاب، أو عما إذا كان العلاج له أى تأثير على إقلاعهم عن ارتكاب هذه الجريمة.

وقد تم تصميم الدراسة التى أجرتها الصحيفة بحيث تتلافى هذه الاخطاء، وتم الاستعانة بالدكتورة ليتا فيربى - الباحثة النفسية التى ترأست فريق أوريجون - كاستشارية فى المراجعة النهائية لنتائج الدراسة.

قالت فيربى، «لا أتذكر أى دراسة تمت من قبل بمثل هذا المستوى الجيد، وليس هناك سوى القليل منها الذى ألقى نظرة على معدلات الارتداد إلى ارتكاب هذه الجريمة عاما بعد عام بعد عام. أما الطريقة التى تم بها حساب هذه المعدلات هنا فى هذه الدراسة فتعتبر واحدة من المرات القليلة التى أنجزت فيها على نحو صحيح.»

فهناك طرق كثيرة لانجازها على نحو غير صحيح. ومن بين أخطاء البحث الشائعة:

- قصر فترات المتابعة. والكثير من الدراسات تابعت مرتكبى الجرائم الجنسية لمدة عام أو عامين فقط بعد إطلاق سراحهم، وهى فترة زمنية لاتكفى للخروج باستنتاجات لها معنى.
- عيوب فى المجموعات التى تجرى عليها الدراسة. فمعظم الأبحاث ركزت فقط على حفنة قليلة من مرتكبى الجرائم الجنسية، أقل مما يجب من أجل الخروج باستنتاجات. وبعض الدراسات الأخرى أجملت جميع أنواع مرتكبى الجرائم الجنسية معا - أى مرتكبى جرائم الاغتصاب مع مرتكبى الاتصال الجنسى بالمحارم، مثلا- مع أن جرائمهم تختلف كما يختلف التفاح عن البرتقال.
- ضعف تقنيات الإحصاء. فالكثير من الدراسات أحصت فقط عدد مرات الإدانة أو العودة إلى السجن، ولم يدرج فيها مؤشرات موثوق بها مثل عدد مرات الاعتقال.
- الخطأ فى حساب الفترات الزمنية. فالكثير من الدراسات لم تتقن حساب الأطر الزمنية التى قام فيها مرتكبو الجرائم الجنسية بمعاودة ارتكاب الجريمة. فعلى سبيل

المثال، لم تعبأ الكثير من الدراسات باستبعاد الفترة الزمنية التى كان فيها المجرم فى السجن ومن ثم لم يكن بمقدوره ارتكاب جريمة اغتصاب أخرى.

وكان تلافى هذه المشكلات، بالنسبة لدراسة صحيفة ستارتريبيون استثماراً للوقت إلى حد بعيد. وقد استغرق استكمال هذه الدراسة تسعة أشهر.

تمكنت الصحيفة، باستخدام سجلات من عدة وكالات حكومية فى الولاية، من جمع التواريخ الاجرامية والحبس لـ932 من مرتكبى الجرائم الجنسية من الدرجة الأولى الذين تمت إدانتهم فى الفترة مابين اكتوبر عام 1980 ونوفمبر عام 1989 ويجب أن تتطلب الإدانة من الدرجة الأولى، بموجب قانون مينيسوتا، استخدام السلاح، أو التهديد بالقتل، أو الاختطاف أو الايذاء الجسدى للضحية.

وقد تم تجميع المعلومات فى قاعدة بيانات الكمبيوتر لتحليلها وتم تقسيم مرتكبى الجرائم الجنسية إلى ثلاث مجموعات : المغتصبون، ومرتكبى التحرش الجنسى بالاطفال، ومرتكبى فاحشة الاتصال بالمحارم، وتم فحص 392 مغتصبا و 375 من المعتدين جنسيا على الأطفال، معا ومنفصلين. (أجريت دراسة منفردة لمجموعة تضم 165 من مرتكبى الاتصال بالمحارم ممن كانت أنماطهم صعبة للغاية).

وتم عزل تواريخ الاعتقال لمرتكبى مجموعتين من الجرائم : الجرائم الجنسية، والجرائم «الخطيرة» (بما فى ذلك الاعتداءات الجنسية والاعتداء المسلح، والسطو، والعنف العائلى، والسرقة والقتل). كما تم تسجيل تواريخ الدخول إلى السجن والخروج منه والعلاج. وتم استبعاد الأحداث التى تقع بعد 31 مارس 1991، وهو نهاية فترة الدراسة.

وتم تعقب كل مجرم جنسى من تاريخ إطلاق سراحه من الحجز فى أول اتهام له من الدرجة الأولى. وإذا ألقى القبض عليه فى وقت لاحق فى جريمة جنسية، فإنه يصبح ممن يعاودون ارتكاب الجريمة مرة أخرى، وتم حساب الفترة الزمنية مابين إطلاق سراحه

واعتقاله للمرة الثانية فى كل حالة، واستخدمت أساليب اكتوارية لحساب معدلات الاعتقال لمجموعات مرتكبى الجرائم المتكررة.

كما بحثت الدراسة، لأسباب معينة، فى الجرائم التى ارتكبت قبل الجريمة من الدرجة الأولى لمقارنة الأنماط بالنسبة لمرتكب الجريمة الواحدة بمرتكب الجريمتين أو الثلاث أو الأربع.

وتجنب البحث الذى أجرته الصحيفة كثيراً من العقبات التى واجهت دراسات سابقة، فقد كان عدد المجموعة التى أجريت عليها الدراسة كبيرا، وتم فصل المغتصبين عن معتادى الاعتداء الجنسى على الأطفال، وكان الحد الأقصى لفترة المتابعة تسع سنوات، وتم حساب عدد مرات الاعتقال، وأخذت فى الاعتبار فترات الحجز.

ونتيجة لذلك، كانت الاحصائيات أكثر دقة من تلك التى وجدت فى الدراسات السابقة لمرتكبى الجرائم الجنسية. كما أنها كانت أكثر إثارة للفزع. فعلى سبيل المثال، تبين أنه تم اعتقال ربع عدد المغتصبين فى جرائم جنسية جديدة بعد ست سنوات فقط من الإفراج عنهم. كما أن المغتصبين والمتحرشين جنسيا بالأطفال ممن أكملوا علاجهم كان من المرجح اعتقالهم مرة أخرى أكثر ممن لم يتلقوا هذا العلاج.

وصرحت فيربى تعليقا على معدلات الاعتقال: «لقد فوجئت فعلا بأن المعدلات مرتفعة على هذا النحو، لأننى كنت مدركة لضآلة نسبة الحالات التى يتم تسجيلها. وقد واصلنا اكتشاف مزيد من الجرائم كلما تابعنا البحث فى مزيد من الاعوام»[2].

أين تم العثور على السجلات؟

أخبرت الصحيفة قراءها أن البيانات قدمت من ثلاث وكالات حكومية فى الولاية:

- حصلت الصحيفة من هيئة وضع قواعد صدور الاحكام فى المحاكم Sentencing Guidelines Commission (SGC) على أسماء 767 مغتصبا ومتحرشا جنسيا بالاطفال ممن أدينوا فى اتهامات من الدرجة الأولى فيما بين عامى 1980

و 1989. وتضمنت المعلومات كل الأحكام الصادرة فى هذه الجنايات طوال عقد الثمانينات، وبعض الأحكام الصادرة قبل عام 1980، والأحكام الفعلية الصادرة فى عقد الثمانينات وحقائق عن تاريخ حياة المجرم التى استخدمت فى تطبيق الخطوط التوجيهية للعقوبات.

- حصلت الصحيفة من مكتب التحفظ الجنائى Bureau of Criminal Apprehension (BCA) على التواريخ الاجرامية الكاملة التى جمعها المكتب على الكمبيوتر من الوكالات التابعة للشرطة وغيرها من المصادر فى أنحاء الولاية، بما فى ذلك معلومات مثل الاعتقالات، والاتهامات المسجلة، وبعض تفاصيل الجرائم، والاجراءات القضائية ضد معظم المجرمين الـ767 الوارد أسماؤهم فى سجلات هيئة وضع قواعد صدور أحكام المحاكم SGC.
- حصلت الصحيفة من الادارة الاصلاحية Department of Correction على المعلومات الخاصة بالمجرمين الذين قضوا عقوبات بالفعل فى سجون الولاية، وعن دخولهم السجن (الأماكن والتواريخ)، وتواريخ الافراج عنهم من السجن، وتلقى العلاج (الأماكن والتواريخ)، انتهاء العلاج، نتائج العلاج (وما إذا كان المجرم قد استكمل البرنامج، أو تم رفضه أثناء العلاج، أو أنه ترك البرنامج، أو مازال خاضعاً للبرنامج).

لماذا اختير هذا المشروع بالذات كمثال؟ لأنه يبين كيف أن قطاعا من أفضل قطاعات الصحافة يربط نفسه بإحكام بأساليب العلوم الاجتماعية وكيف أن علم الاجتماع الحالى يمكن أحيانا الارتقاء به بمجرد أن ينجز على نحو أفضل.

أداء العلوم الاجتماعية

يوجد فى أماكن أخرى من هذا الكتاب عدة مناقشات سريعة حول الجوانب المشتركة فى كتابة التحقيقات الصحفية والعلوم الاجتماعية. وفى هذا الفصل يتم

استكشاف أربع طرق يستطيع المحررون الصحفيون الرقى بواسطتها بتحقيقاتهم الصحفية باستخدام الأساليب التى جرى العرف على تركها للباحثين فى العلوم الاجتماعية وهى : 1) القياسات الاختيارية بدون عراقيل، 2) التعداد ، 3) استطلاعات الرأى، 4) الترتيب.

القياسات الخالية من التداخل

لنفترض أنك تريد أن تعرف ماهى أكثر اللوحات شعبية فى المتحف المحلى. كيف تتوصل إلى ذلك؟

قد تسأل الناس- بمعنى إجراء مسح مع محبى الفنون- لدى مغادرتهم المتحف على مدى عدة أيام أو أسابيع. غير أن إجراء استطلاعات الرأى ليس خاليا من المشاكل. فهى تتطلب نوعا معينا من الحماس وأساليب محددة فى إجرائها - إذ أن مجرد قيامك بتوجيه السؤال قد يؤثر أو يشوه الاجابات. والقيام بعملية الاستطلاع من أكثر الطرق تكلفة فى الحصول على إجابات، ناهيك عن ضياع الوقت. وهو عمل يتجاوز ما يريد رؤساء التحرير أن يلزموا أنفسهم به فى الحصول على إجابة على سؤال.

وربما قد تذهب بنفسك إلى المتحف وتحاول أن تراقب، ولكن ذلك أيضا ينطوى على كثير من المشكلات. أولا، أنك لم تذهب قط إلى هناك وقد تحتاج إلى عدة أيام حتى تتغلب على شعورك بأنك جديد على المكان. ثانيا، انه سيتعذر عليك متابعة ما يجرى فى الغرف الاخرى وأنت قابع هناك فى إحداها فقط.

وربما قد تسأل أشخاصا تتوقع منهم أن يعرفوا، مثل الحراس أو إدارة المتحف، غير أن المعلومات المبنية على الحكايات نادراً ما تكون مؤثرة.

وربما قد تلجأ إلى قياس مدى البلى فى الارضية المواجهة لكل لوحة لترى أى الأرضيات تدهورت أكثر من غيرها بفعل خطوات الأقدام. إن هذه طريقة جيدة يمكن للمرء قبولها كإجابة للسؤال [3].

هذا أحد انواع القياسات الخالية من التداخل وبامعان التفكير، نجد أن القياسات الخالية من التداخل هى الدعامة الأساسية التى يستند إليها كتاب التحقيقات الصحفية. فبرغم كل شئ، إن تعقب أثار الطريق الذى تسلكه الصحيفة هو تماما - قياس خال من التداخل. وهو خال من التداخل لأن المحرر الصحفى لايعنيه خلق الصحيفة فى شئ، كما أن خلفية الشخص أو الشركة لاتتأثر بقيامك فى البحث فى الوثائق. ذلك أن الوثائق موجودة بالفعل فهى البقايا التى نتركها جميعا كل يوم ونحن نخطو على هذه الأرض.

المشروع المستند إلى قياسات خالية من التداخل

تماما مثل البصمة التى يتركها المجرم فى مسرح الجريمة، ظهر نمط واضح وسط الدمار الهائل الذى يخلفه إعصار آندرو وراءه.

فقد برزت البصمة المميتة لهذه العاصفة من تحقيق صحفى نشرته صحيفة ميامى هيرالد استمر ثلاثة أشهر استخدمت فيه أجهزة الكمبيوتر لتحليل 60 ألف تقرير لحصر الخسائر.

فقد توصل الكمبيوتر إلى خريطة مشفرة بالألوان تبين كيف أن 420 حيا سكنيا قد صمدت للعاصفة. وعندما تم تركيب خريطة للمناطق التقديرية للرياح فوق خريطة الخسائر، أصبح النمط ظاهراً لاتخطؤه العين : إن أكثر الأحياء تضررا كانت بعيدة عن أسوأ الرياح.. وأن المنازل الأحدث تكبدت أضرارا أسوأ من المنازل الأقدم.

أسوأ كثيرا فى الواقع. فالمنازل التى بنيت منذ عام 1980 كانت غير صالحة للسكنى على الأرجح بعد الاعصار بنسبة 68 فى المائة عن المنازل التى بنيت قبل ذلك.

وهكذا بدأ نشر تقرير خاص على 16 صفحة فى 20 ديسمبر عام 1992 بقلم چيف لين، وستيفين ك. دويج وليزا جيتر. ويعتبر ذلك مثالاً بارزاً لكيف يمكن استخدام القياسات الخالية من التداخل فى الخروج بتحقيقات رائعة.

وكان من بين ما توصلت إليه الصحيفة فى هذا التقرير، الذى ساهم فى حصولها على جائزة بوليتزر، لعام 1993، مايلى :

كان هناك دليل تفصيلى على وجود انهيارات فى الاجراءات الوقائية للبناء والتفتيش التى وضعت من أجل حماية الجمهور تماما مثل ذلك الدمار الذى تسبب فيه إعصار أندرو.

وكشف الفحص الدقيق لثمانية أحياء فرعية دمرها الاعصار وقامت بعملية بنائها شركة ديد Dade كبرى شركات المقاولات أن المنازل التى شابها الكثير من عيوب التشييد والتصميم أصبحت أهدافا سهلة للإعصار.

إن المفتشين على المبانى، كانوا يتعرضون لضغط فى العمل يحتم عليهم أداء أربعة أضعاف عدد حالات التفتيش التى يجب إتمامها على نحو سليم فى اليوم، وذلك بسبب التعاظم السريع فى حركة البناء.

وإليك التوضيح الذى قدمته الصحيفة لقرائها عن كيفية القيام بهذا التحقيق :

إن الكثير من الاستنتاجات التى توصل إليها هذا التقرير الخاص جاء من تحليلات للكمبيوتر قامت بها صحيفة ميامى هيرالد على معلومات منتقاة من العديد من قواعد البيانات الكبرى. ومن بين قواعد البيانات تلك:

- قاعدة بيانات خاصة لأكثر من 50 ألف حالة تفقد للخسائر قامت بها مقاطعة ديد Dade County فى المنطقة الواقعة إلى الجنوب من Kendal Drive فى مطلع شهر سبتمبر.
- كشف الضرائب على الممتلكات فى مقاطعة ديد فى عام 1992، والذى يحتوى على معلومات تفصيلية عن 100 ألف قطعة سكنية إلى الجنوب من Kendal

Drive، من حيث الموقع، والنوع (لعائلة واحدة، أو شقة أو كوندو، الخ.)، وقيمتها فى سنة الانشاء، حجم المنزل أو قطعة الأرض ووضع الملكية.

- الملف الرئيسى للبناء Building Master File فى المقاطعة والذى يحتوى على معلومات عن نوع الانشاء والمواد المستخدمة فى بناء كل مبنى فى ديد.
- قاعدة بيانات المبانى وتحديد المناطق Building and Zoning فى المقاطعة، والتى يوجد بها أكثر من 7مليون سجل لكل تصاريح البناء التى صدرت فى السنوات العشر الماضية وكل عمليات التفتيش التى تمت منذ عام 1987. وتحدد قاعدة البيانات هذه أسماء المقاولين، والمهندسين المعماريين، والمهندسين ومفتشى المبانى الذين عملوا فى كل منزل، ونتائج كل تفتيش.

وقد كان هناك تفاوت كبير فى حجم الأضرار المسجلة فى قاعدة بيانات التفتيش بالمقاطعة. والكثير من التقارير كان ينقصها تفاصيل محددة عن الاضرار، غير أن كل عملية تفتيش تضمنت تقييما شاملا لحالة المنزل فى كل فئة من ثلاث فئات هى «يمكن السكنى فيه»، أو «لا يمكن السكنى فيه ولكن يمكن ترميمه» و«منهار تماما».

وقد غطت عمليات التفتيش على الأضرار المتاحة ثلثى الوحدات السكنية فى منطقة العاصفة. وكان 25 فى المائة من عناوين التفتيش إما إنها غير سكنية وإما إنها غير مطابقة للعناوين الموجودة فى كشف الضرائب على الممتلكات. غير أن العديد من الاختبارات الاحصائية قد أجريت للتأكد من أن العناوين التى تم تفتيشها تمثل عينة صحيحة.

كانت خرائط الأضرار فى هذا الجزء تستند على تقارير خلال شهر نوفمبر، وكانت هناك إحصائيات أخرى تتضمن بيانات حديثة مأخوذة من آخر دفعة من التقارير، والتى كان قد تم تلقيها قبل أقل من أسبوع وبعد الموعد المحدد لطبع الجرافيك.

وقد تم إدخال قواعد البيانات الأربعة - التى احتلت فى مجموعها 45 بكرة من الشرائط الممغنطة - فى الكمبيوتر الرئيسى بصحيفة ميامى هيرالد وتحليلها.

وقد قارن التحليل مئات الأضرار بمعلومات أخرى متنوعة مثل بعد المنزل عن مركز العاصفة وقيمته، ومساحته وحجم قطعة الأرض، ونوع المنزل، ومواد بنائه، واتجاه واجهته وعام بنائه.

وحتى يتسنى أيضا فحص تأثير صناعة البناء على هيئة المترو Metro Commission (هيئة المحليات)، حصلت الصحيفة على نسخ مكتوبة من التقارير اللازمة عن المساهمات فى الحملة الانتخابية لكل مرشح رئيسى لعضوية الهيئة منذ عام 1980.

وقامت الصحيفة بالاستعانة بجهاز Data Entry Professional Services of Miami لوضع سجل كمبيوتر لكل مساهمة بـ 100 دولار واكثر يتضمن اسم المساهم وعنوانه، والوظيفة المبينة، وتاريخ المساهمة المالية، والمرشح الذى حصل عليها.

وكانت النتيجة عبارة عن قاعدة بيانات خاصة تحتوى على اكثر من 17 ألف و 200 تسجيل لمساهمات بلغت قيمتها الاجمالية 8.3 مليون دولار. وقد تم تحليل هذه البيانات فى كمبيوتر الصحيفة للحصول على إجمالى المبالغ التى حصل عليها أولئك الذين لهم صلة بصناعة البناء.

وقد تم اتخاذ تحليلات الكمبيوتر عن أضرار العاصفة و المساهمات المالية فى الحملات الانتخابية باستخدام SAS، وهو برنامج إحصائى لكمبيوتر رئيسى، كما تم إنجاز تحليلات تكميلية باستخدام Atlas-GIS، وهو برنامج لرسم نظام معلومات جغرافية استنادا على مايكروكمبيوتر، وباستخدام Statistica، وهو برنامج رسومات بيانية إحصائية. وقام باجراء التحليل ستيفن ك. دويج، مساعد رئيس تحرير الصحيفة للبحوث[4].

التعداد السكانى

فى عـام 1984، بدأ المحرران الصحفيان توم هامبورجر وجو ريجرت، بصحيفة ستار تريبيون البحث عن كيفية منح عقود الأقليات السكانية وكيفية إدارتها فى ولاية مينيسوتا. وهو مشروع قمت بالاشراف عليه.

من المفروض تنفيذا للقانون أن يتم توزيع 10 فى المائة من العقود الحكومية على شركات مقاولات مؤهلة مملوكة لأقليات سكانية أو لنساء[5]. (وكان ذلك محاولة للتغلب على مشكلة سيطرة الذكور البيض على هذه الصناعة).

كانت النتائج التى توصل إليها ريجرت وهامبورجر تشير إلى وجود فساد واسع النطاق. فقد كانت مئات الملايين من الدولارات تذهب إلى شركات «واجهة» - أى شركات مملوكة لأقليات أو نساء بالاسم فقط- تحصل على نسبة الـ10 فى المائة من العقود التى تصل قيمتها الى عدة ملايين من الدولارات، ثم تقوم بالتعاقد من الباطن على معظم الاموال مع شركات بناء مملوكة لذكور من البيض، ولا تحصل شركات الأقلية على أى نصيب من العمل.

وكان من بين الأسئلة التى كنا نريد الاجابة عليها هو هل يعتقد أصحاب العقود من الأقلية المشروعة أن مجرد تكوين شركة «واجهة» يعتبر مشكلة كبيرة.

وللعثور على إجابة لهذا السؤال، قمنا بالتعاون مع قسم بحوث الأخبار بالصحيفة بتصميم اسطلاع للرأى أو استبيان، بعدها قام الباحثون بالاتصال بكافة المقاولين من الأقليات وعددهم 400 ممن حددهم مجلس مدينة مينيابوليس وكان من بين الأسئلة سؤال عن أكبر المشكلات من وجهة نظر المقاولين من الاقليات، هل هى الشركات الواجهة، أم إنجاز الاوراق التى تطلبها الحكومة، أم توفير رؤوس الأموال، أم المعرفة بهذه الصناعة؟. هذا بالاضافة إلى أننا سألنا المقاولين من الاقليات عما إذا كانوا قد اقتربوا مؤخرا من تجربة العمل كواجهة، وعما إذا كان أى منهم قد عمل بالفعل كواجهة. وقد وعد المحررون الصحفييون الذين قاموا بالمقابلات الصحفية بعدم ذكر أسماء المقاولين.

وقد أظهر مكتب البحوث نشاطا هائلاً، حيث اتصل بكافة المقاولين باستثناء اثنين أو ثلاثة. وقد قرر أحد المقاولين، وهو فيتنامى الأصل بعد منتصف اللقاء عبر التليفون أنه لايعرف الانجليزية. وقد تم العثور على من يتكلم الفيتنامية معه، ولكن المقاول قرر فى منتصف اللقاء الصحفى عبر التليفون أنه لم يعد يعرف الفيتنامية وأغلق الخط.

ولدى وصول أول النتائج، أبلغنا الباحث أن المقاولين وضعوا مشكلة الشركات الواجهة فى آخر القائمة، وأصابنا ذلك بالذهول. فقد أضعنا هنا بضعة آلاف من الدولارات على بحث تجد فى نهايته أن مقاولى الأقليات أنفسهم يقللون من حجم المشكلة. وكان علينا بالطبع أن ننشر النتائج. وبدأت فى تأليف فقرات فى عقلى تبدأ على النحو التالى: «وبرغم أن المقاولين من الأقليات فى مينيا بوليس لايرون فى الشركات الواجهة مشكلة كبرى بالمقارنة بالمشكلات الأخرى، فإن......»

ولكن بعد مرور بضع ساعات، حضر إلينا فى مكتبنا مدير البحوث فى هذا المشروع وأبلغنا أنهم عن طريق الخطأ قد عكسوا النتائج، وأن المقاولين يعتقدون بالفعل أن الشركات الواجهة هى مشكلتهم رقم واحد. هذا بالاضافة إلى أن العشرات منهم سئلوا فى أن يكونوا شركات واجهة وأن نحو نصفهم وافق مرة على الأقل على القيام بذلك.

كانت تلك نتائج قوية وأضافت كثيرا لقوة استنتاجاتنا.

المسح أو الاستقصاء أو الدراسة

فى عام 1986، بدأ محررا صحيفة ستار تريبيون مارى جين سميتانكا، محررة الصحيفة لشئون التعليم، وبول ماكينرو، المحرر الحر الذى كان يقوم بكثير من التحقيقات الصحفية للصحيفة، فى إجراء بحث عن المراهقين فى Twin Cities من أجل كتابة حلقات عن تعاطى المخدرات، وهو مشروع أشرفت عليه أيضا[6].

وقد تبين من هذا البحث أن كثيرين من المراهقين فى Twin Cities يتعاطون المخدرات. وبالطبع، أذهلتنا هذه الحقيقة وصحنا «واو، أطفال يتعاطون المخدرات! ماذا لو أن الآخرين علموا بذلك؟ ربما كان علينا أن نخبرهم». وهو مافعلناه، فى ستة أيام مثيرة لايصدقها عقل.

ربما كان أقوى الاستنتاجات فى هذه الحلقات ذلك الوعى الذى اكتسبناه من خلال اللقاءات التى أجريناها مع أكثر من 5 آلاف مراهق فى مدارس الضواحى الموجودة حول Twin Cities [7] ومرة أخرى، وبالتعاون مع فريق الباحثين فى الصحيفة، صممنا بحثا لاعطائه للتلاميذ.

وكان التصميم على غرار بحث قام به باحثون فى جامعة ميتشيجان على نطاق قومى وقمنا بتنقية الأسئلة حتى نتأكد من أن التلاميذ لايغشونا. (فعلى أية حال، كان الابلاغ عن جريمة تعاطى المخدرات أقل مما يجب).

وكنت مهتما بصفة خاصة بمعرفة لماذا يفعل الأطفال الذين يتعاطون المخدرات ذلك ولماذا لايفعل الأطفال الذين لايتعاطون المخدرات ذلك.

وقد توصلنا إلى أن قوة الأبوين وقوة المعتقدات الدينية هما أفضل سبب يمكن التنبؤ به لابتعاد التلاميذ عن المخدرات. هذا بالاضافة إلى أنه اتضح أن جنون ريفر «Reefer Madness» حقيقى. أى أن تعاطى الكحوليات يفتح الباب أمام تعاطى الماريجوانا، والذى يفتح الباب بدوره أمام تعاطى الكوكايين، الذى يفتح الباب بدوره الى تعاطى مخدرات أسوأ.

وقد توصلنا من خلال بحثنا ومن خلال دراسات الحالة التى أجريناها إلى أسباب قوية لتعاطى المراهقين للمخدرات، فقد تفوقت الدراسة، فى كثير من النواحى، على محاولات كتابة التحقيقات الصحفية بالاساليب التقليدية وذلك بما حققته من نفاذ البصيرة والقوة التى تترتب على نفاذ البصيرة المستند إلى أكثر من 5 آلاف بحث.

ظلت هذه الدراسة تنشر فى الصفحة الأولى لعدة أيام، من بداية نشر أول حلقة فى التحقيق وحتى آخر حلقة، وجاء ذكرها طوال الحلقات. لقد كانت شيئا لايقدر بثمن، حتى بعد أن وصلت تكلفتها إلى عشرات الآلاف من الدولارات.

والآن ماهو الفرق بين الاحصاء والدراسة؟ الاحصاء يوجه أسئلة لكل فرد تقريبا من السكان المستهدفين. أما الدراسة أو المسح فانها تأخذ عينة عشوائية لجزء صغير من السكان وتزعم أن نتائجها تمثل أفراد السكان بأسرهم حتى وإن لم توجه إلى السكان جميعهم الأسئلة بالفعل.

ويتبين لنا من هذين التحقيقين، أن الاحصاء والدراسة أو المسح يمكن أن يزيدا من قوة تحقيقك الصحفى ويجب أن يكون كلاهما جزء من ترسانتك، إذا دعت الضرورة لذلك.

بعض التحذيرات الخاصة بالمسح أو الاستقصاء أو الدراسة

لا يحتاج القيام باحصاء وتحليله إلى عمليات حسابية كثيرة أو خبرة كبيرة، غير ان الدراسات مسألة تختلف كثيرا. عندما يكون من بين العاملين فى المنظمات الاخبارية أولئك المحترفون الذين يقومون لها بالدراسات أو الاستقصاءات العشوائية، فإنها غالبا تقول لقرائها أو مشاهديها أنه مسح أو استطلاع رأى «علمى». لاجدال فى أن علم الحساب المستخدم فى تحليل المسح شئ علمى - أى أن العلم مرتبط بالحساب نفسه، وبكيفية استخدامه.

أما باقى ما تصفه الكلمة بأنه علمى فليس سوى شئ عادى، كلام تافه قديم. فليس هناك أى علم مرتبط باختيار السكان، وكتابة الاستبيان أو تفسير النتائج. وكما تقول لنا الحكمة القديمة، فإن أى نظام يضع كلمة «علم» فى اسمه فهو ليس كذلك.

إن هذا لايعنى ضمنا أن مسحاً أجرى بمهارة ليس «دقيقاً» أو «صحيحا». فاستطلاعات الرأى السياسية تظهر لك قوة التنبؤ بدقة، إذا ما أجريت فى وقت قريب

من إجراء الانتخابات وإذا كان الناس الذين تم استطلاع رأيهم هم فقط الذين سيدلون بأصواتهم.

هناك الكثير من القواعد التى لابد من اتباعها لدى تصميم استبيان، وإدارته، وتقييم نتائجه. غير أنه بعد أن تتجنب كسر القواعد، فان الوصول إلى معنى هو نوع من الفن وليس العلم، من الخبرة وليس مجرد التدريب. من الحرفة وليس مجرد استظهار للمعلومات دون فهم.

وافضل كتاب عن هذه القواعد هو The Newsroom Guide to Polls and Ser-veys بقلم چى كليفلاند ويلهويت الاستاذ بجامعة انديانا، وديفيد اتش. ويفر. وقد قامت جمعية ناشرى الصحف الامريكية American Newspaper Publishers Association فى عام 1980 بنشر هذا الكتيب. وقد أصبح اسم الجمعية الآن الجمعية القومية لناشرى الصحف National Newspaper Publishers Association (NNA). (تستطيع الحصول على نسخة منه عن طريق الاتصال بـ NNA فى ريستون Va) والمنهج الذى يتبعه هذا الكتاب هو أنه يقول لك كيف لا تنخدع بالنتائج التى لاحصر لها للمسح واستطلاعات الرأى التى تنهال على صالة تحرير الأخبار كل يوم.

إن هذا المنهج أفضل كثيرا من محاولة تعليمك كيف تدير مسوحات، مثلما تفعل كثير من مدارس الصحافة. إن فكرة قيام الصحفى بنفسه بإدارة مسح أو دراسة تقترب من فكرة أن تطلب من صحفى درس منهجا فى قانون وسائل الاعلام أن يدافع عنك فى إحدى قضايا القذف والتشهير. سيكون ذلك بمثابة انتحار لك.

غير أن الخروج بفائدة من كل مالديك من معلومات هو مايتعرض له كثيرا المحررون الصحفيون فى كتابة التقارير اليومية والتحقيقات الصحفية عندما يجدون ذلك الفيض مما يطلق عليه النشرات الاخبارية يتدفق عليهم. وفى اعتقادى أنه للاستفادة من ذلك يجب عليك العودة إلى المدرسة لدراسة منهج فى أساليب البحث

للعلوم الاجتماعية. غير أننى أعتقد أيضا أنه يجب عليك أن تعقد صفقة مع المعلم على الشروط التالية :

- إنك تريد أن تقضى معظم الوقت فى تحليل المسوح وليس إدارتها .
- إنك ترغب فى أن تكون لغة التعليم هى الانجليزية وليس الاحصاء.
- إنك ترغب فى قائمة قراءة لأفضل كتب حول تفسير نتائج المسوح أو الاستقصاءات وجلسات أسبوعية مع المعلم للتعرف على ماذا يعنى كل كتاب منها على حدة.
- إذا كان لابد من حصولك على درجة ما فى هذا المنهج، فلنتفق منذ البداية على أن تكون درجة A .

عملية الاستفادة مما لديك من حقائق

إن عملية الاستفادة مما لديك من نتائج ليست بالسهولة التى تبدو عليها.

والسبب : هو اننى لا أعنى بذلك الرواية أو الخيال أو القص.

أحيانا تكون الطريقة التى تقيس بها الشئ ، الطريقة التى تقيّم بها الشئ، غير مترابطة باتساق أو انتظام.

إنك لاترضى لنفسك أن تكون صحفيا ضعيفا على هذا النحو.

يقول لك توم هامبورجر فى العمود الجانبى الأول لهذا الفصل كيف قام هو وجو ريجرت ودان سوليفان وأنا بابتكار طريقة لتقييم أداء هيئة المرافق العامة فى مينيسوتا Minnesota's Public Utilities Commission من حيث مدى عدالتها تجاه من يدفعون الفاتورة - أى الجمهور - أم أنها تبالغ فى كرمها مع الشركات العملاقة التى تسيطر عليها - أى شركات التليفونات أو الشركات التى توفر الطاقة.

حصلنا على مساعدة لاتقدر بثمن من دان سوليفان، الذى مازال يقضى معظم وقته فى صحيفة ستار تريبيون لأداء أبحاث تتعلق بالقضايا المهمة مثل القضايا المتعلقة بالسوق، أو أداء الشركات. وكنا نرى أنه استفاد أفضل استفادة من درجة الدكتوراه فى الاقتصاد التى حصل عليها من جامعة ييل وإدارته سابقا لتحرير صحيفة Northern California Review of Business and Economics عندما ابتكر أسلوبا للإجابة على الأسئلة الرئيسية.

العمود الجانبى لهامبورجر يوضح لك كل التفاصيل.

ونؤكد هنا على حاجة المشروعات باستمرار إلى الاتفاق على أسلوب أو مجموعة من الأساليب، لتقييم الأداء والسماح لك بالتوصل إلى استنتاجات تستند إلى ماتوصلت إليه.

ولا تنسى، أن الاستنتاجات هى التى نسعى وراءها. فالحقائق لاتكفى. وغالبا ماتكون أساليب العلوم الاجتماعية هى السبيل الوحيد أمامك فى الكتابة بقوة توضيحية عما يجرى.

التحول الى التحرى التحريرى : الجزء الأول

ظل الشكل السائد طوال سنوات عديدة لابحاث العلوم الاجتماعية هو المسح أو الاستقصاء أو الدراسة، التى يدعمها مجموعة مشوشة وصعبة من الأدوات المستخدمة فى علم الرياضيات.

غير أنه توجد أساليب أخرى.

وقد دون جاك دى. دوجلاس أحدها فى عام 1976 فى كتابه Investigative Social Research.[8]

يستند أسلوب التحرى التحليلى على افتراض بأن التضارب العميق فى المصالح، والقيم، والمشاعر والتصرفات منتشر فى الحياة الاجتماعية. ومن المسلم به أن الكثير من الناس الذين يتعامل المرء معهم، بل ربما كل الناس تقريبا، لديهم أسبابهم فى إخفاء مايفعلون عن الآخرين ويتوقع منهم أن يثقوا فى المقابل به، فإن المرء يشك فى الآخرين ويتوقع منهم أن يشكوا فيه. الصراع إذن هو حقيقة الحياة والشك هو المبدأ الذى نسير على هديه. ويلجأ الذين يستخدمون أسلوب التحرى التحليلى دائما إلى الاستشهاد بالمقولة التالية ، «إن الحياة عبارة عن غابة وجميع ما فيها وحوش مفترسة». إنها حرب للجميع ضد الجميع، وليس هناك من يعطى دون مقابل، ولا سيما الحقيقة. إن «الأخيار» الذى يثقون فى الآخرين ويتوقعون منهم أن يقولوا الحقيقة ينظر إليهم على أنهم بلهاء، «طائر دو - دو» مصيره إلى الانقراض . ولا جدال فى أن الناس يقولون الحقيقة طوال الوقت فى حياتهم العادية، على الأقل من وجهة نظرهم. كم مرة صادفت من يتجشم عناء الكذب إزاء حالة الطقس أو عن مكان الملح؟ أما ذلك الشخص الغريب الذى يحاول اكتشاف الحقيقة إزاء أشياء مؤثرة بالنسبة لمعظم الناس، مثل المال والجنس، فيجب عليه أن ينظر إلى أقوالهم إزاء تلك الأشياء فى تشكك إلى أن يثبت العكس.

إن أكثر الناس استخداما لاسلوب التحرى التحليلى هم الجواسيس، والعاملين فى أجهزة مكافحة التجسس، والمخبرين، ووكلاء النيابة، والقضاة، والاطباء النفسيين، وجامعى الضرائب، وضباط المراقبة، والعاملين فى أجهزة حماية الطفل، وموظفى الـ FCC، وموظفى FDA، وموظفى NLRB، وكتاب التحقيقات الصحفية والكثيرين غيرهم ممن يعملون فى ذلك الكم الهائل من الوظائف المتصلة بالتحرى فى المجتمع الجديد. إنهم يستخدمون التحرى التحليلى فى أقصى أشكال تطرفه أو بقائه. غير أن رجال الاعمال من كافة الأنواع، ولا سيما رجال

الأعمال الذين يتعين عليهم التعامل مع الأغراب، يستخدمون أيضا التحرى التحليلى بدرجات مختلفة، والحقيقة هى أنه فى أى مكان يوجد به صراعات مهمة يعترف بها أفراد المجتمع، فان الأفراد يستعملون شكلا ما من أشكال التحرى التحليلى فى اكتشاف الحقيقة إزاء نوايا الآخرين، وافكارهم، ومشاعرهم وتصرفاتهم. إن أى عاشق مخلص قد يتحول فجأة إلى الأخذ باسلوب التحرى التحليلى، وهو مايبين لنا كيف أن الأفكار الرئيسية فى التحرى التحليلى متوفرة لجميع أفراد المجتمع»[9].

ثم ما هو المكون الرئيسى فى أسلوب التحرى التحليلى ؟ حسنا، إن ما تقوم به فيما يبدو هو : أنت تخرج باحثا بنفسك، ولا يكفى أن تسأل حفنة من الناس لم تقابلهم فى حياتك من قبل لاجراء مسح أو دراسة أو استقصاء. ثم من يدرى، إنك لاتثق فيما يقولون لمجرد أنهم يقولونه لك. لابد لك من التوصل إلى نوع من الاثبات الذى يدعم مايقولون أو يتعارض معه.

هذا هو ماتسميه أنت وأنا كتابة التقارير الصحفية.

تصف لك الفصول التالية من هذا الكتاب كيف تقوم بهذا النوع من أعمال العلوم الاجتماعية، بما فى ذلك الأجزاء التى تتخذ العناوين التالية : «كيف تتفهم وتكتب تقريرا حول الإطار الذى تم فيه البحث»، و«التسلل إلى إطار البحث»، وكيف «تبنى علاقة ثقة ودية وتعمل على أن يبوحوا لك»، و «كيف تقوم بالتركيب والترتيب» و «التكتيكات المعاكسة والمحيطة» وغيرها. والواقع أنك إذا رجعت إلى كتب أساليب كثير من العلوم الاجتماعية، فسوف تعثر على فصول تدور حول كيفية العثور على «مبلّغين» وتدريبهم والتعامل معهم، فضلا عما ستجده من فصول كثيرة مؤلمة حول القضايا الأخلاقية ذات الصلة.

التحول إلى التحرى التحليلى : الجزء الثانى

سوف تكتشف أنه حتى وقت قريب، وبالتحديد خلال حقبة الثمانينيات، أن الكثير من الباحثين فى العلوم الاجتماعية قد تمردوا على ما اعتدنا أنت و أنا على وصفه بالاسلوب العلمى، وعلى المسح وعلى معظم النماذج الرياضية من أى نوع.

وقد أطلق على هذه الحركة عدد من الاسماء، مثل التحرى الطبيعى، أو الدراسات النوعية (كمقابل للدراسات الكمية) فى دوائر الأبحاث الصحفية.

والمكون الرئيسى فى هذا النوع من أنواع البحث هو أن الباحث يقوم، بعد قراءة كل شئ عن مجال الدراسة، بقضاء وقت طويل مع واحد أو اثنين فقط من أفراد قطاع معين من السكان ثم يعمم منهم على قطاع أكبر من السكان بدون الاستعانة بالاحصائيات، والاعتماد بدلا من ذلك على التفكير فيما سمعت وما رأيت.

هناك العشرات من الدراسات النوعية فى العديد من فروع دراسة وسائل الاعلام. والواقع أن أحدها تمت مناقشته فى الملحق الثالث لهذا الكتاب.

إذا وضعت تقريرين عن دراسة حالة جنبا إلى جنب، أحدهما يستند على عينات إحصائية والآخر يستند إلى عدد قليل من اللقاءات الصحفية المتعمقة، فانك ستجد غالبا أن التقرير الأخير مكتوب بشكل أفضل، والاستنتاجات التى توصل إليها أقوى، وأكثر فائدة وبالتأكيد أكثر جاذبية.

إن الباحثين النوعيين هم أناس مفكرون وهذه الموجة من البحوث ستصبح هى القاعدة.

الخلاصـــة

أربع نصائح

1- لاتطلب من رئيس تحريرك أن يأذن لك باجراء دراسة للعلوم الاجتماعية. اسأله بدلا

من ذلك إن كنت تستطيع إشراك باحث معك فى العثور على إجابات لبعض المسائل الشائكة بصفة خاصة.

2- اذهب بنفسك إلى الجامعة المحلية أو الكلية أو حتى مدرسة الحى، وابحث عن باحث أو اثنين ممن يجرون أكثر الأبحاث جاذبية والتصق بهما لتتعلم، أو تقترض، أو حتى تسرق طريقتهم فى التفكير إزاء الأشياء.

3- عاود الذهاب مرة أخرى إلى مدرسة ليلية لدراسة منهج عن أبحاث العلوم الاجتماعية. والأفضل من ذلك أن تتوجه إلى مدرسة نهارية واحصل على موافقة من المنظمة التى تعمل بها بالسماح بوقت وتكاليف الالتحاق بها.

4- ابحث بجدية عن الطرق التى يمكن بها لاساليب العلوم الاجتماعية أن ترتقى بمستوى تحقيقاتك، ثم حاول الاستفادة منها.

هوامش

1- نقلا عن The Oxford Dictionary of Quotations، (Oxford: Oxford University) 1933. ص 19.

2- تم تحميل هذه الفكرة على قاعدة بيانات Paradox فى PCaz الوحيدة وفى شبكة PC، وقد تم توفير البيانات الأولية على أقراص (اسطوانات) مشوشة وتم نقل نسخ منها إلى Paradox والبيانات الأخرى المأخوذة من hard copy و disk أدخلت ايضا على قاعدة بيانات Paradox وتم تحميلها، بعد تنظيفها على الكمبيوتر الرئيسى IBM لاستخدام نظام التحليل الاحصائى SAS (Statistical Analysis System) لأن Paradox لم تتمكن من إجراء التحليل الإحصائى المطلوب.

3- هذا المثال - قياس الأرضيات - مأخوذ من كتاب رائع حقيقة هو، : "Unobtrusive Measures : Nonreactive Research in the Social Sciences" بقلم يوجين چى. ويب، ودونالد ت. كامبل، وريتشارد دى. شوارتز ولى سيشريت , (Chicago: Rand McNally College Publishing Co .1966)

4- حلقات "What Went Wrong"، ميامى هيرالد، 20 ديسمبر 1992 15SR.

5- حلقات "Women and Minority Contracts/Blueprint for Abuse" بقلم توم هامبورجر وجو ريجرت، باشراف جون أولمان، صحيفة ستار تريبيون، 30 سبتمبر و أول اكتوبر 1984.

6- حلقات "Teens and Drugs"، صحيفة ستار تريبيون، 14-19 ديسمبر 1986، 1 ff. وقد انضم إلينا توم هامبورجر فى وقت لاحق كمساعد لرئيس التحرير يعمل مباشرة مع المحررين الصحفيين على أساس يوم بيوم.

7- كان من الممكن أن نكون أفضل من ذلك لو أنه سمح لنا بدخول مدارس مينيسوتا، ولكن لم يسمح لنا. ومن ثم فقد طبقنا النموذج على خصائص طلبة المدارس فى مينيابوليس.

8- كتاب " Investigative Social Research/Individual and Team Research" بقلم جاك دى. دوجلاس (Beverly Hills: Sage Publication, 1976).

9- نفس المصدر السابق 55-56. المشكلات السبع الكبرى التى يتعين التغلب عليها هى: المعلومات الخاطئة، والمراوغات، والاكاذيب، الشركات الواجهة، المعانى المسلم بها، المعانى التى تنطوى على مشاكل وخداع النفس (انظر صفحة 57).

كيف تساعد تقنيات العلوم الاجتماعية فى الارتقاء بمستوى التحقيق الصحفى

بقلم توم هامبورجر، ستار تريبيون

لقد جاءت النبرة العصبية للصوت لتشى بوجود فضيحة كبرى، من الصعب أن تجئ إلى مينيسوتا. وهكذا، ظللت متشبثا بالتليفون، فى تلك الساعات الأخيرة من نهار أحد أيام شهر ديسمبر، أشجع وأتملق، متجاهلا الآلام التى أشعر بها فى أذنى وإتمام عملية طهى طعام العشاء التى كنت أتطلع إليها.

قالت، بعد كثير من التشجيع، أن هيئة المرافق العامة بالولاية، ذلك الجهاز الغامض والمهم فى نفس الوقت الذى يوافق على الرسوم المفروضة على شركات الغاز والكهرباء والتليفونات، متورطة فى هذا الأمر.

«تذاكر مباريات رياضية».

واتهم مصدرنا هذا المسئول التنفيذى فى المرفق، بتقديم تذاكر لمباريات الكرة بين الحين والآخر لأعضاء اللجنة. خبطة كبرى.

حظى الموضوع باهتمام خاص ونشر فى الصفحة الأولى، فقط لأن الأخبار فى ذلك اليوم لم تكن مثيرة. ولم أكن أحلم أنه سيقودنا إلى موضوع واسع النطاق سيأخذ طريقه إلى المحكمة العليا للولايات المتحدة - ويغير إلى الأبد فى طبيعة السياسات التنظيمية فى مينيسوتا.

فى اليوم التالى لنشر الموضوع تلقينا اتصالا هاتفيا آخر من مجهول. ثم تلقيت اتصالا آخر، ثم اتصالا آخر. وقام رئيس تحرير التحقيق جون أولمان بتخصيص الصحفى

المخضرم فى كتابة التحقيقات الصحفية بابا جو ريجرت للمساعدة فى نقل فحوى هذه المكالمات.

ومن موقعنا فى آخر صالة تحرير الأخبار، ابتسمنا وأشرنا بعلامات الانتصار والموافقة. إن أمامنا عملية كبرى، ولم تكن تذاكر المباريات الرياضية سوى عينة من نمط سلوكى أوسع نطاقا.

كان أصحاب المكالمات التليفونية يزعمون أن بعض أعضاء الهيئة لم يحصلوا فقط على تذاكر المباريات، وإنما هناك رحلات مدعومة الأسعار وسيارات أقل من أسعارها، وسفريات، ودعوات للمسرح وغيرها من الأفضال.

كذلك قدم لبعضهم وعود بوظائف بمرتبات أعلى إذا ما تخلوا عن وظائفهم فى الهيئة ذات المرتبات الضعيفة. وكانت هذه الوعود بالوظائف تقدم أحيانا أثناء نظر اللجنة شبه القضائية فى شكاوى تتعلق بارتفاع تقديرات الرسوم المفروضة.

وكان أخطر هذه الاتهامات هو أن أحد أعضاء الهيئة حصل على أجر مرتفع كاستشارى من شركة نورثويسترن بل تليفون Northwestern Bell Telephone لم يكشف عنه إطلاقا فى الاقرارات الضريبية. وقد حدث هذا كله فى وقت كان يدلى فيه بصوته فى الشكاوى المتعلقة بارتفاع الرسوم المفروضة على شركة بل.

ولما كانت الهيئة قد أقرت مؤخراً رسوما على شركة بل قدرها 53 مليون دولار فقد قررنا تتبع الاتهام الخاص بالحصول على «أجر كاستشارى».

فإذا كان هذا الأجر قد دفع بالفعل، فكان لابد من الافصاح عنه فى الاقرارات الخاصة بالأخلاقيات فى هذه الهيئة. وبمراجعة هذه الاقرارات فى برلمان الولاية لم نجد أثرا لمثل هذه الافصاح.

تتبع خط الأموال

كانت لدى مصدرنا الرغبة فى التحدث، والاجتماع معنا وإرشادنا، بشرط أن نضمن له عدم الإعلان عن هويته. وقد فعلنا ذلك - وفى يوم الجمعة التالى قابلنا

مصدرنا المجهول بعد العصر فى إحدى الحانات بوسط مدينة سانت بول تسمى سماجلارز إن Smugglers Inn (حانة المهربين).

كانت الحانة عبارة عن قاعة خافتة الأضواء فى واجهتها مدفأة ومحاطة بمقاعد مكسوة بالجلد. لقد أصبح الآن هذا الموضوع الذى بدا مملا ومتزمتا للغاية يتضمن ولو على الاقل مشهدا واحدا مثيرا من أحد مشاهد رواية بوليسية رخيصة.

أبلغنا مصدرنا أن شركة بل دفعت مبلغاً كبيرا لاحدى شركات القانون فى سانت بول، وقامت الشركة بدورها بتحويل هذا المبلغ إلى عضو الهيئة. وكان مصدرنا يعرف اسم هذه الشركة.

وقد قررنا القيام باتصالات متزامنة مع جميع الأطراف الرئيسية فى هذا الموضوع للتأكد من صدق هذه المعلومات.

ولم يضع جهدنا المحموم هباء. ففى آخر النهار، بدأت الأهداف الرئيسية فى الرد على مكالماتنا. وركزنا ضغوطنا على عضو واحد فقط من شركة القانون، الذى أكد لنا فى النهاية أنه يصرف مرتباً «لواحد من أصحاب النفوذ يعمل لصالح التليفونات». حينئذ قررنا مواجهة المسئولين التنفيذيين فى شركة التليفونات والمسئولين فى هيئة المرافق بالأدلة التى جمعناها.

وقد أكد لنا مسئول تنفيذى فى شركة بل، خلال لقاء صحفى أعد له على عجل، بأن شركته دفعت 30 ألف دولار على دفعات لشركة القانون، وأن آخر دفعة وصلت لها فى تاريخ لاحق لتاريخ التحاق عضو الهيئة بالعمل فيها، ومن ثم فقد توجهنا مباشرة إلى المصدر.

فى البداية قام عضو اللجنة بمراوغتنا. ومن ثم فقد حددنا موقع شقته فى وسط سانت بول.

وبعد أن تركنا له عشرات الرسائل، اتصل بنا أخيرا وقال لنا فقط إنه سيتصل بنا فى عطلة نهاية الأسبوع.

بعد ظهر يوم السبت، أكد لنا عضو الهيئة أنه بالفعل تلقى دفعة واحدة أثناء عضويته فى اللجنة، مقابل تسهيل أعمال قام بها فى الهيئة لصالح شركة «نورثويسترن بل» قبل أن ينضم لعضوية لجنة تسوية شكاوى الرسوم المفروضة.

وقال إن هذا المبلغ كان صغيراً إلى درجة أنه لم يهتم بادراجه فى إقرار الافصاح المالى.

وأكد أن هذا المبلغ الصغير كان 30 ألف دولار.

وقبل أن نشرع فى توجيه مزيد من الأسئلة إليه حول علاقته بالشركة التى يقوم بضبط أدائها، أبلغنا أنه استقال من الهيئة، اعتبارا من التو واللحظة.

وكان هذا الموضوع الذى احتفظنا بحق نشره هو الموضوع الرئيسى فى طبعة يوم الأحد من صحيفة ستار تريبيون.

صورة اكبر

فى الاسبوع التالى، تلقينا، ريجرت وأولمان وأنا مزيداً من الاتصالات عن أفضال أخرى يقال إنها قدمت لأعضاء الهيئة. وكانت كل شركات المرافق تقريبا متورطة بصورة أو بأخرى، غير أن معظم هذه الاتصالات وأكثرها خطورة كانت تتعلق بشركة نورثويسترن بل. وبعض هذه الاتهامات كان من السهل إثباتها، والآخر كان يحتاج إلى أسابيع.

وكنا كلما خضنا فى فرز هذه القائمة المتضخمة من الأفضال المزعومة ثار لدينا السؤال الأكبر: هل هناك من وسيلة تبين أثر هذه الأفضال على معدلات الرسوم المفروضة على استهلاك الخدمات فى مينيسوتا؟. ربما نستطع عقد مقارنة بين معدلات رسوم التليفونات فى مينيسوتا وبين غيرها من الولايات الأخرى. ونبين ما إذا كانت العلاقات قد تغيرت بوجود هذه الأفضال.

وقد كدنا أن نيأس. فقد كان عالم تنظيم المرافق المعقد والغامض يصعب على الفهم. واتصالاتنا حول هذا العالم أثبتت لنا أن الاختلافات بين كل ولاية واخرى يجعل من المستحيل إجراء مقارنة بين هيئة وأخرى. وقالوا لنا لاسبيل إلى ذلك.

غير أنه وبمحض الصدفة الطيبة علمنا أن هناك سبيلا إلى ذلك.

وضع فرضية وطريقة لاثباتها

توجه أولمان، وهو أستاذ فى جعل الآخرين يقدمون خبرتهم للتحقيقات الصحفية، إلى مدير الأبحاث لاقتراض خبير فى الاحصاء «لبضعة أيام فقط». قيل له إنك لست بحاجة إلى خبير فى الإحصاء. أنت بحاجة إلى اقتصادى. هل لديك واحد منهم؟ نعم.

وهكذا تقابلنا مع دان سوليفان.

لقد كان سوليفان، مثل كثير من العباقرة وله خمسة أبناء، لايهتم كثيرا بمظهره. وكان لذلك تأثير مثير للأعصاب. كان شعره دوما مشعثا، وربطة عنقه، إن كان يرتديها، تجدها ملقاة على كتفه كما لو كان خارجا من توه من عاصفة هوجاء.

وكان حذاؤه دائما ملفتا للنظر، فقد كان يحمل عشرات الخطوط من أثر الملح والثلوج فى الموسم السابق. وكان يحضر متأخراً دائما. ولكن بينما كانت ملابس دان مشوشة، كان فكره صافيا.

وكان نوع ما تلقاه من تدريب – فهو حاصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة ييل، وقضى عدة سنوات كمحلل اقتصادى بوزارة العدل الامريكية، ولديه خبرة فى التدريس فى جامعة كاليفورنيا- مناسب تماما لهذه المهمة.

كان سوليفان واضحا بشأن ما نستطيع فعله ومالا نستطيع. فاللجوء إلى العلوم الاجتماعية، حسبما قال لنا، لن يساعدنا فى الخروج بأحكام طبيعية على ما قامت به هيئة المرافق العامة (PUC).

قال سوليفان: «البيانات ماهى إلا شكل من أشكال الأدلة عن أشياء حدثت. وسواء كانت هذه الاشياء طيبة أم سيئة فذلك أمر يرجع إلى القيم التى يعتنقها قارئ هذه البيانات.

«إننا لا نستطيع أن نزعم أن تصويت PUC كان غير سليم. لأن كل ما أعرفه أن قراراتهم كانت صحيحة. وكل ما نستطيع إثباته هو ما إذا كانت اللجنة كانت أكثر محاباة لشركة نورثويسترن بل عن شركات هيئة الخدمات العامة التى تنظمها هذه اللجنة».

وقبل أن نبدأ العمل فى جمع بيانات عن الأداء ذو الصلة لهيئة المرافق العامة فى مينيسوتا، أبلغنا سوليفان أنه يعتقد أن «البيانات يجب أن تصل بنا إلى نتائج محددة. أما إذا كنت تجمع البيانات لتقول إنها من ناحية تعنى شيئا ومن الناحية الأخرى تعنى شيئا آخر. فأنت لم تأت بجديد».

وعلى ضوء ما رأينا، تمكنا من التوصل إلى فرضية معقولة وأردنا اختبار مدى صحتها. وهذا هو كل ما تعنيه العلوم الاجتماعية: اختبار مدى صحة الفرضية بشكل محايد.

ماذا كانت تلك الفرضية التى أردنا اختبارها؟ طرح دانى السؤال التالى: «هل أسلوب الضغط المكثف من جانب شركة نورثويسترن بل يؤثر على الهيئة بما ينزل الضرر بدافعى الضرائب فى مينيسوتا؟

بعد موافقتنا على هذا السؤال، أخذنا نعصر فكرنا حول كيفية إثباته. مرة أخرى ظهرت الحاجة إلى العلوم الاجتماعية. ذلك أنه لتحديد ما إذا كان دافعو الضرائب فى مينيسوتا هم «أسوأ من يتعرضون للاستغلال»، كنا بحاجة إلى مجموعة أخرى لاجراء المقارنة معها.

اقترح علينا سوليفان أن نجد مجموعات للمقارنة، وكان أول اختبار لنا واضحا: أن شركة نورثويسترن بل تمارس نشاطها فى عدة ولايات ولابد أن تكون علاقات الشركة بالمسئولين عن التنظيم متشابهة تقريبا.

وعندما عرضنا مشروع دراسة مبدئية لمقارنة مينيسوتا بأربع ولايات أخرى تعمل فيها شركة «نورثويسترن بل»، اعترض المسئولون فى شركة بل وفى هيئة المرافق العامة بأن هذه العينة أصغر من أن نصل منها إلى استنتاجات.

وهكذا، توسعنا فى المقارنة، باضافة 18 ولاية أخرى.

وعلى الرغم من أن الظروف كانت مختلفة فى كل ولاية، فإن الخبراء أكدوا أن المهمة التى تواجه المسئولين عن تنظيم المرافق فى كل الولايات متشابهة أساساً، أى إيجاد توازن بين مصالح دافعى الضرائب ومصالح شركات المرافق.

وفى النهاية توصلنا إلى ثلاث مجموعات مقارنة مختلفة.

- مجموعة الولايات الخمس التى تخدمها شركة «نورثويسترن بل» لأنها كانت قريبة وتشرف على تنظيم هذه الشركة ذاتها.
- مجموعة من 14 ولاية تعمل بها شركة يو. اس. ويست U. S. West. ونظرا لأن نفس الشركة الأم كانت تخدمها فقد اعتقدنا أن وجود اختلافات كبيرة قد تعزى إلى الاختلافات فى السلوك التنظيمى إلى حد بعيد.
- مجموعة الولايات الثمانى الاخرى فى ميدويست Midwest التى تنظم شركات أخرى. وقصدنا بهذه المجموعة أن تكون بمثابة مرجع للمجموعتين الأوليين.

ابحث عن نموذج للنتائج

وحذرنا سوليفان قائلا: «لا تركزوا على مقياس واحد فقط، ولكن على النمط الشامل للنتائج. فان إجراء اختبار واحد فقط لصحة الفرضيات أمر غير مقنع، فأنتم بحاجة إلى كثير من هذه الاختبارات حتى تخرجوا بشئ مفيد».

ولهذا قمنا بوضع 14 مقياساً للضرائب، والأرباح والمناخ السائد للتنظيم للمقارنة بين مينيسوتا والولايات الـ26 الأخرى. وقد تضمنت هذه الـ14 مقياسا فى الدراسة،

المقارنة بين نوعية المناخ السائد للتنظيم فى كل ولاية كما تصنفها البيوت الاستثمارية فى وول ستريت، والضرائب الاساسية على مرافق الاقامة التى تسمح بها كل ولاية، والنسبة المئوية لطلبات المرافق التى تمنحها كل هيئة للمرافق العامة، ومعدلات الارباح المسموح بها فى كل ولاية تمارس فيها شركة بل نشاطها.

وقد استغرق جمع المعلومات من كل فئة من هذه الولايات من شهر مارس حتى منتصف موسم الصيف.

ولكن الأمر كان يستحق كل هذا العناء. فقد اكتشفنا أن مينيسوتا هى الولاية الوحيدة التى تجاوزت فيها شركة المتوسط بالنسبة لكل قياس. بمعنى آخر، تبين لنا أن هيئة مرافق مينيسوتا كانت دائما أكثر قبولا لطلبات شركة بل من هيئات 21 ولاية أخرى فى الفترة ما بين عامى 1980 و 1985 .

ومما يهم المستهلكين بالدرجة الأولى، أننا اكتشفنا أن الضرائب على التليفونات فى مينيسوتا كانت أعلى بدرجة لا تقارن بالضرائب المفروضة فى معظم الولايات الاخرى. ذلك أنه ابتداء من عام 1985، كانت الضرائب على التليفونات المنزلية فى مينيسوتا أعلى من أى من الولايات الخمس الأخرى التى تزاول فيها شركة «بل» نشاطها. وأحيانا كانت هذه الاختلافات كبيرة إلى حد بعيد. ففى مدينة «دينفر» التى يمكن مقارنتها بوجه عام بمدينة توين سيتيز Twin Cities فى تعداد السكان وفى المنطقة الخالية من تحديد عدد المكالمات، دفع زبائن المناطق السكنية 8.80 دولاراً رسوما شهرية مقابل الخدمة التليفونية، وهو ما يعادل تقريبا نصف متوسط الرسوم التى تدفعها توين سيتيز وقدرها 16.76 دولار.

وكلما زاد لنا الدليل وضوحا، كلما ازداد صياحنا وصخبنا. وقلنا إن «هذا يثبت أنهم كانوا يستغلون دافعى الضرائب فى مينيسوتا». ولكن سوليفان كان يحذرنا بقسوة.

لا تبالغ فى التفسير

وقد أشار سوليفان إلى أن دراسته لم تثبت أن شركة «بل» تعمدت استغلال دافعى الضرائب. إنها لم تقصد ذلك فى معاملاتها على الإطلاق.

«من الممكن تماما أن تكون العملية التى كانوا يتأثرون من خلالها على اتخاذ القرار حدثت على نحو لم يكونوا مدركين فيه للنتائج المحتملة. والواقع، أن ما فى نيتهم قد يكون لمصلحة دافع الضرائب. ولكن هذا الدراسة لا تتعامل مع النوايا».

ونظراً لعدم وجود مصدر من داخل الشركة يقول لنا ما هى دوافع الشركة، فلم يكن بوسعنا أن نخمن. وكان لزاما علينا أن نستخدم الوضع المالى الرسمى للشركة ليشرح لنا السبب فى أنهم كانوا يطلبون رسوماً أعلى دائما فى مينيسوتا.

الاستعداد للمواجهة

تنبأ سوليفان أن أول اعتراض سيكون نوعية البيانات. ولكنه كان مستعدا لذلك.

قال سوليفان، «أعلم أننا لانستطيع الدفع بأن بياناتنا صحيحة 100 فى المائة.

ولكن بفضل تعدد الولايات والعوامل التى يتم بحثها كان لابد من اكتشاف سلسلة من الأخطاء المنتظمة التى تؤدى إلى تغيير استنتاجاتنا.

«إن علماء الاجتماع لايزعمون أن بياناتهم تخلو من الخطأ ولكنهم يفترضون وقوع الخطأ ولكن بدون تعمد».

وتحسباً للتحديات، قررنا إرسال مسودات من دراستنا إلى شركات المرافق وإلى أعضاء هيئة المرافق العامة لمعرفة ما يرون فيها قبل النشر.

(أبلغتنا هيئة المرافق العامة أنها ربما تقرر أن تتيح لمنظمات إخبارية أخرى الاطلاع على دراستنا، تماما مثل أى وثيقة أخرى فى ملفاتها، وسبب لنا ذلك كثير من

القلق إلى أن أشار علينا أولمان باجراء كان غائبا عن أعيننا رغم بساطته. لو أن أي جهة نشرت هذه الدراسة فسوف تكون مجبرة على أن تقول «نقلا عن دراسة لصحيفة ستار تريبيون.... » ولذلك فقد ختمنا كل صفحة من صفحات الدراسة بختم أحمر يقول «غير معد للنشر» ، وهو شعار مخصص لمكتب مشروعات التحقيقات الصحفية.. ومن ثم لاتستطيع أي منظمة إخبارية أخرى استخدام الدراسة قبل أن تنشر النسخة النهائية لها).

قمنا بمناقشة كل صفحة من التقرير واستنتاجاته مع كل منظمة - أي مع الهيئة، و NWB، ومع مكتب المدعى العام ومع شركات أخرى للمرافق. وعندما يقولون أننا أخطأنا ، نعاود مراجعة البيانات. وكنا نحاول النظر إلى الدراسة بنظرة ناقدة مثلما يفعلون، وأن نتبنى وجهات نظرهم أينما استطعنا وكلما استطعنا.

وعندما أشار المسئولون فى التليفونات إلى أننا استخدمنا مجموعة بيانات أخرى للتأكد مما إذا كان قد حدث تغيير، لم يحدث هذا التغيير. ويمر بنا الوقت ونكتشف مرة أخرى أن شركة «بل» تلقت معاملة أفضل فى مينيسوتا بالمقارنة بالمعاملة التى تلقتها شركات التليفونات فى الولايات الأخرى.

وبعد أن قضينا ثلاثة أسابيع فى الرد على انتقادات ووجهات نظر شركة «بل» ، ومكتب المدعى العام، وموظفى الهيئة، شعرنا بأننا أجبنا على الاعتراضات الأولية والفنية. وكان ذلك فى حقيقة الأمر، إثباتاً من الشركة والوكالات لما توصلنا إليه فى موضوعنا.

ونظراً لشراسة رد الفعل تجاه مسودات المقارنة المبدئية، فقد ظللنا نتوقع محاولات جاهدة تبذل من جانبهم للهجوم على مصداقيتنا بعد نشر المقالات.

الارتياح لاستشارة خبراء على المستوى القومى

قررنا ، حتى يزيد تأكدنا من سلامة دراستنا ، الاستعانة بأحد كبار خبراء التنظيم لمراجعة الدراسة والرد على الاسئلة والتعليقات التى أثارها الناقد.

والواقع، أنه لم يكن ليتسنى الرد على الموجات الكثيرة من الاسئلة الفنية للغاية والشكاوى من الخبراء الاقتصاديين فى شركة «بل» والمنظمين فى الولاية بدون أن تتوفر لنا المشورة من الخبراء.

وكان من بين خبرائنا، ديفيد تشيسلر، الحاصل على درجة الدكتوراه، والاستشارى الخاص الذى كان قد تخلى مؤخراً عن منصب رفيع للتدريس فى المعهد القومى للبحوث التنظيمية بولاية أوهايو. وهو مركز البحوث الاكاديمة الخاصة بالمرافق.

وعندما أصدر تشيسلر حكمه على دراستنا بأنها سليمة وعادلة ودقيقة، شعرنا بالثقة - ونعمنا بنوم هادئ الليلة التى سبقت النشر. وتم نشر التحقيق يوم 10 اغسطس 1986.

المقـــالات

تم نشر التحقيق تحت عنوان رئيسى يقول «كرم هيئة المرافق العامة لمساعدة شركة بل». ثم عنوان فرعى يقول، «دراسة تكشف أن هيئة المرافق العامة منحت إحدى الشركات الحق فى فرض رسوم وتحقيق أرباح بنسبة مرتفعة» ثم قدمنا المعلومات السابق الاشارة إليها، ولكننا ربطنا بينها وبين موضوعات التحقيق الصحفى الذى نشرناه من قبل بفقرات على النحو التالى:

لقد تمت الموافقة على الرسوم المرتفعة فى مينيسوتا خلال الحقبة التى زادت فيها شركة بل كثيرا من محاولاتها للتأثير على أعضاء الهيئة وأصبح عدد من هؤلاء الأعضاء متورطين فى أعمال فيها تضارب للمصالح.

ففى الفترة ما بين عامى 1982 و 1985، وجهت شركة بل الدعوة على الغذاء مئات المرات لثلاثة من أعضاء الهيئة وأحد كبار موظفيها وناقشت معهم أمورا كانت ستعرض فى وقت لاحق على هيئة المرافق العامة.

هذا بالاضافة إلى أن الشركة عرضت وظائف على اثنين من الأعضاء الراغبين فى الهيئة، أحدهما أدلى بصوته فى قضية لشركة «بل» بعد أن ناقش معها احتمال توليه لوظيفة استشارية فيها.

وبالاضافة إلى الاشارة إلى الانتقادات التى أوردتها شركة «بل» وهيئة المرافق العامة (PUC) بشكل بارز فى الموضوع الرئيسى، كتبنا أيضا مقالا منفصلا أبرزنا فيه اعتراضاتهم. وتحت عنوان، «بل و PUC تنتقدان الأساليب والنتائج التى توصلت إليها دراسة الصحيفة»، بدأنا المقال على النحو التالى :«شركة نورثويسترن بل و PUC تعترضان على أسلوب ودقة وعدالة ونتائج الدراسة المقارنة لصحيفة ستار تريبيون وتحثان الصحيفة على عدم نشرها».

رد الفعـــــل

وكما توقعنا، هاجمت شركة «بل» الدراسة بشراسة، ولكن مع وجود سوليفان وتشيسلر ضمن فريقنا شعرنا بالثقة عند مناقشة أقوى الانتقادات.

وقد قوبل ما نشرته الصحيفة عن قضايا هيئة المرافق العامة PUC بردود فعل قوية من PUC ومن المجتمع أيضا.

بعد ستة أشهر من نشر الموضوع، صوتت هيئة PUC باعادة فتح التحقيق فى شكوى شركة نورثويسترن بل والتى كان قد تم البت فيها خلال الفترة التى غرق فيها أعضاء الهيئة فى الشراب والطعام وعروض العمل.

وقد أجبرت الهيئة شركة بل بإعادة 40 مليون دولار إلى عملائها.

وقد تم رفع دعوى قضائية من القطاع الخاص للحصول على تعويض عن خسائر من شركة بل لانتهاكها قانون RICO بتورطها فى «نشاط له طبيعة الابتزاز» تمثل فى

التأثير بصورة غير مشروعة فى أعضاء الهيئة. وقد سعت شركة بل إلى إطالة أمد القضية ونجحت فى ذلك حتى عام 1989، عندما أحيلت القضية إلى المحكمة العليا.

وكان السؤال الرئيسى أمام المحكمة هو ما إذا كانت أنشطة شركة بل تشكل نمطاً إجراميا بحسب تعريف القانون لذلك. وقد كشفت مقالاتنا عن وجود نمط من ممارسة ضغوط شديدة من جانب المشتركين فى شركة بل، حيث كانوا يقدمون الوجبات وعروض العمل وغيرها من الأفضال لأعضاء هيئة PUC عندما كانوا على وشك التصويت فى قضايا حسم رسوم الضرائب. وقد استشهد المحامون الذين يدفعون بوجود انتهاك لقانون RICO مما توصلنا إليه كاثبات لوجود «نمط من أنماط التصرف غير السوى والاجرامى» وقد أصدرت المحكمة حكمها بجواز محاكمة شركة بل بموجب قانون RICO.

غير أن أكثر التطورات إيجابية لم يحدث إلا مؤخراً. ففى السنوات التى أعقبت نشر التحقيق فى الجريدة، توقف نمط استخدام دعوات الغذاء والتأثير على أعضاء الهيئة. وبعد أن أمضت هيئة المرافق العامة فى مينيسوتا عدة سنوات كهيئة فى خدمة شركات المرافق، عادت لتحتل مكانها كجهاز لتنظيم المرافق يراعى مصالح المستهلك.

(توم هامبورجر هو رئيس مكتب واشنطن لصحيفة ستار تريبيون فى سانت بول عاصمة ولاية مينيابوليس ومن المخضرمين فى كتابة التحقيقات الصحفية).

قواعد أولمان العشر لفهم العلوم الاجتماعية، والخاصة بالعداء للمجتمع

بقلم جون أولمان

القاعدة الأولى

هل سمعت عن خبير الاحصاء الذى لم يصدق ما قرأه فى صحيفة الصباح ومن ثم فقد اشترى ألف نسخة منها ليزيد من حجم العينة؟

إذا كانت العينة عشوائية، فلن يكون لحجم العينة أى تأثير. لا يمكن استخدام النتيجة فى وصف السكان بوجه عام. والنتائج لا تمثل سوى الاشخاص الذين أجابوا على الأسئلة.

القاعدة الثانية

لقد كان نفس خبير الاحصاء يخاف من الطيران خشية أن يكون الارهابيون قد زرعوا قنبلة على متنها. ولكن نظراً لأنه كان محترفا فى مهنة التعامل مع الأرقام، فقد اتصل بالحكومة وحصل منها على إحصائيات عن عدد الطائرات التى سقطت بالفعل بسبب تفجير قنبلة. لقد كان عددا صغيرا، فكر فيه قليلا، ثم اتصل مرة أخرى لمعرفة عدد الطائرات التى تحطمت بسبب وجود قنبلتين على متنها. ياله من عدد ضئيل بالفعل. وبتوصله إلى هذه المعلومة، أصبح يحمل معه الآن قنبلتين فى كل رحلاته بالطائرة.

إن الأرقام الحقيقية قد تكون بلا معنى أحيانا، ولا تنسى أن إقامة علاقة متبادلة بين الأرقام ليست سببا. وهذه هى المشكلة الرئيسية المحتملة بالنسبة لجميع التقارير الخاصة بتمويل الحملة الانتخابية عندما توضع بجوار سجلات الإدلاء بالأصوات لإيجاد نوع من العلاقة بينهما. فالأرقام لا تقول لنا ما إذا كان السياسى أ، أدلى بصوته فى الموضوع أ لأنه حصل على 50 ألف دولار من الجماعة السياسية أ، والتى تناصر أيضا موقف السياسى أ الذى عبر عنه فى عملية الادلاء بصوته. فهل حصل على الأموال لأنه بالفعل يتفق فى موقفه أم أنه حصل على الأموال ثم بعد ذلك اتفق فى موقفه حتى يعكس إرادة المتبرعين بالأموال؟ (أم أن هناك خيارات أخرى منطقية أيضا؟).

إن هذا لا يعنى أن هذه الموضوعات الصحفية ليس لها قيمة. فكثيرا ما تصادف فى عالم الواقع الذى نعيش فيه، أشياء تبدو أحيانا مرتبطة ببعضها البعض منطقيا إلى حد يستحق كتابة التحقيقات الصحفية عنها. ومع ذلك فلابد ألا تعتمد على الأرقام فحسب. فالعلاقة المتبادلة بين الأرقام لا تقيم وحدها قضية ما.

القاعدة الثالثة

كان هناك ثلاثة من خبراء الاحصاء فى دورية فى فيتنام عندما قام أحد القناصة بالتصويب عليهم. قام خبير الاحصاء الأول باطلاق دفعة نيران تجاهه ولكنه أخطأه بمسافة 10 أقدام إلى اليمين. وأطلق خبير الاحصاء الثانى النيران، ولكنه أخطأه بمسافة 10أقدام إلى اليسار. وانتظروا دون جدوى أن يطلق الثالث النيران. ولما أعياهم الانتظار صرخوا فيه أن يطلق النيران رد عليهم ثائرا، «لاداعى لذلك. لقد مات بالفعل، فلو أنكم تكبدتم عناء حساب المتوسط، لعلمتم أننى على صواب».

ليس هناك من رقم يساء استخدامه من جانب العلماء والصحفيين اكثر من هذا «المتوسط». فلو أنك قمت الآن بحساب المتوسطات لكل قطع الاثاث فى الحجرة التى

تقرأ فيها هذا الكتاب، لخرجت بثلاثة أرقام، متوسط الارتفاع، ومتوسط العرض ومتوسط العمق. ولا يوجد فى أى من هذه المتوسطات، أياما كان ترتيبها، سواء كانت منفصلة أم مجتمعة، مايصف بالقدر الكافى قطعة واحدة مما يوجد فى الغرفة. فلا تنسى قيمة السؤال عن المدى والأسلوب، وعن تفسير مناسب لما تم حساب المتوسطات منه.

القاعدة الرابعة

ونحن فى طريق عودتنا، ظل أحد الرفاق ممن يعيشون فى الصحراء يسمع من المسافرين عن حلاوة مذاق التفاح. ونظراً لتأثره الشديد بهذه الأنباء المبهرة، قرر السفر إلى الشمال ليقيم فى المكان الذى ينمو فيه التفاح. ولدى وصوله، وصف له أقرب بستان. وهناك وجد المئات من أشجار التفاح المثمرة. والواقع، أن رائحة هذا «التفاح» كانت رائعة. وقام بتذوق عدة ثمرات، وأخذ من أكثر من 100 عينة. ومع ذلك فقد كانت إما أنها لاطعم لها وإما مُرة. وقد خلص من أول تجربة مباشرة له أن هناك مبالغة شديدة فى تقدير التفاح ومن ثم فقد «خالف» كل مايقال عكس ذلك، وذلك بناء على ما أجراه من تحر شخصى مكثف.

إن العلوم ذاتها التى تنشر فى الصحف ليست دائما على حق فى ماتدعى أنها تثبته. والصحفيون بوجه عام، فى أحيان كثيرة يتخلون عن تشككهم عندما يتناولون فى كتاباتهم للعلماء ونتائج أعمالهم. ولذلك فإنى أنصحك أن تكون متشككاً.

القاعدة الخامسة

كان هناك ثلاثة يتسامرون أحدهم متخصص فى الرياضيات والثانى مهندس والثالث محاسب، عندما جاء صبى يبحث عن إجابة لمسألة فى واجباته المنزلية: ما هو الجذر التربيعى لأربعة؟

سأل المتخصص فى الرياضيات: «هل تتحدث هنا عن التكامل، أم الأعداد العادية؟» لم يحر الصبى جوابا. «حسنا، لايهم. إنه إما زائد اثنين أو ناقص اثنين».

قال المهندس وهو يسارع باستخدام آلته الحاسبة «أستطيع أن أحل لك هذه المسألة على نحو أدق كثيراً. إنه 1.99762، صحيح إلى رابع رقم عشرى».

أما المحاسب فقد قال وهو يرمق الصبى بنظرة ثاقبة، «أنتم الاثنان نسيتما أهم شئ. «قل لى - ماذا تريد أن تفعل بالجذر التربيعى للعدد أربعة؟».

فى موضع آخر من هذا الكتاب أشرت إلى الاستعانة بخبراء من الخارج كاستشاريين. الاستعانة بهم بأجر لأنك تريد منهم انتباها كاملا طوال الوقت الذى سيقضونه فى تقييم عملك. إننى أسعى دائما إلى الاختيار من بين الخبراء الموجودين أرفعهم مكانة وأكثرهم بعداً عن الأهواء السياسية، ودائما ما أحاول أن أوكل إليهم مهمة الرد بالحجة والبينة أو تفنيد عملنا. وآمل ألا يتعذر عليهم القيام بذلك، أما اذا تعذر ذلك، فإننى أود أن أعلم به قبل النشر وليس بعده.

كما أننى أقول لقرائى دائما أن الخبير الذى أنقل عنه تمت الاستعانة به بأجر وأن الاستعانة به تمت فقط ليقدم وجهات نظره إزاء الاسلوب العلمى فى إجراء الدراسة وفى النتائج التى توصل اليها الصحفى. كما أن هذا الخبير، بطبيعة الحال، لم يكن الخبير الوحيد الذى سعينا إلى معرفة وجهة نظره.

إن نقطة التماس هى اكتشاف من الذى يمول أى دراسات تعتزم النقل أو الكتابة عنها، سواء كان ذلك فى تحقيق أم فى مقال يومى. ولو أنك قمت بتغطية صحفية لاجتماع يدلى فيه خبراء للتقييم من كلا طرفى القضية بشهاداتهم، فسوف تدرك أن من يدفع تكلفة التقييم غالبا ما يحدد مسبقا النتائج. وهذا قول مأثور حاول أن تتذكره دائما. هناك نوعان من الحقيقة العلمية- الحقيقة العلمية التى تدعم مقدم الاقتراح 100 فى المائة والحقيقة العلمية التى يصعب تفسيرها بشدة. أو لنتذكر هذا القول المأثور الآخر، «إننا نثق فى الله» أما من عداه فيجب أن يشركونا فيما لديهم من بيانات.

القاعدة السادسة

معلومة إضافية للصحفي الاخباري: أين تستطيع نشر تقرير لا تستطيع إثباته، ولا تفهمه، كما أنه ليس صادقا، وقد نشره من قبل شخص آخر؟ في أي صحيفة!.

بطبيعة الحال، هذه هي طبيعة الصحافة اليومية. أما بالنسبة للتحقيقات، فلديك من الوقت مايكفي لتفهم شيئا. وهذا هو العمل الوحيد المطلوب منك. ولذلك احرص على أن تفهم.

القاعدة السابعة

حب الاستطلاع في البشر أمر مضحك. وإلا فبماذا تفسر تلك الرغبة المستمرة للمحققين الصحفيين في معرفة وجهة نظر رجال الدين تجاه الجنس مثلا. وما هو رأي علماء البيولوجيا في الله؟

لقد وُجه إلى عالم الوراثة البريطاني البارز جي. بي. اس. هالدين Hal-dane(1892 – 1964) السؤال المعتاد ولكن بصيغة أخرى. فقد تواتر أن الصحفي الذي أجرى معه لقاءاً صحفيا سأله السؤال التالي: «لقد أمضيت حياتك كلها تحملق في وجه الطبيعية، فهل تستطيع أن تقول لنا ماذا عرفته عن تفكير الله؟».

فكر هالدين بامعان برهة ثم قال، «في الواقع إنني لست واثقا سوى أن الله كان مولعا بصورة غير مفهومة بالخنافس».

ببساطة شديدة ليس صحيحا القول بأنه لا يوجد سؤال غبي. فاننا نوجه مثل هذه الاسئلة التي تقضي على اللقاءات الصحفية الواعدة، الأسئلة التي تنتزع فيها الاجابات لا أن تحصل على الرد الفعلي لها، الأسئلة التي تكون غير محددة إلى درجة تسمح للشخص

الذى تجرى معه اللقاء الصحفى بتجنب الخوض فى قلب القضية، الأسئلة التى لا تكون فى الموضوع ومن ثم لا يسفر عنها رد له قيمة.

ومن المفيد دائما القيام بتحضير الأسئلة مقدما، وأن تتوقع الردود عليها وأن تراعى الترتيب الذى يجب أن يتم عليه توجيه الأسئلة.

القاعدة الثامنة

إليك الفرق بين عالم الدراسات الديموجرافية (دراسات السكان من حيث المواليد والزواج والوفيات الخ) وبين عالم الرياضيات الديموجرافية. الأول يضع تخمينات عشوائية حول مستقبل السكان. أما الثانى فانه يستخدم الكمبيوتر والاحصائيات ليضع هو أيضا تخمينات عشوائية حول مستقبل السكان.

لاتدع استخدام أجهزة الكمبيوتر، أو الاحصائيات المحكمة، أو الميزانيات الضخمة، والأعداد الكبيرة من الموظفين، أو الأعداد الضخمة من الموضوعات أو طول زمن الدراسة يؤثر عليك، فالفرق بين العلم الجيد والعلم الردئ أو بين العلم المتوسط والعلم العظيم هو العقل الذى وراءه.

القاعدة التاسعة

ما هو عدد الاقتصاديين الذين يحتاجهم تغيير المصباح الكهربائى؟ اثنان، واحد لحمل السلم والثانى لحمل المصباح.

ثم بعد ذلك نظل غارقين فى الظلام. تماما مثل الاقتصاديين. تذكر، أن القول بأن «كل الأشياء متساوية» هو جمع بين نقطتين متناقضتين. وهذا هو السبب الحقيقى فى تسمية الاقتصاديات بالعلم الكئيب.

القاعدة العاشرة

على الساحل الشرقى East Coast بصفة خاصة، تستطيع أن تتوجه إلى عملك بمجرد أن تستقل قطار ركاب طويل أو مترو الأنفاق.

ذات يوم، رجع أحد مديرى التحرير إلى بيته بعد أن قام برحلته اليومية من العمل واليه وكان يبدو مغبراً ومضطربا على غير العادة.

سألته زوجته «ماذا حدث؟»

قال «لقد اضطررت إلى الجلوس طوال الرحلة على مقعد فى عكس اتجاه السير. وأنت تعلمين أن ذلك دائما يتعب كبدى».

سألت «حسنا أيها الصحفى الكبير، لقد تحدثنا فى ذلك من قبل. لماذا لم تطلب من الشخص الجالس أمامك تبديل المقاعد؟» قال «للاسف فى هذه المرة بالذات لم أستطع أن أطلب ذلك، لانه لم يكن هناك أحد جالس فى المقعد المواجه لى».

لا تحاول مطلقا وأبداً أن تقول لرئيس تحريرك أنك ترغب فى إنجاز عمل بأسلوب العلوم الاجتماعية. لأن ذلك لن ينجح أبداً لانها دائما تخيفهم. من ناحية، أنهم جميعا سمعوا بالقول المأثور بأن أى شئ تدخل فيه كلمة علوم ليس علميا. ومن الناحية الأخرى لأنهم لا يستطيعون إدراك ماذا سيعود عليهم من هذا العناء.

لقد تعلمت من أمد بعيد ألا تتصل أبداً بشخص ما وتطلب منه إجراء «مقابلة صحفية». عليك أن تقول، «هل أستطيع الحضور إليك لتبادل الحديث»، ذلك لأن كلمة «مقابلة صحفية» كلمة سيئة.

وبالمثل مع العلوم الاجتماعية. قل لرئيس تحريرك بدلا من هذه الكلمة أنك اكتشفت طريقة رائعة، ورخيصة وسريعة حقيقة للارتقاء بمستوى تحقيقك إلى قمة الهرم. سوف ترى تحسنا كبيرا فى مؤشر نجاحك.

قاعدة اضافية

ماهو عدد الصحفيين المتمرسين فى العلوم الاجتماعية الذين يحتاجهم تركيب المصباح الكهربائى؟ اثنان. واحد لطمأنة مدير التحرير بأن كل شئ على مايرام والثانى لتركيب المصباح فى صنبور المياه.

ربما تكون بحاجة إلى أكثر مما هو متوفر فى هذا الكتاب لاستخدام وفهم الارقام. هذا احتمال.

ولذلك فهناك عدد من الكتب المتوفرة عن أساليب العلوم الاجتماعية فتش عنها فى أى مكتبة.

وحتى نضمن عدم وقوعك ضحية، أو أن تؤذى نفسك، فانى أقترح عليك اسم كتابين :

- News and Numbers بقلم فيكتور كوهن الصحفى لفترة طويلة فى صحيفة واشنطن بوست. (Ames: Iowa State University Press, 1989)
- Newsroon Guide to Polls and Surveys بقلم جى. كليفلاند ويهويت وديفيد اتش. ويفر، وهما استاذان فى جامعة انديانا (Reston, Va: Indiana University American Newspaper Publishers Assoc. , 1980) كلا المجلدين صغير الحجم ورائع. ولا يقتصر الأمر على مجرد اقتنائهما ولكن لابد للجميع من قراءتهما، ووضع خطوط تحت السطور المهمة وكتابة مذكرات فى الهوامش ومعاودة قراءتها دائما.

هوامش

1- الدعابات الموجودة هنا مأخوذة من ثلاثة أماكن. كتاب (The Anatomy of Judgment) بقلم فيليب جى. ريجال (Minneapolice: University of Minnesota Press, 1990) أو كتاب (Qualitative Evaluation Methods) بقلم مايكل كين باتون (Newbury Parıf, Calf· Sage Publications, Inc

أو من كتاب (Absolute Zero Gravity) بقلم بيتسى ديفاين وجويل اى. كوهن (New 1980)
.York: Simon and Schuster, 1992)

2- فى أحيان كثيرة لايبدو أن هذه الدعابات من تأليف مؤلف الكتاب. ولذلك، وباستخدام افضل أساليب العلوم الاجتماعية المتاحة، نقلت فقط الدعابات التى عثرت عليها فى اثنين من هذه الكتب الثلاثة، إن لم يكن من واحد فقط من الثلاثة.

وفى بعض الحالات، أعدت كتابة الدعابات، أو عدلت فيها كثيرا.

وعلى كل الأحوال، هذه الكتب الثلاثة تستحق الشراء والقراءة.

الفصل السادس

بدءاً من الافكار وحتى كتابة التحقيق الصحفى

نورد فى هذا الفصل عرضا تفصيليا للتقنيات التى تزيد من فرصة إنجاز تحقيق صحفى متميز، فضلا عن بعض النصائح عن كيفية التوصل إلى أفكار أفضل، وكيف تقنع الادارة بها، والاستراتيجيات التى تساعد على أن تكون كتابة التحقيقات الصحفية أفضل، وسوف تساعدك هذه الأفكار سواء كنت محرراً صحفيا تغطى مصادر معينة أو كنت تعمل فى مهام عامة تكلف بها أو حتى من كتاب التحقيقات الصحفية المتميزة طوال الوقت.

إن الافكار العظيمة للتحقيقات الصحفية تأتى من واحد من مصدرين : أحيانا نجد رؤساء التحرير المهرة الذين يتمتعون بسعة الاطلاع والذين يستمعون إلى أحاديث الناس من حولهم، والذين يخوضون غمار المجتمع ليستمعوا من القراء، والذين يتمتعون خلافا لذلك بروح السعى وراء كل ما هو جديد ومهم، بأفكار جيدة يقدمونها للمحررين الصحفيين.

ومعدل النجاح هنا يكون واحد فى المائة، لكل من رئيس التحرير البارع والتحقيقات البارعة التى حلموا بها.

أما باقى الـ 99 فتأتى من المحررين الصحفيين أنفسهم.

وكن على ثقة فى أن المحررين الصحفيين قد يخرجون بالأفكار لمجرد أن مصادرهم تجبرهم على إنجاز عملهم على نحو أفضل، ولأن المحرر يجد على أعتاب بابه معلومات على صورة وثائق لم يسع بنفسه إلى الحصول عليها، أو لأسباب أخرى لاعلاقة لها بذكاء الصحفى ولكن لها علاقة بإيمان أحد المواطنين بأن الاتصال بأحد الصحفيين هو أهون الشرور[1].

وأحيانا أخرى يقوم المحررون الصحفيون، خشية أن يظلوا إلى الابد مربوطين بجلب الأخبار اليومية الصغيرة ذات قيمة لحظية للقارئ أو المشاهد، باقتراح أفكار ممتازة لتحقيقات كوسيلة لتغيير نوع العمل الذى يقومون به.

وهناك أيضا صحفيون يتمتعون بالمهارة والذكاء ويريدون معرفة السبب فى أن الأمور لا تسير كما ينبغى لها، ويتضح فى النهاية أن رؤساء التحرير أيضا عندما يقدم إليهم هذا السؤال يودون معرفة الاجابة. هؤلاء المحررون ينقبون عن السبق الصحفى بمهارة، ويستخدمون فى ذلك الأسلوب المناسب لكل فكرة على حدة، ويعرفون ما هى الأنماط ثم يبحثون عن المصادر المطلوبة.

ونظراً لأننى أمضيت سنوات كرئيس تحرير فى الاستفادة من مصادرى – وهى المحررين الاخرين ورؤساء التحرير الآخرين – فقد توصلت إلى عدد من التقنيات التى

تساعد فى زيادة إمكانية الخروج بفكرة تحقيق صحفى جيد. و أجبر نفسى على استخدام هذه التقنيات جميعا بشكل منتظم.

توليد الأفكار

- اعتدت على مغادرة مكتبى والذهاب لتبادل الحديث مع المحررين الصحفيين الحقيقيين - الذين لايعملون فى أحد التحقيقات الصحفية، وعادة مايكون هؤلاء هم الغالبية العظمى من العاملين فى الصحيفة [2].

ربما يسبب ذلك إزعاجا شديداً للمحررين الذين لم يعتادوا على أن يأتى إليهم رئيس التحرير لمجرد تجاذب أطراف الحديث. ولكن يمكن، فى نهاية الأمر، إقناعهم بأنك لاتنوى أن تطلب منهم أى شئ يحتاج إلى عمل إضافى، بل والأسوأ، أن ينجزوا أعمالهم المطلوبة المطلوبة فقط ولكن بصورة أسرع.

لا أسألهم على الاطلاق إن كان لديهم أفكاراً عن تحقيق صحفى فالمحررون الصحفيون الذين لايعملون فى تحقيق متعمق، نادرا مايكون لديهم «فكرة تحقيق» على الرغم من أنه يكون لديهم الكثير من الأفكار حول التحقيقات التى تنشرها الصحيفة بالفعل، وجميعها أفكار انتقادية سلبية، (على سبيل المثال، «وهل يستحق هذا العمل جهد ثلاثة أشهر؟» أو «لقد كنت أعرف ذلك. كل الناس يعرفون ذلك إلا أنتم»).

بدلا من ذلك، أسألهم فقط عما يجرى، وعن الأحداث المسلية أو الأحداث التى تثير الصدمة ويتضح لى فى نهاية الأمر أن المحررين الصحفيين غير المشتغلين بتحقيق متعمق لديهم كثير من المعلومات عن أشياء يمكن أو يجب أن تكون تحقيقات متعمقة. ثم إننى قد أسأل المحرر إن كنت أستطيع تمرير هذه المعلومات كتحقيق محتمل وإن كان يجب أن يشترك فيه إن تمت الموافقة عليه.

إذا أبدى المحرر رغبته فى الاشتراك، أطلب منه أن يكتب لى ملاحظة (note) اليكترونية (فقد تعلمت أن أتجنب استخدام كلمة مذكرة memo) تحتوى على المعلومات

ذات الصلة وبعدها أبدأ العمل من خلال سلسلة القيادات فى الصحيفة. أما إذا لم يكن لدى المحرر اهتماما بالأمر، فاننى أتكلم مع رؤساء الاقسام الاخرين بشأن هذه الفكرة وربما تتطور فى النهاية لتصبح تحقيقا صحفيا. إذا حدث ذلك، نتوجه أنا أو المحررين الذين أوكل إليهم التحقيق إلى المحرر الأصلى لنبلغه بقيامنا بالتحقيق ونطلب منه المشورة.

(كنت أحيانا لا أطلب هذه المشورة، وكان ذلك يؤدى دائما إلى كوارث شخصية بين المحررين كان من السهل تجنبها بهذه المجاملة العادية ، هذا بالاضافة إلى أن المحرر الأصلى يعرف أكثر عن الموضوع، على الاقل لفترة من الوقت، من أى شخص آخر ويستطيع أن يوفر لنا الكثير من الوقت).

- أستخدم دائما الكتيب الدورى المعروف باسم «المحررون ورؤساء التحرير المسئولون عن التحقيقات الصحفية المتميزة. Investigative Reporters and Editors (IRE) فأنا أقرأ بانتظام النشرة التى تصدر كل ثلاثة أشهر باسم The IRE Journal وكذلك النشرة السنوية والتى تورد فيها وصفا لأفضل 100 تحقيق صحفى متميز اختارتها مجلة IRE.

وهذا شئ عظيم بالنسبة للأفكار، وعندما يرد على خاطرى ولو لمحة عن احتمال تحقيق صحفى، أتصل بمجلة IRE وأسأل عن كل المشرعات القريبة منه والتى تحتفظ بها فى مخازنها الهائلة. إن IRE مصدر رائع لأفكار التحقيقات الصحفية المتميزة.

وحتى يتسنى لك الاستفادة إلى أقصى حد ممكن، يجب عليك الاتصال بالمحررين ورؤساء أقسام التحرير الذى قاموا بالتحقيقات التى تفضلها بصفة خاصة وأن تسألهم عن كيفية إنجازها، وما هى المشكلات التى صادفتهم وكيف استطاعوا التغلب عليها، إن كانوا فعلا قد تغلبوا عليها. ثم تشرح لهم ماتقوم به وتطلب منهم مزيدا من النصائح، وذلك بالطبع بعد أن تؤكد لهم أن ماتقوم به سيكون مجرد ظل باهت لاعمالهم[3].

- كثير من الـ 200 صحيفة أو نحو ذلك من التى تنشر أى نوع من التحقيقات الصحفية المتميزة والطموحة فى أى عام من الأعوام تقوم باعادة طبعها فى إصدار خاص وترسلها إلى الزملاء فى الصحف الأخرى.

إن العشرات من هذه الملاحق التى يعاد طبعها يتدفق على صحيفتك كل عام احصل عليها. لقد قمت بالمرور على كل رؤساء أقسام التحرير فى المبنى كله لجمع هذه المطبوعات وطلبت منهم أن يحولوها فيما بعد إلى مكتبى بعد أن يفرغوا من قراءتها. وفى كل عام يقوم أحد الخريجين من طلبة الدراسات العليا ممن يؤدون تدريبهم العملى فى الصحيفة بتلخيصها فى نماذج معينة قمت بابتكارها. وعلى الفور - أصبح لدى قاعدة بيانات إلكترونية تحتوى على نحو 300 من أفضل التحقيقات التى عثرت عليها خلال السنوات الست التى عملت فيها بالصحيفة.

- وكما أوردت فى الفصل الثالث، إننى استخدم قواعد البيانات فى البحث أيضا، لاسيما وأن قواعد البيانات المتوفرة على اسطوانات CD-ROM أصبحت شائعة الآن.

أود فقط أن أذكرك بشئ واحد: إنه مما يوفر الكثير من الوقت ومن الإحراج ألا تنسى تصفح المقتطفات من صحيفتك قبل أن تسارع بالترويج لفكرة تحقيق صحفى متميز. فمن الأفضل أن تتأكد أن صحيفتك لم تنشر نفس الفكرة من قبل. وربما كان صحيحا القول بأن «إنجاز شئ أفضل ولو أنه الثانى فى الترتيب» قد يكون تحقيقا جيدا، ولكن إنجاز شئ «أفضل وللمرة الأولى» يكون دائما تحقيقا متفوقا.

- ما أقترحه عليك الآن لن تجده مفيدا فقط وإنما ستجد فيه متعة. وذلك مانسميه الذهاب إلى المكتبة.

لابد لنا من الاعتراف بالحقيقة المرة، وهى أن معظمنا من العاملين فى مجال الصحافة نتخلى عن عادة القراءة. فعلى سبيل المثال، يندر ذلك المحرر، أو رئيس التحرير الذى يقوم حتى بقراءة الصحيفة كلها التى يعمل بها. فمعظمنا يقرأ مايحتاج إليه بالنسبة للموضوع التالى الذى أوكل إليه، أو قراءة ما يكفى من صحيفة هذا اليوم

لتقييم جهود زملائنا. والبعض منا قد ينجح فى تدبير بعض القراءات الترفيهية، ولكنها عادة لاتصلح حتى لتبادل حديث مفيد ربما أكثر من مجرد السؤال عما فعله هذا الفريق الرياضى أو ذاك.

وهذا هو السبب فى أن معظم الناس، فيما عدا أولئك الذين نختارهم نحن بعناية فائقة، يرون أننا مثيرون للملل، بل إن هؤلاء الآخرين لن يرغبوا بعد ذلك فى صحبتنا إلى الحفلات الصحفية.

ولذلك. بادر بالذهاب إلى المكتبة والقيام ببعض القراءات المختارة وسوف ترى أن كل الأشياء الطيبة ستحدث لك.

عندما تذهب إلى هناك، اتجه إلى رفوف الدوريات المختلفة وابدأ فى قراءة قوائم المحتويات بدءا من مجلات الفنون إلى تلك المتخصصة والمتعمقة فى أحد فروع العلم. التقط عدداً صغيرا من المقالات التى تتناول أشياء لاتعلم فيها شيئا. (وهذه بطبيعة الحال ليست هى المشكلة، وإنما المشكلة ستتمثل فى أنه سيكون لديك الكثير منها لن تصل فى تصنيفها الأبجدى إلى منتصف الحروف الأبجدية قبل خروجك على المعاش).

التقط مقالا أو اثنين مما قد ترى أنها تختلف عما لديك من معلومات، اقرأها، واستخرج نسخاً منها وابدأ لدى عودتك إلى مكتبك فى تكوين ملفات لهذه المقالات.

بل إن المكتبة التى أرتادها لديها مركز للنسخ أستطيع الاتفاق معه على أن يتولى مباشرة محاسبة الصحيفة على كل ما أنسخه.

بعد ذلك انتقل إلى قسم الدوريات المتخصصة والفنية التى تتناول مثلا، الادارة العامة، أو التى يتبادل فيها المتخصصون فى العلوم الاجتماعية خبراتهم. فهذا يتيح لك معرفة أى القضايا التى يرى هؤلاء المتخصصون أنها الاكثر إلحاحاً بالنسبة لهم ولنا. وسوف تجد دائما أفكاراً لمواضيع عظيمة، وأحيانا أفكارا لتحقيقات عظيمة.

فعلى سبيل المثال، لو أنك قد دأبت على تصفح المجلات الكثيرة المختصة بالمكتبات وبأمناء المكتبات على مدى السنوات العشر الماضية أو نحو ذلك، لكنت قد

صادفت فكرة لتحقيق عظيم عن المصطلح الذى يتناوله أمناء المكتبات فيما بينهم وهو «بأجر أو بدون أجر» "fee or free"

فنظراً لأن ميزانيات المكتبات قد ظلت على ما هى عليه تقريبا أو حتى قد خفضت فى وقت تحلق فيه أسعار المعلومات إلى عنان السماء، فإن كثيرا من المكتبات تفرض الآن رسوماً على خدمات اعتدت أنت الحصول عليها بلا مقابل. وقد أثار ذلك جدلا كبيرا بين أمناء المكتبات، حيث يرى كثير منهم أن المكتبات يجب أن تكون الملاذ الأخير الذى يستطيع أن يحصل منه الفقراء بلا مقابل على نفس القدر من المعلومات التى يستطيع الأغنياء شراؤها.

إن قراءك أو مشاهديك سوف يجدون متعة كبيرة فى أن يصبحوا طرفا فى هذا الجدل من خلال حلقات تحقيق صحفى يتعاطف معهم.

وحتى إن لم تتمكن من الخروج بأى فكرة جيدة فى التو واللحظة، فانك ستصبح فجأة شخصا يرغب الناس فى صحبته - وهذه ليست بالنعمة القليلة.

- أحيانا يكون أفضل قرار هو الاعتراف بأن فكرة التحقيق ليست جيدة والتوقف فوراً عن العمل فيها.

فبين الحين والآخر يجيئنى المحرر أو رئيس التحرير بفكرة وبانتهاء حديثنا حولها نتفق على أنها لاتستحق أن نكرس لها أسابيع أو شهور من حياتنا.

إننى أسعى دائما إلى الحصول من المحررين على إجابة عن سؤالين :

1) هل كانو سيقرأون التحقيق حتى لو لم يضعوا له العناوين الفرعية؟ 2) وإذا سار كل شئ على مايرام بالنسبة لهم. فما هى أقوى مقدمة سيضعونها للموضوع؟

إن هذين السؤالين من أفضل الأساليب لتركيز الضوء على الأشياء وغالبا ما تؤدى الاجابة على هذين السؤالين إلى الاعتراف بأنه «لايصلح»[4].

الشروع فى العمل

من الأفكار التى تتردد دائما فى هذا الكتاب هو أن هناك عقبات تعرقل كتابة تحقيقات صحفية جيدة من داخل المبنى الذى تعمل فيه أكثر مما يواجهها من عقبات فى الخارج ففى الخارج، أنت لست بحاجة إلا للصراع مع مصادر تنزع إلى الكتمان، أو مع تهديدات برفع دعاوى قضائية أو بالموت بتمزيق أوصالك، أو مع حجب المعلومات بصورة مشروعة أو غير مشروعة أو مع جهلك المزرى فى البداية بالموضوع الذى اخترته.

أما فى الداخل، فإن بداية العقبات - وهى الحصول على الموافقة بإنجاز التحقيق - قد تكون أقوى من قدرة المحررين على التغلب عليها أو تخطيها، لاسيما إذا كانوا أحد المحظوظين القلائل الموكل إليهم القيام بكتابة التحقيقات.

وإليك وسيلة تجعل الأمر ينجح فى معظم الاحوال. ويطلق عليها اسم نظرية اللحم الأحمر Red Meat Theory وقد تعلمتها من بوب جرين فى صحيفة نيوزداى، ذلك الصحفى الذى درس حرفته أكثر من أى ممارس آخر فى العصر الحديث والذى ندين له جميعا بالكثير.

وسوف تجد شرحا لتفاصيل هذا الأسلوب فى العمود الجانبى 6-1.

وإليك خطوطه العريضة.

لا تتكلم مطلقا وأبداً مع رئيس التحرير المشرف عليك فى عموميات تحقيق صحفى محتمل. ذلك أنك عندما تتحدث مع رئيس تحرير عن إمكانية قيامك بجولة تتشمم فيها أخبارا عمدا لنَقُل، مشروع ما يقوم به مجلس المدينة، فإن الافكار الوحيدة التى ستخطر على ذهن رئيس التحرير هى، «لو أننى سمحت لك بالتجول لتشمم شئ يصلح لتحقيق، فمن الذى سيقوم بتغطية أنباء الاجتماعات؟ وما هو المبلغ الذى سأضعه فى الميزانية اليومية أثناء تغيبك فى عمل التحقيق؟ ماذا سأقول لهذا الحشد من المحررين الذين سيرغبون فى القيام بتحقيق مثلك تماما؟» .

ومع ذلك، فإن جميع رؤساء التحرير يهتمون بالمواضيع الجيدة. ويسيل لعابهم

على موضوع يوفرون له ميزانية متفجرة ثم ينعمون بعد ذلك بالنجاح الذى تأتى به دائما الصحافة الجيدة، على الأقل فى خارج المبنى.

إن هذا معناه أن عليك أن تقضى جزءا كبيرا من وقتك، حسبما يرد تفصيلا فى العمود الجانبى 6-1، للوصول بموضوعك إلى الحد الادنى من الاتقان. بمعنى آخر، أن تركز عينيك على مجموعة من الحقائق، التى ستظل فى دائرة الاهتمام لفترة، والتى تؤدى فى حد ذاتها إلى مقال جيد تماما صالح للنشر فى الصفحة الأولى ومع ذلك يظل عليك أن تقضى أربعة أو خمسة أيام فى استكماله - أى أن تجرى لقاءات صحفية مع الأطراف الرئيسية فى التحقيق فضلا عن إنجاز عملية الكتابة ذاتها - وتقول فى نفسك ياله من موضوع جيد تماما.

ومع ذلك، تقول، لو أنه أتيح لى عدة أسابيع للعمل فى التحقيق، لربما استطعت اكتشاف نمط أكبر من الفساد.

وتقوم بعد ذلك بالتحدث مع رئيس تحريرك عما تتكهن به، أو عن نظريتك التى تستند تماما إلى ما قمت به من عملية استطلاع أولية، وعما قاله البعض بأن فرصتك ضئيلة فى التحقق مما نمى إلى علمك، وعما توصل إليه محررون آخرون يعملون فى أماكن أخرى فى أنواع شبيهة من المواضيع (هل تذكر ماقلناه عن ذلك الاتصال بـIRE؟) وما إلى ذلك.

الآن أصبحنا نعمل فى أشياء محددة بعينها ورئيس التحرير يعلم أن فى الأمر ميزانية كبيرة. وهنا سيعمل رئيس التحرير بكل سرور، بل وحتى بشغف، على أن يدبر لك الوقت - لأنه رغم كل شئ، فأنت لديك الحد الأدنى، «قطعة اللحم الحمراء».

أقدم لك فيما يلى ثمانية أفكار إضافية قد تنجح معك وتستحق المناقشة وجها لوجه بين المحرر وبين رئيس التحرير المشرف عليه.

- عليك منذ البداية بوضع حدودك وأهدافك.

فهذا يساعدك على معرفة ما إذا كنت على الطريق ومتى تكون قد وصلت إلى

النهاية. حدد هذه الأهداف، وراجع ما أحرزته من تقدم إزاءها، نقحها، واسع وراءها أو اقفلها تماما.

واليك بعض الامثلة على الحدود. هل الفساد الذى تقوم بالتحقيق فيه غير مشروع وينطوى على عقوبة حقيقية بالسجن لمرتكبه، أم أنه لاينطوى إلا على مخالفات للتعليمات، أو أنه يخالف ميثاق الشرف أم أنه مجرد خروج على اللياقة والعدل المتعارف عليهما؟ إن كيفية استغلالك للوقت سيكون له تأثير كبير، ناهيك عن كيفية كتابة المقال، فعلى سبيل المثال، هل الأمر مجرد تضارب فى المصالح حسبما يحدده القانون أم حسبما يحدده المنطق؟

وهل سيكفى تقديم قضية ظرفية، أم أنك ستكون بحاجة إلى أن تجعلها شديدة الدقة قانونا كأى مدع عام فى قاعة المحكمة؟

إن هذا النوع من الاعتبارات يجب تحديدها والافصاح عنها منذ البداية وطوال مدة التحقيق.

- يجب على المحرر ورئيس التحرير المشرف أن يكونا شركاء، كما لم يحدث من قبل بينهما.

ويعنى هذا، بالنسبة لرئيس التحرير، الاجتماع مع المحرر يوميا وقراءة كل مايرد على الفور، أو بعد وروده بقليل ويعنى أن على رئيس التحرير ألا يدخر وسعا فى المساعدة على التعرف على المشكلات التى يواجهها المحرر وحلها، سواء كانت من داخل المبنى أم من الخارج. أما اذا كان رئيس التحرير غير قادر على توفير الوقت أو المساعدة، فيجب عليه رفض القيام بهذه المهمة. فالتحقيقات الصحفية عمل فريق ولا يوجد عمل صحفى آخر يمثل هذا النوع من التعاون، وأكثر استفادة منه. أما بالنسبة للمحرر، فإن ذلك يعنى إطلاع رئيس التحرير على كل شئ على الفور، حتى يستطيع المحرر تحقيق مكاسب من هذه الزمالة. كما يعنى تدوين كل شئ فى نظام الكمبيوتر بكل دقة حتى يتسنى لزميلك (وأيضا المحررين الآخرين معك فى فريق العمل)

الاستفادة من عملك، وحتى يستطيع رئيس تحريرك مساعدتك فى وضع الأشياء فى طريقها الصحيح. كما أن ذلك يضمن لك أيضا ألا تنسى، أو تغفل شيئا.

- ما أن يأخذ الموضوع وضع التحقيق الصحفى، فلا ينبغى للمحرر أن يعمل فى أى شئ آخر.

فمن المشقة بمكان الاحتفاظ بالتركيز عندما تنتقل جيئة وذهابا بين مواضيع مختلفة أو أن تعمل تحت إشراف أكثر من واحد من رؤساء التحرير. كما أن ذلك سيؤثر كثيرا على ماتقوم به من حيث الكفاءة. والوقت هو أكبر عدو للتحقيقات وكلما أسرعت فى إنجازه (وكلما عاد الجميع إلى مهامهم العادية على وجه السرعة) كلما زاد حب الجميع للتحقيق.

ولم أصادف فى حياتى محررا أحب العمل فى تحقيق صحفى فى وقت فراغه كما لم أقرأ أبدا تحقيقا أنجز فى جزء من وقت العمل إلا وكان لايزيد عن كونه كذلك - تحقيقا فى جزء من وقت العمل.

أما وقد قدمت لك تلك النصائح - فإننى أقول إن كل المحررين الذين يطلب التوقف مؤقتا عن عملهم الروتينى فى جلب أخبار السبق الصحفى من أجل المشاركة فى إنجاز تحقيق صحفى، لن يتوانوا عن بذل جهد إضافى ليوم أو يومين إرضاء لرئيس التحرير الذى ابتعدوا عن العمل لديه مؤقتا. فأحيانا يكون من المنطقى انتزاع الشخص الذى يعرف أكثر من غيره عن موضوع أو عن مصدر من العمل فى مشروع لتقديم يد المساعدة فى موضوع عاجل.

لقد كنت أرد دائما «بنعم» لرؤساء التحرير الآخرين عندما يطلبون استعادة محرريهم لمدة يوم أو يومين، ما لم نكن نسابق الزمن للنشر فى الوقت المحدد. إن هذا التعاون كان دائما يحظى بتقدير رؤساء التحرير ممن غزوناهم لسرقة محرريهم، ولكنهم لايذكرونه على الاطلاق عندما أعود لسرقة بعض المحررين لتحقيقات أخرى[5].

■ إن قانون علم الطبيعة [6] يؤكد أن فريق العمل المكون من اثنين أفضل من فريق الفرد الواحد أو الأفراد المتعددين.

فكثير من التحقيقات الصحفية تكون من المشقة بحيث يكون من الصعب على فرد واحد إنجازها بمفرده. اذا كان هذا التحقيق سيستغرق وقتا طويلا أو إذا كانت به أى درجة من الصعوبة.

ولكن الشخصين يمكن أن يتبادلا الأشياء، وأن يكون كل منهما سندا للآخر، وأن يغطى أحدهما على نقاط ضعف الآخر، وأن يكون كل منهما أداة التوجيه والتعليم للآخر.

بعض الاشياء سيؤدياها معاً، مثل اللقاءات الصحفية المهمة المبكرة، ولكن الكثير من الأشياء سيقوم كل منهما بها بمفرده، بما فى ذلك التعامل مع الأجزاء المعقدة المختلفة فى التحقيقات، الأمر الذى يؤدى إلى توفير حقيقى للوقت.

أما فى فريق مكون من ثلاثة أو أكثر من الأشخاص، فإن الانسجام بينهم يكون صعبا ويجب الابتعاد عن مثل هذه الفرق الكبيرة إن لم تكن هناك حاجة فعلية لذلك.

■ إنها لفكرة طيبة أن تبحث إمكانية أن يكون التحقيق الصحفى مكون من فرعين – التحقيق الاساسى الكامل، ومقالات يمكن نشرها فى وقت مبكر، وأن تنشر باعتبارها موضوعات قائمة بذاتها، اذا ما دعت الحاجة.

إن الاحداث قد تفرض علينا الحاجة لذلك، مثل اكتشاف أن وسائل إعلام أخرى تعمل فى هذا الموضوع، أو أن هناك أنشطة جديدة للوكالات الحكومية أو تحرك قادم للأشخاص الذين تكتب عنهم.

وبالطبع أنت لاتستطيع مطلقا، أن تنشر أية مواضيع قبل أن تكون شديدة التماسك وجاهزة، وأحيانا يكون من غير المناسب أن تنشر جزءا، أيا كانت أهميته.

ولكنك لا تستطيع عادة نشر جزء من الموضوع ما لم تكن قد أعددت له مبكراً. ولذلك، يجب عليك بين الحين والآخر محاولة التعرف على الاجزاء التى تستطيع نشرها

وعلى كل ما يحتاجه ذلك بدءاً من هذه اللحظة لانجاز ذلك، بعد ذلك حاول إنجاز هذه الأجزاء قبل الانتقال إلى أجزاء أخرى.

أما إذا تبين لك تعذر نشرها مبكراً، فيكفيك أنك استفدت من الانتهاء من بعض أجزاء الموضوع مبكراً.

- من أعظم أدوات التنظيم والادارة للمحررين ورؤساء التحرير على السواء هو الجدول "T".

تكتب فى جانب منه الاشياء التى تعرفها [7] والتى تكون قليلة نسبيا فى البداية. وتكتب فى الجانب الآخر الأشياء الدقيقة التى لاتعرفها ولكنك ستكون بحاجة إلى معرفتها.

هذا الجدول قد يبدو على النحو التالى :

نحن نعرف	نحن لا نعرف
اتش. كيفوركيان يعمل هناك	الحصول على نسخة من العقد
عنوان كيفوركيان	تعقب الأوراق الخاصة بكل الأراضى
شاهد ثانوى يقول أنه فعلها	مصادر من الدرجة الأولى - مثل شاهد عيان
	الدافع
	الفرصة
	هل هناك دوافع للآخرين؟
	هل هناك فرص للآخرين؟
	سجلات المحكمة
	خلفيات عن كيفوركيان
	الزمن اللازم للمحررين

لابد من انتقال كل البنود الموجودة على اليسار إلى اليمين، فيما عدا البند الأخير. ذلك إنه بعد مرور فترة مناسبة من الوقت لم يتمكن أحدهم من تحديد الزمن اللازم له، فما هى المشكلة؟ ثم ما هى أهمية هذا البند، فى ضوء المعلومات التى تم الحصول عليها؟

لاحظت أن المحررين عندما يضعون لأنفسهم الجداول "T"، أو قوائم بما عليهم أن يقوموا به، فانهم لايضعون لها تواريخ. أما رؤساء التحرير فيجب عليهم أن يضعوا لها تواريخ. وبهذه الطريقة سيكون هناك من يذكرك بالعدد الهائل من الأيام التى مرت منذ الموافقة على التحقيق، وبهذه الطريقة الذكية تستطيع تحديد مواقع التأخير الاساسية والتغلب على هذه المشكلة [8].

- يجب أن يكون لديك جدولا زمنيا كاملا على الأقل للأحداث.

إن هذا الجدول الزمنى يعتبر من أكثر الأدوات فائدة، بعد الأدوار المحددة التى تلعبها قواعد البيانات التى تخرج لك بعلاقات بناء على ما أدخل فيها من بيانات، وذلك من أجل التوصل إلى أنماط أو علامات لم تكن لتظهر بدونها.

أنشئ عنوانا فى نظام الكمبيوتر يتم فيه إدخال أى جملة مقترنة بتاريخ لوضعها فى ترتيبها الزمنى الصحيح. ويمكن لك اختصار هذا الباب فى وقت لاحق إلى نسخة واحدة تضم أهم البنود، إذ أنك فى البداية لا تعرف ما هى البنود التى ستكون مهمة فيما بعد، ومن ثم ضع فى البداية تحت هذا العنوان كل ماتستطيع الحصول عليه.

- هناك بعد ذلك تلك المذكرة التى يجب أن تكتبها بين الحين والآخر.

يجب على المحررين أن يتوقفوا، كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، لكتابة مذكرة حول ما توصلوا إليه حتى ذلك الوقت.

وتكون الفائدة أكبر إذا ماكتبت المذكرة على صورة موضوع وذلك للأسباب التالية:

1- إن كتابة المذكرة كنوع من كتابة مسودة تكون بمثابة تمرين لك على الخط الذى ستنتهجه فى كتابة التحقيق - هل الموضوع جيد للقراءة؟ وهل هذه هى أفضل طريقة لكتابته. كما أن ذلك يتيح لك عرضه على رؤسائك أو أى شخص آخر تثق فيه لتحصل على رد فعل مبكر للتحقيق كموضوع. وبهذه الطريقة تستطيع القفز إلى التعرف على ردود الفعل فى مرحلة مبكرة، قبل أن تبذل جهداً فكريا وبدنيا فى كتابة مسودة محكمة وكاملة تجعل إجراء أى تغييرات كما لو كانت عملية خلع الضرس.

2- إن المحررين يعرفون غالبا أكثر مما يظنون ولذلك فان تدوين ما يعرفونه يمكن أن يقنعهم بأنهم أنجزوا جزءاً من التحقيق. أو أنهم لايحتاجون إلا إلى بضع تفاصيل إضافية. والمفارقة، هى أنه ليس هناك مايضاهى كتابة الكلمات على الورق للتعرف بما لايدع مجالا للشك ما هو الشئ الذى لاتعرفه أثناء عملية الكتابة، كأن يكون لديك رد ليس هو الاجابة على تساؤلك. إن وجهى العملة لهذه العملية مفيد إلى حد بعيد، ولا سيما إذا كانت لديك هذه العملة فى وقت مبكر.

3- فى كل التحقيقات، تضيع ساعات، بل أيام، فى الجدل بين المحررين أو بين المحررين ورؤساء التحرير حول طريقة كتابة التحقيق. اجعل هذه المناقشات الأولية مقتضبة جدا ودع المحررين يكتبونها كيفما يريدون. وحينئذ يكون لدى الجميع شئ يتجادلون حوله، بدلا من الجدل حول مجرد فكرة فى رأس أحدهم. وحتى إذا لم ينجح هذا الأسلوب، فهناك ممن تعرض عليهم ماكتبته سيسعدهم أن يبدون لك وجهة نظرهم. صدقنى.

وبطبيعة الحال، لن يكون لأى من هذه المسودات التى كتبتها طوال فترة حياة التحقيق أى قيمة بعد أن تتم مناقشتها ويجب جمع كافة النسخ والتخلص منها، لأن النسخ الإلكترونية فيها ستبطل مفعولها.

كتابة التقارير الصحفية

تحتوى الفصول والأعمدة الجانبية السابقة على الكثير من النصائح حول كتابة التقارير ولن نقوم بتكرارها أو تلخيصها هنا. هذا بالاضافة إلى أن هذا الكتاب عنى به أن يكون مكملا للكتيب الذى تصدرته IRE بعنوان "The Reporter's Handbook"، والذى طرح فكرته واشترك فى وصفه وتحريره أعظم محررى التحقيقات الصحفية فى أمريكا. وقد أضيفت إلى هذا الكتيب الكثير من النصائح حول كيفية كتابة تحقيقات عن مواضيع عديدة [9].

غير أن هناك اقتراح أخير يستحق التركيز عليه هنا.

إنك لاتقع عادة على الموضوع الكبير حقيقة بالصدفة. فلا تتكل على الحظ. فكر جيدا وارم شباكك على أوسع مساحة منذ البداية. ثم إنك تستطيع تضبيق هذه المساحة فيما بعد. فانك إن لم تسع إلى أفضل موضوع ممكن، فى البداية على الأقل، فإنك على الأرجح لن تنجح فى الحصول عليه.

إن هبة اكتشاف الأشياء مصادفة تناسب عمليات اليانصيب وكلنا نعلم العقبات الهائلة دون فوز أي منا به.

هوامش

1- نقلا عن مصادر غير محددة (وهى غير محددة لأننى لا أتذكر أين سمعتها). إن جملة «كن واثقا بأن» اختراع وبضاعة تلك القائمة الطويلة من المخدوعين التى تنشرها صحيفة وول ستريت جورنال بصفة منتظمة. وقد كشف لى التحليل العلمى والدقيق الذى قمت به على مدى سنوات من سماع هذه الجملة السبب فى استخدامها الآن فى طول البلاد وعرضها. فهى تعنى أن العدالة، والخوف من التعرض لرفع دعاوى قذف وتشهير يؤديان بنا إلى الاعتراف بأن نظريتنا الموثوق بها يمكن أن تطيح بها بعض الحقائق المعروفة جيدا والتى تبدو من السطح أنها تدحض وجهة نظرنا. ومن ثم، فإننا نسخر من هذه الحقائق فى بداية موضوعنا وفى الوقت نفسه نعطى إشارة للقارئ بأننا لسنا

من الغباء بحيث نجهل مثل هذه الاشياء. إن هذا الاسلوب لاقيمة له على الاطلاق بالنسبة لمشروع تحقيق صحفى، ولكن له استخدامات كبرى فى مشروعات السياسات العامة، كما تعثر على مصطلحات Wall Street Journal thumbsuckers and their clones منتشرة فى وسائل الإعلام الأخرى وفى فصول الكتب الخاصة بالصحافة.

2- هناك أسطورة، ربما تكون أكبر أسطورة فى مجال الصحافة، وهى أن جميع المحررين يريدون الاشتراك فى كتابة تحقيقات صحفية. والواقع أن معظمهم لايريدون وكل ما يريدونه هو أن يطلب إليهم ذلك، ثم بعدها يقولون، لا، شكرا. وأسباب ذلك كثيرة ومعظمها جيدة وكافية. غير أنه ليس هناك أكثر من سببين منهما يعتبران نتائج طبيعية. وهناك نهم كبير بين محررى الأخبار اليومية لتعلم كيف يؤدون عملهم على نحو أفضل، وتعلم الأساليب، التى كان كتاب التحقيقات الصحفية، هم روادها إلى حد بعيد. وليس هناك من محرر يرضى أن يتجاهله الآخرون أثناء التفكير فيمن سيوكل إليهم القيام بتحقيق ما.

3- إن الصحفيين أنفسهم يكونون مصدر معلومات هائل لزملائهم الصحفيين. فهم يحبون أن يؤكدوا لزملائهم كم هم متألقين. وفى الحقيقة فبمجرد أن تسأل أحدهم سؤالا فإنك تستطيع أن تترك الهاتف يسجل لك المكالمة وتذهب أنت لعمل أهم. تذكر أن تعود للهاتف كل نصف ساعة وتقول : آه .. آه. وإذا كان لديك وقت آخر اسأل الصحفى ماذا عنده من أعمال.

4- هذا الاسلوب ليس معصوما من الفشل ولا يجب أن يكون معصوما. انظر : ولاية مينيسوتا من الولايات مرتفعة الضرائب. وبناء على الطريقة التى ستحسبها بها، ستكون هى ضمن أعلى ثلاث أو أربع ولايات فى الضرائب.

وقد أثار اهتمام مدير التحرير التنفيذى الذى أعمل معه معرفة أين تذهب كل هذه الأموال. وقد قام بنقل هذا السؤال إلى مدير التحرير الإدارى الذى نقله إلى رئيسى، وهو نائب مدير التحرير الإدارى. ولك أن تخمن إلى من نقله هو الآخر.

ولقد توجهت مباشرة إلى مدير التحرير التنفيذى وقلت له : ما المانع فى أن نجلس معا لمناقشة هذا الموضوع وبعدها نتصل بشخصين فقط فى هذه الولاية ممن يعنيهم بالفعل قراءة هذا التحقيق،

وألا نفعل شيئا سوى أن نقول لهم ما لدينا من معلومات ونوفر على أنفسنا الوقت والجهد، ناهيك عن إهدار الاموال، الذى يحتاجه إنجاز هذا التحقيق. ولما كان هناك أحد هذين الشخصين موجودا بالفعل فى هذه الحجرة، فليس من الصعوبة بمكان العثور على الشخص الآخر.

ثم شرحت له أنه ليس من الصعوبة فى شئ اكتشاف أن الولاية تبعثر أموالنا على أشياء لأن لديهم الكثير منها مما جمعوه منا. و نتذكر ذلك فى كل مرة نحصل فيها على أجورنا المقتطع منها جزءاً كبيراً.

وأضفت قائلا: إنك ما لم تظن أن الناس يسرقون بالفعل هذه الأموال - ومن ذا الذى يعرف كم يستغرق مشروع التحقيق من الوقت. فإننى أشك كثيرا فى أننا «نكتشف» أى شئ أو يكون لدينا أى موضوعات محكمة.

ظل مبتسما طوال حديثى هذا، بل أذكر أنه ضحك عاليا فى إحدى المرات، ثم سألنى عن المبلغ الذى يكفيننى لانجاز هذا التحقيق.

وهكذا قمنا به، بطبيعة الحال. وثبت فى نهاية الأمر أنه موضوع مثير للاهتمام إلى حد كبير وكشفنا فيه بعض الأسرار بالفعل.

وقد اتفقنا أنا والمحررين الآخرين على أنه ليس لدينا سوى طريقتين لسرد الموضوع- براعة الكتابة والألوان. ولذلك فلم يكن أى موضوع يزيد على 25 بوصة مصحوبا برسوم جرافيكية زاهية الألوان.

بل إننى تلقيت عدداً كبيرا من طلبات الحصول على نسخ من هذا التحقيق من محررين فى جميع أنحاء البلاد.

وكان على أن أتذكر أن أبلغ مدير التحرير التنفيذى، الذى أصبح ناشراً الآن، أنها على أية حال لم تكن فكرة سيئة !

أحد هذه الايام.

5- للاسف إن الحياة التى يعيشها محرر التحقيق، هى حياة الوحدة.

6- تستطيع الرجوع إليها. فقد كتب ايزاك أسيموف نفسه كتابين على الأقل فى هذا الموضوع.

7- لا تنسى أن الشائعة أو الاخبارية التى ستبدأ بها العمل فى التحقيق عادة لاتكون شيئا أنت «تعرفه»، بل إنها شيئا تريد إثبات صحته.

8- صدقنى، إن كل رؤساءك يعلمون عدد الأيام التى انقضت وهذا الاسلوب يسمح لك بأن تبلغهم بالعقبات قبل أن يقرروا أنك تعلم تماما ما هى العقبات مثلما تعرف هجاء اسمك.

9- "The Reporter's Handbook: An Investigator's Guide to Documents and Records"، الطبعة الثانية، بقلم جون اولمان وجان كولبيرت، (New York: St Martin's Press, 1991). لطلب النسخة، اطلب رقم التليفون 2042-882 (314). والكتاب متوفر إما بغلاف مقوى وإما فى كتاب ورقى الغلاف. والهدف من هذا الكتاب أن يكون تكملة للطبعة الأولى، ويوجد عدد محدود منه فى نقابة IRE.

نظرية اللحم الاحمر فى التطبيق

بقلم جون أولمان

لنأخذ مثالا على كيفية أن نجعل نظرية اللحم الأحمر تنجح معك.

أنت تعمل فى هذا الموقف الافتراضى، مراسل فى المجلس التشريعى للولاية وجاءته إخبارية بأن أحد كبار المقاولين فى المدينة له علاقة مشبوهة مع وكيل المشتريات بمجلس المدينة.

سوف نطلق على وكيل المشتريات اسم أولمان وعلى المقاول اسم كيفوركيان.

وأنت تعلم أنه سيتعذر عليك الحصول على تصريح لأخذ أجازة من عملك اليومى لتتحقق من صدق هذه الاخبارية، ومن ثم فإنك تدخل على قواعد بيانات لرسم علاقات تمهيدية - أى أن تفتح مظروف من ورق مانيلا - وتضع فيه نسخة مطبوعة من الاخبارية. والآن، وعلى مدى الاسابيع القليلة التالية، سوف تقوم بجمع بعض المعلومات المحددة لترى ما إذا كانت ستقودنا إلى شئ ما.

وإليك الطريقة.

فى المرة التالية التى تذهب فيها إلى مجلس المدينة للقيام ببعض المهام الصحفية الأخرى، توقف عند الادارة المالية واطلب قائمة أكبر10 عقود فى كل سنة من السنوات العشر الماضية. وبذلك لن يبلغ عنك بأنك تبحث عن شركة مقاولات كيفوركيان (KC) Kevorkian Contractors، وسوف نرى ما إذا كان أى شئ سيحدث فجأة.

وبعدها ببضعة أيام، تتوقف هناك مرة أخرى لتتسلم القائمة، أو ربما يرسلونها إليك بالبريد.

تبين القائمة أن KC حصلت على 10 عقود خلال هذه الفترة يبلغ إجمالى قيمتها 10 مليون دولار. هل هذا مبلغ كبير؟ وهل يعنى ذلك شيئا ما؟ لاسبيل إلى معرفة ذلك.

ومن ثم فانك تعاود زيارة مجلس المدينة. وتطلب عطاءات العقود العشرة التى حصلت عليها شركة KC، وعطاءات عشرة عقود أخرى، ذراً للرماد فى العيون. وبعد بضعة أيام تحصل على هذه المعلومات التى يتبين منها ما يلى: أن شركة KC كانت أعلى مزايد فى ثلاثة عطاءات، وأقل مزايد فى ثلاثة عطاءات، وفى المنتصف فى أربعة عطاءات.

ماذا تستخلص من ذلك؟ لاشئ، لأنه لا يوجد نمط محدد للقياس عليه.

تقوم بزيارة لواحد من مئات مساعدى المدعى العام فى الولاية الذى عادة مايكون غير مشغول بأى عمل فى أى وقت من الأوقات وتسأله إن كان المجلس البلدى مجبر على أن يقبل أقل عطاء. الاجابة بلا.

وفى المرة التالية التى تزور فيها مجلس المدينة، تبحث فى السجل التاريخى لممتلكات أولمان، وتكون المفاجأة، أنه اشترى منزله من شركة كيفوركيان للانشاءات. وليس فى ذلك مخالفة قانونية، وربما ليس هناك أى شئ فى هذا، ولكنك تجده أمراً مثيرا بالتأكيد.

والآن تقوم أنت بزيارة إلى IRE لترى ما إذا كان لديهم أى مشروعات لتحقيقات صحيفة عن العقود والمناقصات، ثم تتوجه بعد ذلك إلى مكتب الأعمال لتسأل أحد زملائك ممن تستطيع الحديث معه عن أعمال الانشاءات العامة التى لاغبار عليها. أو أنك ربما تقوم بقراءة الفصل الخاص بمجالس المدن فى كتيب "The Reporter's Hand-book".

إنك سوف تتعرف، بأى صورة من الصور، على مايسمى «بأوامر التغيير».

بعد توقيع العقد يتم إصدار أمر تغيير. دعنا نقول مثلا أن شركة KC حصلت على عقد بتمهيد ميل من الطرق فى المدينة قيمته 9.2 مليون دولار. وتبدأ شركة KC

العمل فتجد أن هناك صعوبات غير متوقعة فى نوع التربة. أو وجود مياه جارية تحت السطح، أو وجود موقع لدفن الهنود. أو واحد من عشرات الأسباب المشروعة الأخرى التى تفسر احتياج العملية لأموال إضافية.

تتوجه شركة KC مرة أخرى إلى مجلس المدينة لتقديم طلب للحصول على أمر تغيير، وإذا تمت الموافقة عليه، تحصل على مزيد من الأموال.

خمن معى من هو الذى يوافق على أمر التغيير؟ أولمان. بلا جلسات استماع عامة، ولا إشعار عام، ولا أى شئ. أولمان فحسب. أو على الأقل، مكتب أولمان. ولا تنسى، أنك لم تر الورقة بعد.

تعود مرة أخرى إلى مجلس المدينة وتطلب قائمة باجمالى المبالغ التى دفعت لكل واحد من كبار المقاولين العشرة فى السنوات العشر الماضية.

بعد حصولك عليها، اجر بعض العمليات الحسابية البسيطة التى ستبين لك أن أوامر التغيير التى حصلت عليها شركة KC وصلت قيمتها إلى 43 فى المائة من العقد الاصلى. أما متوسط قيمة أوامر التغيير فى 90 فى المائة من عمليات الانشاءات الأخرى فقد كانت 13 فى المائة. إنك لم تر بعينى رأسك الوثائق الأصلية، ومع ذلك فإنك تراهن على أن توقيع أولمان كان موجوداً على كل أمر تغيير لشركة KC.

بعد ذلك تجرى اتصالا بوكالة الولاية التى تصرف قيمة عقود الانشاءات وتطلب منها متوسط (أو معدل) النسبة المئوية التى دفعوها فى أوامر التغيير فى كل سنة من السنوات العشر الماضية. إنها تبلغ نحو 15 فى المائة. ثم تقوم بالاستعانة بدائرة المعارف "Encyclopedia of Associations"، فى الاتصال بالمنظمات القومية المختلفة لتشير عليك بأن أوامر التغيير للمشروعات العامة تتراوح بين 10 إلى 20 فى المائة.

هل تذكر متوسط شركة كيفوركيان كونستراكشن؟ إنه يصل إلى مابين ضعفين إلى أربعة أضعاف هذا الرقم.

والآن أصبح لديك بعض «اللحم الأحمر» الذى تتشبث به فى مواجهة رئيس تحريرك، فتقول له : إنه قد وصلتك إخبارية تقول إن وكيل المشتريات فى مجلس المدينة يقيم علاقة مشبوهة مع إحدى كبريات شركات المقاولات. ولذلك فقد قمت ببعض التحريات وهذا هو ما توصلت إليه : إن أولمان اشترى منزله من شركة KC خلال السنوات العشر الماضية، بمعدل يفوق إلى حد بعيد معدلات أوامر التغيير على المستوى القومى أو مستوى الولاية.

تقول لرئيس تحريرك إنك ستحتاج إلى إجازة بقية أيام الأسبوع للانتهاء من هذا الموضوع. أى إجراء لقاءات صحفية مع شركة KC ومع أولمان ومع مقاولين آخرين، ومع مهندس مجلس المدينة لمعرفة ما إذا كان هناك أى سبب ممكن يجعل شركة KC سيئة الحظ إلى هذا الحد فى كل مواقع عملياتها الانشائية، ومع مسئولين آخرين فى وظائف عامة، ومراجعة صفقة هذا المنزل وما إلى ذلك - ثم إنك تقول له إنه اذا سمح لك بمزيد من الوقت، فمن المحتمل أن تضع يدك على نمط أكبر من العلاقات المشبوهة.

ثم إنك تستطيع أداء كل عمليات تعقب وثائق أولمان و KC بحثا عن وجود علاقات. وتستطيع أيضا الاتصال بمقاولين آخرين ممن قد يستطيعون الكشف عن علاقات أخرى. إن الموضوع قد يكون أكبر كثيرا. ولكنك على أى صورة من الصور سوف تنجح فى الحصول على موضوع.

إن كل مارويته لك آنفا من وحى الخيال، ولكنه يبين تماما كيف أنك باستثمار جزء بسيط من وقتك تستطيع أن تقنع رئيس تحريرك أن يمنحك المزيد من الوقت للقيام بالتحقيق الصحفى. ما هو الوقت الذى استثمرته؟ إن كل ما أشرت إليه آنفا قد استغرق عدة أسابيع.

وهكذا تكون قد طبقت بنجاح نظرية اللحم الأحمر لبوب جرين.

التعامــل مــع البيانــات

بقلم جو ريجرت، ستار تريبيون

كانت تفاصيل الموت مرعبة. فقد عثر على سيدة مسنة من نزلاء أحد دور المسنين في مينيسوتا معلقة فى وضع مقوس على جانب من سريرها. لقد حدث كل شئ سريعا. فعندما سقطت من فوق السرير، التفت السترة الواقية لها حول صدرها، وأدت إلى وفاتها باسفكسيا الخنق. ولم يكن هناك من يسعفها أو ينقذها.

تم العثور على تقرير بوفاتها فى ملفات وزارة الصحة فى مينيسوتا. وكان تقريرا طبيا بحتا، ينقصه حتى اسم الضحية أو أى شئ عن حياتها أو عمرها.

لقد لقى كثير من نزلاء بيوت المسنين حتفهم على هذا النحو. وكانت مهمتنا أنا والمحررة الصحفية ماورا ليرنر التعرف على هوياتهم. ولكن كيف؟ كانت الاجابة على هذا السؤال موجودة فى شهادات الوفاة. وحتى يتسنى لنا العثور عليها فى نفس الوكالة التابعة للولاية، استخدمنا تاريخ ومكان الوفاة فى البحث فى ملفات الوفيات، التى كانت مرتبة ترتيبا زمنيا لكل بلد.

ولقد عثرنا عليها جميعا وعلى الكثير غيرها.

لقد كان ما اكتشفناه دراميا - ومأسويا. المئات من الأشخاص من نزلاء بيوت المسنين والمستشفيات يلقون حتفهم شنقا أو اختناقا بسبب أجهزة أو معدات عنى بها أن تحميهم. ولم تفعل الحكومة الفيدرالية ولا جهة تصنيع هذه الأجهزة الشئ الكثير لمنع هذه الوفيات. وكانت تلك واحدة من أحلك أسرار الرعاية الصحية.

أمضينا ثمانية أشهر فى جمع أدلة حول هذه الكارثة، التى ربما كانت أسوأ ما حدث فى تاريخ الأجهزة الطبية الحديثة. وعندما انتهينا من هذه المهمة، كنا قد جمعنا

ملء ثمانية صناديق من الوثائق، وراجعنا خمس مجموعات من البيانات الحكومية المسجلة على أشرطة كمبيوتر، وتحدثنا مع عشرات الأشخاص من العاملين فى الرعاية الصحية، وفى الحكومة وفى هذه الصناعة.

ولو لم يكن لدينا نظام لادارة مالدينا من بيانات، لكنا قد فقدنا المعلومات التى جمعناها قبل انتهائنا من عملنا بوقت طويل. ولكن بمثل هذا النظام، نجحنا فى وضع كتاب فعلى يضم فهرساً للمواد، مما يسر لنا معرفة مالدينا فى صناديق الملفات وعلى بكرات أشرطة التسجيل للكمبيوتر.

ويعتبر التعامل مع البيانات التى تم جمعها سواء عن طريق الكمبيوتر أو بواسطة الوسائل التقليدية القديمة فى كتابة التحقيقات الصحفية، شديد الأهمية بالنسبة لأى مشروع كبير لتحقيق صحفى. فالاعتماد على الذاكرة وحدها لاينجح بدرجة كافية فى اقتفاء آثار الكميات الهائلة من المعلومات التى تم جمعها. ذلك أن الحقائق المهمة والعلاقات بين البيانات غير موجود. والأسماء لاتبقى كثيرا فى الذاكرة. وتظل الفجوات فيما نعرفه كما هى.

بل والأسوأ، إنك لاتستطيع العثور على المعلومات التى تعلم أنك جمعتها بالفعل. ولقد شاهدت مرة أحد المحررين ينفجر باكيا لأنه لم يتمكن من العثور على الوثيقة المحددة التى يمكن أن تلقى باللوم على إحدى الشركات فى إحدى القضايا التى تلحق ضررا كبيرا بالصحة. وهناك ذلك المحرر المخضرم الذى قام ليبحث بصورة عصبية، أثناء الكتابة، عن حقائق موجودة فى الوثائق المبعثرة على مكتبه وعلى أرضية الغرفة. إن كلا المحررين كانا يعانيان من تخمة فى المعلومات ونقص فى التنظيم.

إن مشروع دار المسنين يوفر لنا دراسة حالة حول كيفية تعامل المحررين مع عشرات الآلاف من الحقائق. ويستطيعون فى نفس الوقت الاحتفاظ بسلامة عقولهم.

بدأت مرة فى تحقيق صحفى، وكنت عازماً على أن أجعله موضوعا سريعا وسهلا عن الإفراط فى إعطاء العقاقير لكبار السن فى بيوت المسنين. ولم يكن الامر يحتاج

إلا إلى تحليل لبيانات تم جمعها من دراسات حكومية فى ولاية مينيسوتا ، ثم تم طبعها بيسر على شرائط تسجيل كمبيوتر لتكون جاهزة للاستخدام.

ولكن ظهر فى الطريق موضوع آخر. لقد علم أحد مصادرنا الحكومية بوجود مشكلة أخرى خطيرة، لم تأخذ حقها من الاهتمام مثلما حدث فى موضوع الافراط فى إعطاء العقاقير لكبار السن. قال المصدر إن الكثير من المقيمين فى بيوت المسنين بولاية مينيسوتا ، يلقون حتفهم خنقا بفعل الصدرات أو الاحزمة وغيرها من الاجهزة التى تستخدم فى ربطهم فى أسرتهم وكراسيهم المتحركة لتحول دون سقوطهم من فوقها وتعرضهم للأصابة.

كانت الأدلة المتعلقة بتلك الوفيات موجودة فى التحقيقات التى أجرتها الحكومة حول الشكاوى المقدمة ضد بيوت المسنين. ولقد قمت بفحص ألف تقرير من تلك التقارير فى وزارة الصحة، وأصبحت من الوجوه المألوفة فى هذه الوزارة - المألوفة إلى درجة أن أحد الموظفين هناك ممن علم بالمهمة التى أقوم بها ، دفع إلى خلسة بتقرير سرى يحتوى على اسم أحد هؤلاء المرضى المسنين المقيدين وعلى تفاصيل رهيبة عما كابده من آلام. وقد ساعدنا هذا التقرير فى كتابة موضوع محكم عن هؤلاء الناس وكيف أنهم يجبرون على ارتداء هذه القيود ضد رغبتهم وكيف يعانون منها.

ومع اتساع نطاق التحقيق، كلفت ماورا بالتفرغ للعمل معى كشريك. ثم انضم مونتى هانسون للفريق كباحث وقد حصلنا ، بمساعدة من أمناء مكتبات الأخبار، على كل ماكتب تقريبا عن أجهزة التقييد الوقائية، بما فى ذلك تقارير بحثية نقلت من صحف طبية إلى مقالات فى صحف إخبارية. وحصلنا بالتعاون مع عائلات الضحايا على صور من السجلات السرية للمستشفيات وبيوت المسنين. كما فحصنا فى ملفات لمحامين عملوا فى دعاوى قضائية كبرى، وحصلنا على ملفات تحقيقات الشرطة وتقارير الفحص الطبى.

لم نكتف، فى قضايا ولاية مينيسوتا، بتشخيص الأطباء أو المحقق فى أسباب الوفاة، لقد قمنا بتحرياتنا وكشفنا عن حالات إضافية للموت اختناقا تم تشخيصها على أنها وفيات لأسباب طبيعية.

وفى منتصف الطريق من عملنا فى المشروع، أصبح واضحا لدينا أن تلك لم تكن مجرد مشكلة موجودة فى ولاية واحدة. ومن ثم فقد بدأنا فى جمع أدلة عن حالات وفاة بسبب أدوات تقييد المسنين فى جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا من مختلف المصادر مثل التقارير الحكومية، والدعاوى القضائية والدراسات التى تجرى فى الولايات أو فى بيوت المسنين ومن مقالات منشورة فى الصحف الطبية.

وحتى يكون لنا من يساعدنا فى تقييم الحالات، قمنا بالاستعانة بطبيب استشارى هو دكتور ستيفين اتش. ميلز الخبير فى التعامل مع المسنين. وقد رأيت اسمه مرة كمقرر فى أحد المؤتمرات القومية ووجدت اسمه من بين أطباء مستشفى تقع على مقربة من صحيفتنا.

لقد كان ينطبق عليه تماما الصفات التى نبحث عنها - فقد أبدى اهتماما كبيرا بالموضوع وحماساً للتعاون معنا. ولكننا قمنا فى البداية بما يجب على كتاب التحقيقات الصحفية أن يقوموا به عندما يعتمدون كثيرا على أحد الخبراء. التأكد أولا من صلاحيته لهذه المهمة.

قمنا بالبحث فى مكتبتنا عن خلفياته، وراجعنا تاريخ نشاطه ومطبوعاته، وتحدثنا مع زملائه وبحثنا عن وجود أى قضايا قانونية مرتبطة به أو عن أى قضايا تمس أداءه لواجبه المهنى أو توقيع أى عقوبات تأديبية ضده. ثم استعنا بعد ذلك بثلاثة من الخبراء لمراجعة أعماله. لقد نجح بلا جدال فى كل هذه الاختبارات. (وبالطبع، قلنا لقرائنا إننا عيناه للعمل معنا لمعاونتنا فى المراجعة العلمية للموضوع).

وقد قام دكتور ميلز، خلال عمله معنا بفحص أكثر من 100 تقرير عن حالات الوفاة بسبب أجهزة التقييد، وبانتهائه من العمل معنا كان قد أصبح أبرز مرجع فى البلاد فى هذا المجال.

وفى الوقت نفسه، كنا نستخدم الكمبيوتر فى التعامل مع المواد التى نقوم بجمعها. وأدخلنا، بمساعدة زميلنا لو كيلزر، تفاصيل أكثر من 100 حالة وفاة وإصابة بسبب وسائل التقييد فى قاعدة البيانات التى أنشأناها خصيصا لنا. واستطعنا من خلال هذه البيانات الخروج بأنماط فى هذه الحالات، كأن نتأكد بما اذا كانت وسائل التقييد قد استخدمت بطريقة صحيحة أم لا، أو عن أسباب الوفيات والاصابات، أو انتهاكات للقانون.

والأكثر أهمية، أننا كشفنا عن نتائج كبرى من أربع مجموعات من شرائط الكمبيوتر التى تحتوى على معلومات من دراسات فيدرالية وداخلية فى الولايات عن بيوت المسنين. وقد علمت بوجود هذه الدراسات باستخدام وسيلة قديمة فى كتابة التحقيقات الصحفية ألا وهى : السؤال. لم أفعل سوى توجيه أسئلة إلى الوكالات عن أنواع الدراسات التى قاموا بها وعما إذا كانت بياناتها أدخلت على أجهزة الكمبيوتر لديهم. كما طلبت نسخا من نماذج الدراسات والتعليمات الموجهة للقائمين بالدراسات - وبذلك توصلت إلى ما تحتويه البيانات تماما.

ولقد كانت وافرة.

أحد أشرطة التسجيل كان يحتوى على بيانات عن العقاقير التى كانت تعطى للمرضى لدى إلحاقهم ببيوت المسنين. وشريط آخر يعطى معلومات عن استخدام العقاقير، ومدى اعتماد المريض على الآخرين والمشكلات الصحية لكل مريض.

والشريط الثالث كان يتضمن تفاصيل تكلفة تقديم الخدمات لكل فرد فى هذه البيوت. أما الشريط الرابع فكان يحتوى على النسبة المئوية لاستخدام وسائل التقييد والصفات الصحية للمرضى فى كل بيت من بيوت المسنين.

قام بمساعدتنا فى تحليل البيانات كل من روب ديفيز مساعد مدير التحرير الادارى للبحوث، وجلين ترايجستاد، المبرمج الاستشارى. وتوصلنا جميعا إلى وضع مستويات لاستخدام وسائل التقييد فى كل بيت من بيوت المسنين، والنسبة المئوية

لبيوت المسنين التى يوجد بها معدلات غير طبيعية لاستخدام هذه الوسائل، والصفات الصحية للمرضى الذين يتم تقييدهم، واستخدام «وسائل كيميائية للتقييد»، والعلاقات بين استخدام وسائل التقييد وتكاليف الرعاية فى بيوت المسنين.

وقد عملنا عن قرب منذ البداية مع خبراء الكمبيوتر. ولقد حددت ما هى البيانات المتوفرة على الشرائط، ليس فقط عن طريق الاستبيانات والتعليمات الخاصة بالدراسات، ولكن أيضا من الأشخاص الذين قاموا بها. ثم قمت بعد ذلك، وبناء على خبرتى السابقة وأبحاث أخرى قمت بها، بوضع مجموعة من الاسئلة لمحللى الكمبيوتر: هل تستخدم بيوت المسنين وسائل التقييد لتوفير المبالغ التى تنفق على أجور للعاملين؟ وهل تستخدم العقاقير بدلا من وسائل التقييد؟ هل بيوت المسنين«السيئة» تقيد المرضى أكثر من البيوت «الجيدة». أى أنواع المرضى الذين يتم تقييدهم أكثر من غيرهم؟

وقد تم إدماج تحليلات الكمبيوتر بعناية فى الموضوعات المنشورة فى الصحيفة، ومن ثم كانت جزءا من الصورة العامة. وليست معزولة فى مقال منفصل.

وقد ساعدت نفس طريقة إدماج تحليلات الكمبيوتر فى كتابة التقرير ذاته فريق العمل فى التوصل إلى تقدير لعدد الوفيات من وسائل التقييد على المستوى القومى. وقد بذلنا جهدا شاقا فى جمع أدلة عن 33 حالة وفاة بوسائل التقييد فى مينيسوتا وعن أكثر من 200 حالة على المستوى القومى على مدى 12 عاماً.

كذلك احتاج الأمر إلى تحليل دقيق من جانب الخبراء - بالاضافة إلى مجموعة أخرى من أشرطة الكمبيوتر - لاظهار نسبة إجمالى هذه الحالات فى الولاية إلى التقديرات السنوية على المستوى القومى. وقد وفرت لنا أشرطة الكمبيوتر الاضافية بيانات عن كل حالات الاختناق فى المستشفيات وبيوت المسنين فى الولايات المتحدة. وقد ساعدت المراجعة الدقيقة لهذه البيانات فى دعم التقديرات التى توصل إليها خبير الصحيفة، بدعم من ثلاثة خبراء آخرين من مختلف أنحاء البلاد.

النتيجة النهائية لكل هذا الجهد: استنتاج بأن أكثر من 200 شخص يختنقون كل عام بسبب جهاز طبى - وهو مايعد كارثة أسوأ كثيرا من مشكلة صمام القلب التى أحيطت باهتمام إعلامى كبير.

وكنا طوال هذه المهمة، نتناقش بصورة منتظمة مع رئيس تحريرنا، رون ميدور، حول ما توصلنا إليه وعن خططنا. وكنا، ماورا وأنا، نتقابل صباح كل يوم أثناء تناول قهوة الصباح لنتحدث عن المشكلات، وعما توصلنا إليه فى اليوم السابق وعما سنفعل فى اليوم التالى. وعلاوة على ذلك، كنا نقوم برفع معنويات أحدنا والآخر، إذا ألم بأحدنا بعض الاكتئاب. ثم كنا نقوم بعد ذلك، بكتابة مذكرات ليظل رؤساء التحرير على علم بما نقوم به وعما إذا كنا نحرز تقدما طيبا. (ومجرد لقاء بالصدفة فى صالة التحرير مناسب لمثل هذا الاتصال الضرورى بين المحرر ورئيس التحرير).

غير أن الأهم من ذلك كله، كان ذلك النظام الذى اتبعناه فى تعقب تلك الأكوام من البيانات - مثل الأبحاث وتقارير الوفاة، والنتائج التى توصل إليها الكمبيوتر، واللقاءات الصحفية مع عائلات الضحايا والعاملين فى بيوت المسنين والخبراء.

كان يتم وضع كل وثيقة فى حافظة للملفات عليها عنوان البحث (حافظة ملفات لكل ضحية، وأخرى للموضوع الخاص باستخدام القوة وأخرى لمصادر الخطر). وكانت كل قطعة صغيرة من الورق تأخذ رقما. وكانت كل حقيقة فى أى وثيقة يتم إدخالها فى الكمبيوتر، بحيث تبدأ بالكلمة المفتاح وتنتهى بمصدر الملف. كذلك كان يتم إدخال كل حقيقة أو كل وجهة نظر فى كل لقاء صحفى. وكانت بعض الحقائق تتكرر فهرستها مرتين أو ثلاث مرات.

وعن طريق النظام الأبجدى البسيط فى الكمبيوتر، كانت الكلمات المفاتيح يتم تصنيفها معا، حتى نتمكن من معرفة مالدينا بالضبط فى أى وقت عن أى موضوع.

وقد أصبح لدينا بعدما انتهينا من المشروع ما قد يصل إلى 100 صفحة من

البيانات المطبوعة فى هذا الفهرس. بل إننا احتفظنا بملف بمخلفات أوراق المذكرات حتى لانندم فيما بعد على إلقائها.

إن الاحتفاظ بفهارس لأى تحقيق يكون مفيداً إلى حد بعيد فى الإعداد للقاءات ويوفر الكثير من الوقت فى كتابة الموضوعات. ويجب علينا أن نكتب من الفهارس، وليس من المذكرات أو حافظات الملفات. وفى وقت لاحق نستطيع مراجعة الحقائق فى كل سطر من سطور موضوعنا باستخدام هوامش فى متن النسخة ذاتها للعثور على الوثائق واللقاءات الصحفية التى تساند ما كتبناه.

إن عملية مراجعة الحقائق هذه التى طورها رئيس تحرير التحقيقات الصحفية السابق جون أولمان تضمن لنا تماما عدم وجود أى خطأ على الاطلاق.

كذلك تعتبر الجداول الزمنية جزءا هاما من نظام التعامل مع البيانات. وقد جمعنا أربع قوائم زمنية يوما بيوم للجهة الرئيسية المصنعة لأجهزة التقييد، من حيث بداية عملها، وفشلها، والوفيات التى حدثت وكل الأحداث الأخرى المتصلة بها، وللحكومة الفيدرالية، والسلطات الكندية (التى قامت بجهد كبير تجاه هذه المشكلة يفوق كثيرا ما قامت به الجهات المنظمة فى الولايات المتحدة).

وفى الوقت نفسه، وضعنا قائمة لكل حالة من حالات الوفيات الموثقة التى يتجاوز عددها 200 حالة بحسب التاريخ ومتضمنة كل التفصيلات المتوفرة. وبواسطة هذه القائمة، وباستخدام كلمات بحث فى برنامج جهاز الكمبيوتر لدينا، استطعنا التوصل إلى أنماط للوفيات. كما أننا، بطبيعة الحال احتفظنا بقائمة آخذة فى التضخم لمصادرنا، متضمنة الأسماء وأرقام تليفونات المنزل والعمل.

وقد استطعنا، من خلال قدرتنا على تعقب المعلومات التى لدينا، أن نجعل تحقيقاتنا واضحة الرؤية. واستخدمنا الفهارس التى وضعناها فى الاحتفاظ بقائمة بالمهام التى علينا أداءها، أو بالأسئلة التى تحتاج إلى إجابات عليها، أو بالبيانات الاضافية التى نحتاج إلى الحصول عليها - وذلك مع تحديث هذه الفهارس بصورة

منتظمة. بل فى الواقع أننا كنا أحيانا نشعر أننا بحاجة إلى فهرس لمعرفة مالدينا فى الفهارس والقوائم. ذلك إن إحدى القوائم قد تقودنا إلى قائمة أخرى - أو إلى قائمة فرعية.

ومن المعلومات التى لدينا عن كل حالة من حالات الوفيات بسبب أجهزة التقييد فى مينيسوتا، وضعنا قائمة مرجعية للحالات التى فشلت فيها السلطات المحلية فى تحديد أسباب الوفيات. فعلى سبيل المثال، لم تبلغ بعض بيوت المسنين الطبيب فى الوقت المناسب لكى يقوم برؤية جثة الضحية، بينما تجاهل بعض المحققين فى أسباب الوفاة أدلة قوية على الموت اختناقا. وقد اكتشفنا، عن طريق هذه القائمة، وبمساعدة خبيرتنا، أن كثيراً من حالات الوفيات عزيت بصورة غير سليمة إلى أسباب طبيعية، بينما كانت فى الواقع حالات خنق أو اختناق بسبب أجهزة التقييد.

لم تكن أى من هذه العمليات لحفظ السجلات أو التعامل مع السجلات لتغنى عن الجهد الرئيسى فى كتابة التحقيقات فعلى سبيل المثال، أخبرنى عرضا أحد المحققين فى أسباب الوفيات من نيويورك خلال اتصال هاتفى بأن الوكالات الصحية فى الولايات قامت باحصاء عدد حالات الوفاة اختناقا فى المستشفيات وبيوت المسنين. ولما سألت عن هذه الاحصائيات، وبعد إجراء أكثر من ثلاث مكالمات هاتفية، علمت بوجود دراسة فى الوكالة كشفت فيها عن 11 حالة إضافية للموت اختناقا بفعل أجهزة التقييد. وعلاوة على ذلك، تحدث أحد الباحثين الكنديين مع ماورا عن فئة من البيانات الغامضة لحكومة الولايات المتحدة، تشير إلى وجود أكثر من 40 حالة وفاة إضافية اختناقا على الكراسى المتحركة.

وعندما حان وقت الكتابة، كنا قد قمنا بالفعل بتلخيص ما اكتشفناه فى سلسلة من الطلقات - التى طورناها من الفهارس. وكنا قد حددنا نحن ورئيس تحريرنا أيضا عدد هذه الحلقات وكيفية كتابتها وكان ذلك معناه أننا نستطيع إعادة ترتيب المعلومات فى فهارسنا وفقا لكل مقال، حتى يساعدنا ذلك فى عملية الكتابة.

ولم تكن عملية الكتابة عملية سهلة، وهى لم تكن كذلك أبدا. غير أنها كانت أسهل مرات عديدة مما لو كنا قد وجدنا نتيجة كل ما بذلناه طوال ثمانية شهور من البحث مكدس فوق مكاتبنا أو محشور فى دواليب الملفات، بدون أن يكون لدينا خرائط نسير على هديها عن كيفية الوصول إلى ما نريده. إن نظام الاحتفاظ بالسجلات الذى وضعناه استنفذ من وقتنا الكثير، ولكنه وفر لنا وقتا أكبر فى نهاية الأمر. كما أنه أعطانا إحساساً بأننا لم نغفل أى حقيقة أو لم نستخدمها ، إذا كانت مناسبة للنشر.

(ظل جو ريجرت يعمل سنوات طويلة ككاتب تحقيقات صحفية لصحيفة ستار تريبيون وهو رئيس سابق لنقابة IRE).

الفصل السابع

من مرحلة الكتابة
إلى مرحلة النشر

في هذا الفصل تفـاصيل للأساليب التي تساعـدك في إنجاز تحقيق صحفي ممتاز .

عندما كان العالم شابا ويافعا وكنت أنا فى منتصف العمر، كان الأمر يسيراً على كتاب التحقيقات الصحفية.

فقد كانوا يلتقطون أفكار تحقيقاتهم الصحفية بأنفسهم، ويقررون متى يستطيعون القيام بها وكيف، كل ذلك بأنفسهم. ثم بعد ذلك ينطلقون، لا أحد يعرف إلى أين، وهناك يمكثون إلى أن يشعروا بأنهم مرتاحون ومستعدون للعودة.

وما أن يتم إنجاز التحقيق، يعود الصحفيون على مهل إلى كهفهم فى خطوات مرتاحة ومتسامية، ثم يجمعون كل الناس حول المدفأة يتناولون الحلوى ويحكون الموضوع تماما على النحو الذى يريدونه. فى الماضى إذن، لم تكن هناك قيود على طول الموضوع - فهو يستمر إلى أى فترة يظل فيها وقود المدفأة مشتعلا.

وعندما ينتهون من عملهم، يقف لهم الجميع مصفقين. لا أحد يقول لهم «أفى مثل هذا العمل أمضيتم ثلاثة أشهر؟» أو يقول «لقد كنت أعرف ذلك من قبل» ولم يكن هناك اتهامات مضادة لاذعة مثل «أنا هنا أعمل ساعات إضافية أثناء غيابك إذن عليك الآن مشاركتى فى العمل طوال المواسم الثلاثة القادمة». فقد كان الناس يشدون على يد الصحفيين ويسألون فى احترام متى يكون تحقيقهم الصحفى القادم- فى العصر الجليدى الحالى أم القادم!

إن علماء الاجتماع المتخصصين فى رصد وسائل الاعلام يختلفون فى تحديد متى ولماذا تغيرت الأمور. غير أنه بوضع كل التواريخ ذات الصلة فى تسلسل رئيسى طبقا للزمن، وحسبما شرحنا فى الفصل السابق، تصبح الأسباب واضحة كالشمس.

فى البداية جاءت الحضارة ثم جاء أفولها، المصحوب بالمحامين والتليفزيون والصحف والادارة بالاهداف، أو بديلها الحديث إلى حد ما لوسائل الاعلام، أى الادارة بالاعتراض. إن كل هذه الأشياء مرتبطة ببعضها البعض.

ولقد ثبت الآن أن كتاب التحقيقات الصحفية بحاجة فى الواقع إلى مساعدة أكبر مما يعتقدون.

تأمل معى: الآن أصبح هناك محررون للتحقيقات الصحفية ورؤساء تحرير لهذه التحقيقات ولا جدال فى أن هذا تحسن فعلى.

غير أنه أصبح أيضا هناك المحامون، والمصممون، والفنانون والمصورون، ومراجعو البروفات، وغيرهم من رؤساء الاقسام وكبار المحررين من مختلف الأنواع. ولم يصدر القرار بعد إذا كانت كل هذه الطبقات المتراصة فوق بعضها تعتبر تحسنا فعليا. (مالم تكن تقرأ أحد كتبهم).

فعلى سبيل المثال، اعتاد محررو التحقيقات الصحفية فى الصحف أن يقوموا بأنفسهم بتصميم تحقيقاتهم.

سنورد فيما يلى صورا من الأرشيف الرسمى للصحافة Official Journalism Archieves لأربعة من مراحل التطور فى التحقيقات الصحفية التى يصممها المحررون.

وقد أحب محررو الصحف هذه التصميمات لأنها تحمل كل كلمة كانوا حريصين على كتابتها، بما فى ذلك ومضات الذكاء التى كانت تبدو لهم فيما بين الطبعات طوال الأيام التى ينشر فيها التحقيق.

وبلا جدال لا تستطيع الآن أن تعثر إلا فى صحيفة وول ستريت جورنال، على صفحات على هذا النحو بفضل كل ما أشرنا إليه آنفا من «مساعدة» أعطيت لكتاب التحقيقات الصحفية.

اقرأ هذه القصة، لأنها شديدة الأهمية

Read this story, it's very important



هذه هى صورة للنسخة المبكرة من صفحة لتحقيق من تصميم المحرر الصحفى. وهو مازال حتى يومنا هذا من أحب التحقيقات للمحررين. قد يبدو لك أن التحقيق انتهى بانتهاء هذه الصفحة، ولكنه بالفعل ظل مستمرا. ومستمرا. وذلك يعنى بالنسبة لصحيفة لوس انجيليس تايمز، وحتى يومنا هذا المزيد والمزيد. ولكن حدث أن أحد مصممى الصفحات كان يمر مصادفة بمكتب التحقيقات الصحفية واقترح مايلى «رويدكم، إننى لم أقرأ هذا ولكننى أرى أنها مكدسة باللون الاسود. وتحتاج منكم إلى بعض «العناوين الفرعية» من أجل حذب القارئ لقراءتها».

اقرأ هذه القصة، لأنها شديدة الأهمية



هذه هى الصفحة بعد إدخال بعض «العناوين الفرعية». وقد يرى المحرر فقط أن يخفف من وقع الصفحة باضافة مزيد من الأخبار فيها، وفى حالتنا هذه استخدم حروف أغمق وأكبر تسمى عناوين فرعية. وهناك إضافة ثانية عبارة عن تلخيص أو مقتطف من الموضوع الفعلى، وهو شئ يفضله الصحفيون لأنه يسمح لهم بأن يقولوا الأشياء نفسها مرتين. وأخيرا، أضيفت صور لأن المحررين يجدون أنها مفيدة أحيانا «إذا لم تكن كبيرة جدا». والصور الموجودة هنا تسمى «أظافر الابهام» لأنك تستطيع أن تغطيها بظفر إبهامك، وفى المثال الموضح أمامكم تم نشر هذه الصور برغم اعتراضات صاحبتها.

ولكن كل هذه التغييرات وكل هذه المساعدة خلقت مجموعة جديدة من المشكلات، وسوف نكرس ماتبقى من هذا الفصل للأساليب التى تؤدى إلى الحد منها وتزيد فى الوقت نفسه من إمكانية الخروج بتحقيقات صحفية متلألئة.

عملية الكتابة

إن أول ما يجب أن يظل نصب عينيك عندما تكون منشغلا فى تحقيق صحفى، هو أن شخصا آخر غيرك، هو الذى سيقرؤه فى نهاية الأمر [1].

غير أن أحدا لا يتذكر هذه الحقيقة إلا قبل ثلاثة أيام من النشر وبعد أن يقوم فريق التحقيق فى النهاية بعرضه على رئيس التحرير الادارى، الذى يقول «هل يتفضل أحدكم ويقول لى فى جملة واحدة مفيدة ماذا بحق الجحيم تقصدون من ذلك ؟» [2].

كيف يتسنى تجنب مثل هذا الموقف؟

- عقد اجتماع للتشاور : فى مرحلة ما خلال العمل فى التحقيق، وياحبذا لو كان ذلك فى وقت مبكر وبين الحين والآخر، يجب أن يجلس رئيس تحرير التحقيق الصحفى مع المحررين للتشاور حول أفضل طريقة لسرد الموضوع.

ويجب أن يتم ذلك بدون الاستعانة بالملاحظات والمذكرات [3]، وأن يتم فى جو لا يشيع فيه التوتر، لنقل مثلا فى أحد الزوارق، أو أثناء الانتظار أمام شباك تذاكر إحدى دور السينما، وكذلك بالطبع أثناء ساعات العمل. إننى مازلت أعتقد أن أفضل طريقة لسرد موضوع هى الطريقة التى نحكيه بها شفويا لبعضنا البعض، وليس بالطريقة التى يمكن أن نكتبه بها، لاسيما فى المرة الأولى.

إننا نتفق عادة، ونتيجة لهذا الاجتماع، على أن طريقة كتابة التحقيق تتطلب مزيداً من حرفة كتابة التقارير، لأننا غالبا لانفكر فى إمكانية حكاية القصص بأسلوب كتابة التحقيقات، ومن ثم نفترض خطأ أن أساليب الكتابة تقتصر فقط على المقالات الخاصة. وهذا سبب آخر لضرورة عقد اجتماع التشاور مبكرا [4].

- الاتفاق على روح الكتابة. تعتبر الطريقة التقليدية فى رواية التحقيق الصحفى، أى طريقة الملخص الذى يقدمه المدعى للمحلفين، ليست هى الطريقة الوحيدة، بل إنها أحيانا تكون أسوأ الطرق.

وهذه بعض الأمثلة على محاولات الاستقرار على روح الكتابة.

قبل عدة أعوام، نشرت صحيفة واشنطن بوست على مدى يومين مجموعة من المواضيع عن رئيس شركة موبيل أويل، الذى يبدو أنه ساعد ابنه على التقدم فى الأعمال الخاصة بالشحن البحرى من خلال صفقات ميسرة بشدة لاستئجار ناقلات البترول التابعة لشركة أويل.

وقد اختارت الصحيفة أن تروى المواضيع بروح «جوتشاgotcha» التى تبدو فيها الصحيفة كما لو كانت تكتب عن شئ شديد الأهمية ولكنه بطريقة ما تم بصورة خاطئة للغاية.

والمؤسف، أنه لم تكن هناك حالة تلاعب خطيرة، أو على الأقل شئ غير قانونى. غير أن طريقة الكتابة على هذا النحو أدت إلى إقامة دعوى قضائية ظلت وقتا طويلا أمام المحاكم واختلف خلالها الجميع على كل شئ.

وفى اعتقادى أنه لم يكن لترفع دعوى قضائية لو أن صحيفة واشنطن بوست قد كتبت ذلك الموضوع الرائع بالروح التالية «ياللعجب، انظر إلى حياتك وكيف تكون لو أن والدك يعمل رئيسا لشركة كبرى».

فى اعتقادى أن ذلك كان أفضل طريقة لتبادل ما توصلوا إليه من أسرار.

فى عام 1990 نشر موضوع فى صحيفة ستار تريبيون بقلم بول ماكينرو وتصوير ستورمى جرينر عن الآباء الذين يسيئون معاملة أطفالهم. استخدمت فيه طرق مختلفة للتناول باختلاف أجزاء الحلقات.

كانت الحلقتان الأوليان – وكانت الفترة الزمنية بين نشر كل منهما قد امتدت

لعدة أسابيع أقرب إلى التناول التقليدى، أى ملخصات لما تم التوصل إليه مقترنة أعمدة جانبية مطولة تصور النقاط الاساسية من خلال عرض لحياة عدة أشخاص.

غير أن الجزأين الأخيرين التزما منهجا مختلفا تماما فى التناول، حيث امتلأت الصفحة الأولى أعمدة جانبية والصور والاحاديث التى تبين كيف أن الآباء يفقدون السيطرة على أعصابهم وما يترتب على ذلك من نتائج مريرة - بحيث غطى بريقها على المقالات الأخرى الأكثر تقليدية.

فعلى سبيل المثال، أمضى جرينر وماكينرو شهورا مع سيدة كانت على شفا الإساءة البدنية لاثنين من أطفالها وكانت الصور التى التقطها جرينر شديدة التأثير بشكل لم يحدث من قبل فى أى صحيفة وكانت وحدها تعادل كل الكلمات التى كتبت من قبل فى هذا الموضوع [5].

كانت هذه الطريقة فى التناول أشد تأثيرا على الأرجح فى إعطاء القارئ إحساساً بالمشكلة وبعواقبها أكثر من أى معالجة تقليدية للتحقيقات.

وإليك ستة نصائح أخرى تتعلق بكتابة وتقديم المشروع النهائى :

- إن اعمال الجرافيك والصور لها أثر كبير.

إن معظم الصحفيين يقدمون المصورين الذين يعملون معهم فى تحقيق صحفى إلى مصدر معلوماتهم على النحو التالى «أوه، وهذا هو مصورى». إن هذه أشد خطيئة يمكن أن يرتكبها الصحفيين على الرغم من أن قليلين فقط يعملون ذلك. إن المصورين ليسوا مصورى الصحفيين، تماما كما أن الصحفيين لاينتمون إلى المصورين.

إن المصورين يجب أن يكونوا شركاء بالكامل بالنسبة لجميع التحقيقات الصحفية.

هذا بالإضافة إلى أنه يجب أن يشارك أحدهم من إدارة الجرافيك ممن سيعملون فى التحقيق أو يشرفون على من يعملون من البداية تماما، فأنا أعطيهم نسخا من كافة

المذكرات والمسودات وأطلب منهم حضور اجتماعات فريق العمل فى التحقيق والمشاركة برأيهم بما يروه مناسبا.

إن الصورة التى يبدو عليها التحقيق بالنسبة لمعظم المشتركين، هى أهم عنصر فى تحديد ما إذا كان سيقرأ أم لا.

ويستطيع فنان الجرافيك المشترك فى التحقيق والذى يتمتع بموهبة الابتكار اكتشاف أقسام فى الموضوع تحتمل العرض باستخدام الجرافيك، وبذلك يكسب العرض حيوية ويجعل التحقيق أقصر.

- الرجوع إلى المذكرة

مع اقتراب التحقيق من نهايته، يصبح من أبرز المخاوف هو ما إذا كان رؤساء التحرير الكبار سيعتبرونه هم أيضا قد اكتمل وعلى نحو جيد [6]. عندئذ تذكر تلك المذكرات التى كتبناها على شكل قصة طوال حياة التحقيق، فى هذه اللحظة يطفو على السطح قيمتها الحقيقية.

إن الخدعة التى تستخدمها هنا مع الرؤساء على المستوى المتوسط، مثلهم فى ذلك مثل رؤساء تحرير التحقيقات، هو أن تجعل من هؤلاء الرؤساء شركاء فى العمل لا مجرد نقاد.

ذلك أنه عن طريق إشراك الرؤساء من مديرى التحرير فى هذه المحاولات المبكرة والتماس رأيهم إزاء منهجك فى سرده وأيضا عما توصلت إليه حتى الآن، إنهم يصبحون شركاء فى رد فعلهم تجاه بؤرة التركيز والتناول فى التحقيق. ومهتمين مثلك تماما بالعثور على أفضل طريقة للتناول.

وعلاوة على ذلك، فانهم إذا لم يوافقوا على المسودات المختلفة، فإنه يكون لديك الوقت الكافى لاجرء التغييرات. ذلك أنه من السهل تغيير المسودات فى وقت مبكر، لأن الكتاب لايكون لهم ارتباط عاطفى كبير بالمسودات مثلما هو الحال مع العمل ذاته.

- تجنب الاجتماعات غير الضرورية.

لاينبغى على رئيس تحرير التحقيق محاولة عقد اجتماعات عقب كل مسودة، بل عليه أن يسعى بدلا من ذلك إلى لقاء كبار مديرى التحرير كل على حدة لمعرفة ردود الأفعال. قد يكون فى ذلك استنزاف لوقتك، ولكن ليس لوقت المحررين، كما أنك تستطيع السكوت على الانتقادات المعقولة إلى أن يحين الوقت المناسب لابلاغ الفريق بها، إن كنت أساسا ستفعل ذلك.

إذا كان لابد من الاجتماع. فاصطحب معك المحررين إلى الاجتماعات. ذلك أنه عندما يتكلم كبار مديرى التحرير إلى مرؤوسيهم من رؤساء التحرير، فهم عادة لايكونوا على استعداد لتقبل الافكار المختلفة كما هو الحال عندما يكون المحررين حاضرين. بالإضافة إلى أن المحررين دائما يعلمون أكثر عن تفاصيل التحقيق من رئيس تحرير المشروع.

وهكذا فانه إذا قال مدير التحرير الإدارى «لماذا لانطور ذلك الجزء الذى يدور حول فلان وفلان وفلان؟»، ربما يتمتم رئيس تحرير المشروع قائلا، «لست متأكدا، ولكننى أعتقد أن هناك سببا يجعلنا لانستطيع ذلك. سوف أسأل فى الأمر لنعرف».

أما إذا كان المحررون حاضرين فى الاجتماع، فان أحدهم قد يقول، «إنها فكرة عظيمة، ولكننا راجعنا هذا الأمر وتبين لنا أنه غير حقيقى، كما أننى اعتقد أنه لايجب علينا حتى أن نفكر فى أخذ أموال منهم بمعرفة الحقيقة».

إن رئيس تحرير التحقيق يستطيع بالطبع، أن يتوصل إلى ذلك ويعود فى اليوم التالى لابلاغ رئيس التحرير الادارى، غير أنه من الأفضل لو أن الاجابة جاءت رداً على نصيحة. بالإضافة إلى أن الارتباك سيقل إزاء ما استقر الرأى عليه لو أن كل الأطراف كانت موجودة فى الحجرة. ونكرر من جديد أن الأمر يدور فى جو من الزمالة فى العمل وليس فى جو الحكم عليه.

- لنجعل الرؤساء يقدمون المساعدة.

اعتقدت دائما أن أتوجه إلى الرؤساء لأبلغهم بالمشاكل التى تواجه العمل حتى يكون لديهم فكرة عما نحن بصدده. وربما يكون لديهم حلا عظيما. وحتى إن لم يكن لديهم، سيتفهمون سبب تعثرنا.

وعلي هذا النحو، تكون مشاكلنا هى مشاكلهم، ونجاحاتنا نجاحاتهم.

- اترك الوقت الكافى للكتابة والتصميم.

لو أنك أمضيت ثلاثة أشهر فى التوصل إلى موضوع ثم أسبوعين للكتابة والعرض، فان التحقيق سيبدو بعد قراءته كما لو كان تحقيقاً نتيجة لجهد أسبوعين فقط.

والسبب الرئيسى فى أن التحقيقات لا تكون جيدة عند قراءتها هو أنه لم يخصص الوقت الكافى لكتابتها، وهو الجزء من العمل الذى لايستمتع به كثير من المحررين.

- عاود العمل بمفهوم إعادة الكتابة.

إن معظم المحررين لم يقوموا حقيقة باعادة الكتابة منذ دراستهم فى الجامعة. الواقع أن العمل الصحفى اليومى لا يسمح لهم بالوقت للقيام بذلك.

أثناء الاسبوع الأول من معظم التحقيقات، أقول للمحررين إنه قد يكون علينا أن نقوم باعادة كتابة المسودات. وهم عادة يؤمنون بالموافقة على معقولية هذا التنبؤ، غير أنهم يشعرون بالذهول عندما يأتى وقت التنفيذ.

فى إحدى المرات اقترضت محرراً شديد الذكاء من قسم الاقتصاد للقيام ببحث فى السياسات الزراعية للولايات المتحدة [7]. وقضينا ثلاثة أشهر فى عمل التحقيقات.

وكانت الصعوبة فى كيفية كتابة تحقيق صحفى كبير عن الزراعة لقراء غالبيتهم

من سكان المدن ممن يلتقطون صحيفة صنداى صباح أحد الايام، ليفاجأوا بأن هناك عدداً لايحصى من الكلمات المكتوبة عن أحد البرامج الزراعية فى الولايات المتحدة.

وكنا نعرف أن الطريقة التى ستكتب بها المواضيع الرئيسية فى هذا التحقيق الذى سينشر فى حلقتين ستكون هى الحاسمة. كذلك فقد أعدنا كتابة الموضوع الرئيسى فى اليوم الأول أكثر من عشر مرات وذلك فى سعينا الجاد لنجعله جذابا لغير المهتمين، أو على الأقل لغير المبالين من الجمهور، وفى هذه المرة كان المحرر سعيدا وهو يقوم بذلك، لأنه كان يقنع نفسه طوال الوقت بأنه أمر لامفر منه.

عملية الانتهاء من التحقيق

- تنظيم ما لدينا من مواد.

لابد من قيام واحد بتسليم البيانات إلى الفنانين وأن يقوم بمراجعتها عندما يتسلمها منهم على صورة خرائط أو جرافيك، ولابد أن يتولى أحدهم مهمة الجلوس إلى المحامين فى الصحيفة الذين سيفتشون عما تقصده من الفقرات واحد إلى أربعة مثلا. ولا بد من جلوس أحدهم إلى محررى النسخ للاجابة على جميع أسئلتهم، ولابد لأحدهم من مراجعة كل الحقائق من أجل التأكد من دقتها وحيادها ويجرى التغييرات المناسبة، وأيضا مازال على أحدهم كتابة عمودين جانبيين وعليه إعادة كتابة الموضوع الرئيسى للحلقة التى ستنشر فى اليوم الثانى، ولا بد لأحدهم من الجلوس إلى العاملين فى قسم الدعاية لمراجعة إعلاناتهم للدعاية عن هذا التحقيق القادم، ولا بد لأحدهم من بحث إمكانية اختصار العمود الجانبى الرئيسى فى حلقة اليوم الأول إلى 12 بوصة لأن أحد الفنانين يرغب فى تثبيته مع تصميم متقن حقيقة كان حريصا على تجربته منذ رآه فى العام الماضى فى صحيفة سياتل تايمز. كما أن أحداً لم يتوصل بعد إلى كل هذه الكلمات التى يستطيع الفنان تشكيل حروفها فى شكل علامات معينة.

أما نحن هنا فى مركز تجمع المحررين، فاننا مازلنا نبحث عمن يستطيع القيام بكل هذه المهام. ليس أمامنا سواك !!

من حسن الطالع أنه مازال أمامك أربعة أيام وأنت الوحيد الذى يقصدك الجميع. إننى استعد. هيا.

«الفوضى والاستعجال» (Helter - Skelter)جملة اخترعها نواه ويبستر لوصف الطريقة التى يتم بها جمع أجزاء التحقيق بعضها إلى البعض الآخر فى معظم الصحف وهى التى تمثل السبب الفعلى لاحتراق أعصاب كتاب التحقيقات.

لا داعى لذلك.

غير أن السيطرة على هذه الفوضى لايجب أن تكون على هذا النحو دائما. فقد نجحنا - تيم بيتنى الذى كان يعمل حينئذ مساعد مدير التحرير فى صحيفة ستار تريبيون للجرافيك، والتصميم، والتصوير وما إلى ذلك - وأنا، فى تطوير جدول استرجاع مواعيد Backout Schedule (BC) ستجد مثالا مطبوعا له فى العمود الجانبى 7-1.

وإليك الطريقة التى يعمل بها هذا الجدول.

عندما نتفق على يوم محدد للنشر، غالبا ما يكون بعد شهر أو نحو ذلك، أتوجه إلى تيم وأطلب منه مساندتنا بدءا من هذا اليوم.

ويكون لديه بالفعل جدول بمواضيع ذات أطوال تقريبية ولديه فكرة إلى حدما عن أعمال التصوير والجرافيك. يضع هو قائمة يومية بالمهام التى يجب إنجازها إذا ما كان للتحقيق أن ينشر فى ذلك الوقت المحدد.

تتضمن هذه القائمة موعد إعطاء البيانات للفنانين، وإعادة المسودة الأولى إلى المحررين وتصحيحها، ثم إعادتها إلى الفنانين للانتهاء منها، وموعد تقديم مسودات تصميم الصفحات، ومراجعتها والانتهاء منها، أى أن يكون كل ماهو مطلوب من مهام

من الفنانين والمصورين والمصممين قد تم إنجازه إذا ما كان للتحقيق أن ينشر فى اليوم المحدد.

هذه هى الحقيقة الأولى التى ستواجهك. إنك لو كنت تعمل وفقا للجدول BS، فسوف تجد أنه لايمكن إنجاز العمل بدون ساعات كثيرة من العمل وقتا إضافيا.

الحقيقة الثانية ستتضح عندما نجلس، المحررون وأنا، لملء «جدول بيتنى» بكل الأشياء التى يجب إنجازها.

وبمجرد إدراج كل شئ فى هذا الجدول الزمنى، يتم طبعه وإرساله إلى كل المشاركين فى التحقيق، بما فى ذلك كبار مديرى التحرير، إن هذا الـ BS يوضح لهم أيضا متى سيحصلون على الاشياء ومتى سيكون عليهم إعادتها لو كان للتحقيق أن ينشر فى الوقت المحدد[8].

فى مجال الأعمال التجارية، يطلق على هذه الخطة الخريطة الحاسمة للطريق critical path chart. أما فى الصحافة فإننا نطلق عليها جدول استرجاع المواعيد. ضع على الفور قائمة المهام فى جهاز الكمبيوتر الخاص بك وعدل فيها بما يتلاءم مع التحقيق الذى تقوم به.

سوف تواجهك دائما عقبات جديدة وأسباب أخرى تؤخرك أنت والآخرين عن الانجاز فى المواعيد المحددة. وهذا الـBS يتيح لك معرفة ما إذا كانت هذه التغييرات تعنى عدم الوفاء بالموعد المحدد أم لا. فهو يساعدك أنت والآخرين على رصد مراجعة التحقيق من حيث الموقع الذى يجب أن تكون فيه للوفاء بالموعد المحدد. وإليك قائمة لعينة بالمهام المطلوبة.

بعد أن قمنا بتصميم وتنفيذ ذلك، يقرر رئيس تحرير التحقيق أن يكون لكل المهام الرئيسية فى الصحيفة جداول استرجاع مواعيد. ويقسم لنا «بيتنى» أن هذه الجداول الزمنية جعلت حياته أسهل. وعندما تكون حياة بيتنى أسهل، فان حياة 300 شخص آخرين يعملون فى صحيفة ستار تريبيون تصبح أيضا، أسهل.

- عظيم بالفعل، ولكن هل هو على النحو السليم؟

بالقرب من نهاية كل تحقيق صحفى نقوم بمراجعة كل كلمة، وكل سطر من حيث الدقة والموضوعية والفحوى.

إننا نطلق على هذه العملية «سطر بسطر» ونطبقها على كل تحقيق.

أنا آخذ مسودة من الموضوع الأول، مبتدئا من أعلاه. ويعاود المحرر مراجعة الوثائق الأصلية للتأكد من صحة كل معلومة. وعندما يكون هناك استشهاد من تصريحات، يقوم المحرر بقراءة هذه الفقرات من الكمبيوتر التى تم إدخال اللقاء الصحفى المنسوخ فيه [9].

هذه هى فرصتنا الأخيرة للتأكد من أن كل شئ سليم وهى مهمة أدق كثيرا من عمل المحامين. إننا ننتظر حتى النهاية لأن معظم المشكلات لا تأتى من الحقائق التى نستخدمها ولكن من الكلمات التى نصوغ بها هذه الحقائق، تماما كما هو الأمر مع صيغ الحال والصفة. إن الطريقة التى نقول بها الشئ لها نفس أهمية ما نقوله.

تحتاج عملية «سطر بسطر» هذه فى التحقيقات الطويلة إلى مابين خمسة إلى عشرة أيام اضافية، وربما أكثر من ذلك.

فى مشروعات التحقيقات الصحفية، نحن نضع كل كلمة. أما فى بعض الأنواع الأخرى من التحقيقات فاننا نستخدم إجراء معدلا. فعلى سبيل المثال، بما أننا لانكتب عن أى شخص يسرق الأموال الفيدرالية فى أحد مشروعاتنا الزراعية، فإننى أترك للمحرر مراجعة كل التصريحات والحقائق الأخرى. أما بالنسبة لآلاف الأرقام المنتشرة فى جميع حلقات التحقيق فلا بد من أن يقوم كلانا بمراجعتها معاً مراجعة دقيقة لأن هذه الأرقام هى الفرضية التى بنى عليها التحقيق.

إننا لا نقوم بمجرد البحث عن الأشياء البسيطة، مثل صحة هجاء أحد الأسماء، وصحة تاريخ الميلاد. إليك فيما يلى ثلاثة أمثلة لما يجب أن تكون عليه عملية «سطر بسطر».

فى أوائل الثمانينات، بدأت ممثلة الادعاء فى بلدة جوردان الريفية الصغيرة بولاية مينيسوتا، فى التحقيق مع شبكة يشتبه فى استغلالها الأطفال فى أعمال الدعارة تضم عشرات من الأطفال والبالغين.

كانت تلك قضية حساسة ومثيرة قامت بتغطيتها كافة وسائل الاعلام فى البلاد، وفى النهاية، أسفر الأمر عن فشل توجيه الاتهام إلى شخصين ونجاح توجيه الاتهام لأحد المتهمين باستغلال الأطفال. وأسقطت جميع التهم الأخرى.

بعد ذلك قام المحققون بالولاية باجراء التحريات الخاصة بهم وخلصوا منها إلى أن ممثلة الادعاء الأصلية أهملت فى أداء واجبها ولم يعد بوسعهم القيام بأى شئ بعد أن وصلت القضية إلى هذه المرحلة المتأخرة.

بل إن الأمر وصل إلى إجراء تحقيق علنى مع ممثلة الادعاء هذه لمعرفة إن كانت تستحق توقيع عقوبة عليها. ومع أن ذلك لم يحدث، إلا أن ممثل الادعاء الذى عين للتحقيق فى ذلك خلص إلى أن هناك أدلة على استغلال الاطفال فى أعمال منافية للآداب. ولكن ممثلة الادعاء فى بلدة جوردان لم تحسن أداء عملها إلى درجة أنها أطلقت سراح بعض المذنبين مع غير المذنبين.

وأثناء كل هذه العملية، قررت صحيفة ستار تريبيون إجراء تحقيق بمعرفتها فيما حدث.

وفى النهاية تم عرض النتائج فى ثمانى صفحات كاملة، غير أنه يمكن تقسيم الموضوع إلى جزأين رئيسيين.

الجزء الأول أظهر أن هناك الكثير من العلامات الحمراء التى كان يجب أن تمثل تحذيراً لممثلة الادعاء فى بلدة جوردان بأن إدعاءات كثير من الاطفال غير صحيحة على الأرجح.

أما الجزء الثانى فقد أظهر إلى أى مدى سار التحقيق فى هذه القضية على نحو غير سليم، الأمر الذى يطيح بأى فرصة لتوجيه الاتهام. كيف علمنا بذلك؟. علمناه إلى

حدما مما قاله لنا بعض الأطفال عن ممثلة الادعاء والمحققين التابعين لها. ولكن المراجعة «سطر بسطر» أظهرت لنا هنا بعض التناقض. فكيف أننا فى الجزء الأول، نثير الشكوك فى مصداقية ما قاله الأطفال، وفى الجزء الثانى نوجه الانتقاد إلى ممثلة الادعاء مستندين إلى حد ما إلى ما قاله لنا بعض هؤلاء الأطفال؟ لم يكن ذلك يبدو متسقا.

وقد أدى علاج هذا الأمر إلى أن أصبح الموضوع أقوى.

عاد المحررون إلى مراجعة مفكراتهم ووثائقهم ثم لجأوا بعد ذلك إلى كتابة فقرات فى الجزء الثانى تفيد مايلى :

تذكير القراء بأن بعض هؤلاء الأطفال هم نفس الأطفال الذين قالوا بعض الاكاذيب الواضحة. ولكننا نصدقهم فى هذه النقاط لأنه قد تم التحقق من صدق ما قالوه أو ثبت صدقه فى مذكرات المحققين، ومذكرات خبراء الاجتماع، ومذكرات أطباء النفس، ومذكرات محققى الولاية وفى اللقاءات الصحفية التى أجريناها مع الآخرين. أما الأقوال التى لم نتمكن من أثبات صحتها على هذا النحو فقد أسقطناها.

كان أول تأكيد بوجود إهمال مشئوم، ذلك الذى أشرنا إليه آنفا يدور حول ملفات حالة 22 طفلا ماتوا بسبب سوء المعاملة أو الإهمال أو تحت ظروف غامضة فى بيوت تسودها المشاكل، كما هو معروف لرجال السلطة غير أن السلطة فشلت فى حمايتهم. ومعظمهم مات قبل أن يبلغ عامه الأول.

وخلص فريق التحقيق الصحفى إلى أن هذه الوفيات تثبت وجود نظام لايخضع للسيطرة. ولكن على ضوء أى معايير؟

قد يقول قائل أن وفاة طفل واحد من هؤلاء الأطفال تعتبر فى حد ذاتها وفاة غيرة واجبة فهل نستخلص من ذلك أن هذا النظام قاصر؟

فى نفس الفترة، أجرت السلطات دراسة لنحو 20 ألف حالة. فهل حدوث 22 حالة وفاة تؤكد فشل السلطات؟ وبالنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى، فهل يؤكد بقاء نحو 20 ألف طفل على قيد الحياة نجاح السلطات؟

وماذا لو أننا استخدمنا نوعا آخر من القياسات - معدل النجاح/الفشل فى الولايات الأخرى. أيا كانت طريقة القياس فان ولاية مينيسوتا تعتبر أقرب إلى المتوسط أو من بين الافضل.

ماذا إذن، نستطيع استنتاجه من الحقائق التى كشفنا عنها؟

بالرجوع إلى هذه الحالات والتدبر فيها من جديد، ظهر لنا نمط مختلف. فى كل حالة من الحالات، عندما يرغب الشخص الذى يرعى الطفل تجنب عملية التفتيش عليه فانه من السهولة بمكان عليه أو عليها أن يفعل ذلك. قد يلجأ الأبوان إلى الانتقال باستمرار أو، حسبما حدث فى حالة واحدة على الاقل، أن يقال لموظف الرعاية الاجتماعية عندما يجئ حتى باب المنزل، أن يعود فى وقت آخر لأن الطفل نائم، ولا يتسنى لهذا الموظف المسالم والمثقل بالعمل العودة مرة أخرى قبل وفاة الطفل.

ظهر نمط واضح آخر أن السلطات لم تدرج أبدا فى دراستها ملاحظات الأطباء، والشرطة، أو موظفى دراسة الحالة إلا بعد الوفاة، الأمر الذى يقلل إلى حد بعيد، وفى كثير من الحالات فرصة الكشف عن حقيقة أن الطفل معرض للخطر.

وقدد تضافر ذلك مع ما اكتشفه الفريق من بعض النقص فى استخدام الأبحاث. فقد كان أحد الباحثين فى شيكاغو قد توصل إلى سمات إحصائية للطفل الذى يكون أكثر عرضة للخطر، وهى سمات تنطبق تماما على الأطفال الذين نحن بصددهم. أى أن هؤلاء كانوا أطفالا ممن كان يجب أن يستفيدوا من تدخل السلطات بشكل حاسم، ولكنهم لم يستفيدوا.

اذن **نحن بصدد** سلطات بعيدة إلى حد خطير عن الانتظام وتحتاج إلى عملية إصلاح.

فى تحقيق صحفى عن المهاجرين الهمونج Hmong، علم المحررون أن الجنود الهمونج وعائلاتهم الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة بعد أن خسرنا الحرب فى فيتنام، كانوا يتوقعون أن ترعاهم حكومة الولايات المتحدة.

فى ذلك التحقيق، قررنا أن نحكى القصة كاملة من وجهة نظر الهمونج - بروايتهم هم.

وكان من الممكن أن نكتب ما قالوه حسبما قالوه تماما، ولكننا قررنا الكشف عما إذا كان هناك من سبب يدعو إلى أن نصدق ما يقولونه.

وبعد أن استقر بنا الرأى على أن هذا الموضوع من الموضوعات التى تعامل بأسلوب «سطر بسطر» فى المراجعة، اتصل المحررون بالمسئولين السابقين والحاليين فى الـCIA ووزارة الخارجية. ورجعوا إلى الوثائق الحكومية، وإلى الجنود الامريكيين السابقين الذين عملوا مع الهمونج، ومصادر أخرى.

وقد وجدنا دليلا بينا لتصديق الهمونج. وأخذنا منهم نبذة أضفناها لقصتنا حتى يستطيع القارئ تبين أسباب تصديقهم.

قد نتساءل لماذا كل هذا العناء للتوصل إلى استنتاجات؟

لأن الاستنتاجات بشأن ما تعنيه الحقائق هى تماماً ما تدور حوله صحافة التحقيقات.

فالتحقيق الصحفى ليس مجرد مجموعة من الحقائق التى كشفنا عنها النقاب، ولكنه أيضا ما نظن أن هذه الحقائق تعنيه لا أكثر من ذلك، ولكن بالتأكيد ليس أقل.

أما إذا كنت لا ترتاح إلى عملية التوصل إلى استنتاجات، فالزم جانب الأخبار فى مهنتنا هذه، وهى وظيفة مهمة ولكنها مختلفة عن التحقيقات الصحفية.

كما أن ذلك لا يعنى أيضا أن لدينا الرواية الوحيدة الممكنة للموضوع. بل يعنى فقط أن هذه هى أفضل رواية أتيح لنا العثور عليها، بل أتيح لأى شخص آخر حسبما نعتقد. وهذا هو ما نعتقد أنها تعنيه. فسواء كانت الرواية رمادية وليست حمراء أو زرقاء، قل ذلك.

لا يوجد هناك ممن عملت معهم من يحب خوض عملية مراجعة «سطراً بسطر» وأنا منهم، ولكنهم يحبون، وأنا معهم، ذلك الشعور الذى يحسونه قبل النشر بأن كل

شئ نشرناه على الاطلاق يستحق أن نثق فيه. أما المخضرمون فى عملية المراجعة سطرا بسطر »، فإنهم يستعدون لها بأن يضعوا هوامش لفقرات الموضوع لدعمه بالوثائق وبذلك تكون عملية المراجعة سطر بسطر أسرع.

أما بالنسبة لجدول استرجاع المواعيد، فهو نظام يؤسس إمكانية أن تتم الأمور على النحو الذى يجب أن تسير عليه وفى هذه الحالة، فانه يحدد العملية التى من خلالها يصبح من الأرجح اكتشاف كل الأخطاء فى الحقائق والأحكام.

اعترافات ومذكرات ختامية

إن كل الأشياء التى ناقشناها فى الفصلين 6 و 7 قد لاتنجح طوال الوقت، لا بالنسبة لى ولا بالنسبة لك. فهى على كل حال، تكتيكات وأساليب من شأنها الارتقاء بعملية إنجاز التحقيقات الصحفية، بحيث تصبح شيئا نحن الذى نقوم بادارته وليس هو الذى يديرنا.

يجب أن يكون التحقيق الصحفى - أى تحقيق - هو ذروة جهودنا فى مجال الصحافة. فهو ذلك الجزء من الصحافة الذى يحتاج فعلا إلى تعديل أول First Amendment، يبرر بقاءنا فى تلك الحرفة ذات الدخل المنخفض، والتى لا تحظى بالتقدير الكافى، والتى تحرق أعصاب من يعمل فيها. إن موضوعات التحقيقات هى تماما التى لديها فرصة تحقيق مصلحة جمهور تعمل ديموقراطيتنا على إبعاده أكثر وأكثر عن إدارة شئونه على نحو ديموقراطى.

تعامل مع كل تحقيق كما لو كان هو الفرصة الوحيدة التى قد تتاح لك من أجل القيام بنوع متميز من الصحافة، لأنه بالفعل قد يكون كذلك. أما إذا تعذر عليك التعامل مع التحقيقات الصحفية على هذا الاساس، فجنبنا كل هذا العناء ولا تتعامل معها على الاطلاق.

هوامش

1- نظراً لأننا لا ندفع للقراء حتى يقرأوا لنا ونظرا لأننا لا نستمع إليهم أو إلى أى أحد آخر، بعد أن نقوم بعملية النشر، فان ذلك يعنى أنه ينبغى علينا ألا نألوا جهداً فى استمالة القراء لقراءة هذا الموضوع.

2- هذه الجملة ومشتقاتها دفعت الكثير من المراسلين ومحررى التحقيقات الصحفية إلى تغيير مهنتهم أكثر من أى مخاطر أخرى فى مهنة الصحافة.

3- كان من بين عوامل فشل بعض مشروعات التحقيقات الصحفية التى نشرت الاخفاق فى قذف كرات البولينج بحيث لا تصطدم بجوانب الممر؟

مثال على كرات البولينج: ذلك الشخص الذى ابتز 400 ألف دولار، وقتل أمه، وتزوج ثلاث مرات بدون أن يطلق أيا منهن وارتكب علاوة على ذلك خمس جرائم أخرى.

مثال على كرات البولينج: كما كان معه أربع تذاكر لانتظار السيارات، وطرح مرة سيدة عجوز أرضا ومعروف عنه أنه يلكز كلبه كلما شعر بالاحباط.

يرغب المحررون فى إدراج كل شئ يعثرون عليه – أما أنا فأطلق على هذا تكديس المعلومات- معتقدين أن ذلك يجعل التحقيق أفضل ولكن تركيزنا يكون أكثر إذا ما اتفقنا على القذف بعيدا بكرات البولينج.

4- لو أننا أردنا أن نلخص كل ما تعنيه الصحافة فى جملة واحدة، فهذه الجملة تكون: المحررون يسردون حكايات. وبطبيعة الحال نحن نرى أنها شئ أكثر أهمية من ذلك. كما لو كنا ندافع عن التعديل الأول Defending the First Amendment.

غير أن الحقيقة المرة هى أننا بالفعل نسرد حكايات. وهى حكايات حقيقية ودقيقة، وإذا ما كان لاحد بنفس المهارات وفى نفس الفسحة من الوقت أن يقوم بنفس الجهد، لوصل إلى نفس الاستنتاجات. ولكن يظل ذلك مجرد طريقة أخرى للقول بأن ما نقوم به هو سرد حكايات.

والواقع، انها حتى ليست الحقيقة. بل هى وجه للحقيقة فاننا نبدأ من منطلق أننا إذا لم نكن هناك لنشهد ما حدث، لذلك فاننا سنحاول التوصل إلى ماحدث. وهذا هو أفضل وجه للحقيقة

استطعنا الوصول اليه، ولكن ينبغى لنا أن نعرف أنها مجرد وجه واحد للحقيقة. فقد دأب الفلاسفة على مر العصور على أن يقولوا لنا إن الحقيقة لا يمكن التوصل إليها فى هذه الحياة والصحافة ليست سوى هذه الحياة.

5- فاز جرينر بكل جوائز التصوير الكبرى إلا عن هذه الصور.

6- هذه واحدة من أعراض اختناق المشروع Toxic Project Syndrome (TPS) والأعراض الأخرى هى :

- خوف المحررين من أن يقول زملاؤهم عن التحقيق، «وهل كان ذلك يحتاج إلى عمل ثلاثة أشهر» أو «لقد كنت أعرف ذلك».
- مخاوف المحرر من أن تعبر أنت، رئيس تحرير التحقيق، أو الآخرين من كبار مديرى التحرير عن كرهكم للتحقيق كلية فى آخر لحظة.
- خوف جميع من يعملون فى التحقيق من أن يؤدى إغفال مذكرة أو وثيقة بصورة أو بأخرى إلى الاطاحة بقوة التحقيق وأن يقوم الشخص موضوع التحقيق بابرازها فى اليوم التالى لنشره .
- المحررون الذين يجادلونك مرارا وبحماس شديد طوال الأيام بشأن نقطة ما، ثم عندما تستسلم لهم، يجادلونك مرارا وبحماس شديد لاقناعك بعكس ذلك.
- النوم أثناء الغذاء.
- أن تستمتع فعلا بالاجتماعات.

وهناك أعراض أخرى غير ذلك وأسبابها كثيرة، ومع ذلك يكفى القول ان TPSهو المرض الحقيقى والذى سوف يصيب الجميع، والبعض تكون إصابته أشد من الآخرين.

وإليك بعض الطرق التى قمت بتجربتها للتقليل من آثار ذلك العرض:

- التجول يوميا فى مكتب التحقيقات لسرد حكايات طويلة ومملة وبلا معنى عن الحرب بحيث يشعر المحررون بالقلق على سلامة عقلى أكثر من سلامة عقولهم.
- أطلب من المحررين اصطحابى من المنزل ثم أجبرهم بعد ذلك على ركوب الزورق معى فى الجدول الذى يجرى خلف منزلى.

■ إرسال المحررين إلى المتاحف والمعارض لقضاء اليوم بطوله.

■ اصطحاب المحررين إلى السينما فى وقت العمل، مما يبعث دائما ذلك الشعور اللذيذ بأنك عدت إلى المدرسة الثانوية عندما كنت تلعب الهوكى.

■ بل إننى فى إحدى المرات جلست على دكة فى إحدى الحدائق للتأكد من أن الصحفى المشارك فى تحقيق ينام بدون إزعاج فى الحديقة كما لو كان طفلا ينام تحت شجرة صنوبر.

7- فى الواقع أننى طلبت منه أن يقوم بشئ أبسط مثل أن يكتشف أين اختفى كل المزارعين. وجاءنى بعد أسبوعين وقال لى أن القصة الحقيقية فى مدى ما وصلت إليه السياسات الزراعية فى الولايات المتحدة من تضليل وضياع وإخفاق.

وهذا فى الواقع يحدث كثيرا.

عمل لو كيلزر وكريس ايسون عدة شهور فى تحقيق عن المقامرة. ولكنهما قررا بعدها أن القصة الحقيقية يجب أن تكون عن إشعال الحرائق عمدا، ثم بعدها أنجزا حلقات فازت بجائزة بوليتزر لعام 1990 للتحقيقات الصحفية. وقد تكلمنا حينئذ عن بؤرة التركيز الجديدة للتحقيق واقتنعت بها على الفور.

وفى وقت لاحق، اقتنع أيضا رؤسائى.

ومع ذلك، فقد كانوا يريدون منى إنجاز مايسعى التحقيق إلى اكتشافه فى مدة لا تزيد عن شهرين.

ويجب أن أعترف، أن ذلك بدا معقولا.

ولكن بشكل نظرى.

8- إن التعامل مع رؤسائك يعتبر جزءا مهما من التحقيق الناجح، فمن وجهة نظرهم، تعتبر من أكثر مهام رئيس تحرير التحقيق أهمية الاستمرار فى الضغط عليك حتى يتم نشر التحقيق فى الصحيفة. وتعرف أنت أنه سيكون لديهم الكثير مما يقولونه، ومن ثم فان الخدعة هى أن تجعلهم يقولونه فى أكثر الأوقات فائدة لك. وسوف يساعدك جدول استرجاع المواعيد فى التعامل مع رؤسائك.

9- إننا لا نحتفظ بمذكرات عن النص فى مكتب التحقيقات، فالمحرر بعد أن يجرى اللقاء الصحفى، يقوم بادخاله فى الكمبيوتر ويتم التخلص من المذكرات الأصلية. ذلك لأن المذكرات الأصلية تصبح بدون قيمة بعد إدخالها ومراجعتها.

اذا كنت ستتبنى هذه السياسات، فعليك الالتزام الصارم بها فى كل التحقيقات. راجع مع محاميك ورئيس تحريرك.

جدول استرجاع المواعيد

بقلم جون أولمان

يعتبر جدول استرجاع المواعيد من الادوات المفيدة لمعرفة ما إذا كنت ستفى بموعدك المحدد بصورة إنسانية وبدون نكسات أو وقت إضافى مزعج. انسخ الجدول التالى فى جهاز الكمبيوتر لديك وعدله ليتلاءم مع تحقيقك القادم.

جدول استرجاع مواعيد لتحقيق صحفى

الاثنين 25 مارس

- عمل كل الرسوم البيانية: المحررون، أولمان، التصميم. (عقد بالفعل الاجتماع الخاص بالموضوع).

الثلاثاء 26 مارس

- عمل كل الرسوم البيانية. المحررون، أولمان، التصميم.

الأربعاء 27 مارس

- المراجعة سطر بسطر مع CIA، أسئلة عن السياسات الأمريكية.

الخميس 28 مارس

- استمرار كتابة التقارير.
- تحديد زمن النسخ.

الجمعة 29 مارس

- مواصلة إنجاز التقارير والكتابة.

السبت 30 مارس

- عطلة

الاحد 31 مارس

- عطلة

الاثنين أول إبريل

- استمرار كتابة التقارير.

الثلاثاء 2 إبريل

- استمرار كتابة التقارير.

الأربعاء 3 إبريل

- أمر بتصميم كل الرسوم البيانية والخرائط حتى الظهر.
- إضافة التعليق على الصور.
- الانتهاء من وضع اسم الحلقات فى الساعة 3 بعد الظهر.

الخميس 4 إبريل

- استمرار العمل فى الخرائط والجداول.
- بدء كتابة الموضوع.
- طباعة الصور بتعليقها.
- بدء تصميم هيكل الجزء من الصحيفة.

الجمعة 5 إبريل

- انتهاء عملية كتابة الموضوع.
- إرسال نسخ من البروفات للترويكا فى الساعة 5مساء (الترويكا هو اسم التدليل لرئيس التحرير التنفيذى ومدير تحرير المشروع ونواب مديرى التحرير).
- استمرار العمل فى الخرائط والجداول.
- طباعة الصور فى شكلها النهائى.
- استمرار التصميم وفقا لمساحات الفراغ المطلوبة.

السبت 6 إبريل

- استكمال الخرائط وأعمال الجرافيك.

الاحد 7 إبريل

- عطلة

الاثنين 8 إبريل

- إعادة الترويكا للنسخ مع التعليق عليها بحلول الساعة 10 صباحا.
- إعادة نسخ النسخة.
- البدء فى تصميم إخراج الصفحة.
- كتابة عناوين فرعية للحلقات - والانتهاء منها عند الظهر.
- نسخة تجريبية لتحديد الطول والموقع.
- فحص الخرائط والرسوم.

الثلاثاء 9 إبريل

- الانتهاء عند الظهر من إعادة تحرير النسخة.

- تصحيح الجداول والخرائط.
- استمرار تصميم الصفحات.
- البدء فى تحديد العناصر الفنية فى عملية الإخراج الصحفى.
- تحديد مقاسات الصور.
- المراجعة سطر بسطر.

الأربعاء 10 إبريل

- استمرار تصميم إخراج الصفحة - الانتهاء منها عند الظهر.
- تجربة أولية لتصميم الصفحة - الإنتهاء منها فى الساعة 3 بعد الظهر.
- الاجتماع برؤساء التحرير لمناقشة المسودات التى تشتمل على الصور والاخراج الصحفى.
- استكمال كتابة التعليقات على الصور فى الساعة 3 بعد الظهر.
- المراجعة سطر بسطر.

الخميس 11 إبريل

- إجراء التغييرات على النسخة وفقا لمقترحات كل رئيس تحرير على حدة حتى الظهر.
- النسخة جاهزة فى شكلها النهائى - عدم إجراء أى تغيير فى طول الموضوع بعد ذلك.
- وضع ماكيت الصفحة.
- انتهاء تحديد مقاسات الصور ظهرا.

الجمعة 12 إبريل

- عملية تحريك الصور بحجمها لوضعها على نسخة فيلم.

- استمرار العمل فى وضع ماكيت الصفحة.
- كتابة العناوين والمادة المنوعة بالتزامن.

السبت 13 إبريل

- عطلة

الاحد 14 إبريل

- عطلة

الاثنين 15 إبريل

- الرسوم النهائية على فيلم الصفحة .
- إتمام الماكيت.
- الانتهاء من اللمسات النهائية والتصميمات.

الثلاثاء 16 إبريل

- نقل كل المادة مجموعة - بعد الظهر مباشرة والانتهاء منها فى الساعة 2 بعد الظهر
- بدء عملية المونتاج - بعد الظهر والمساء.

الاربعاء 17 إبريل

- الانتهاء من عملية المونتاج - بعد الظهر مباشرة.
- استخراج البروفات وتوزيعها على رؤساء التحرير فى الساعة الخامسة بعد الظهر.

الخميس 18 إبريل

- استعادة البروفات من رؤساء التحرير وعليها تعليقاتهم عند الساعة 10 صباحا.
- إجراء التصميمات والتغييرات على النسخة والنموذج الطباعى عند الساعة 6 مساء.

الجمعة 19 إبريل

- مراجعة المادة مجموعة وإعادة نقلها (التصحيح) - الانتهاء منها ظهراً.
- الإخراج النهائى للصفحة بعد تصحيح المادة - بعد الظهر مباشرة.
- استخراج البروفات الطباعية النهائية وتوزيعها فى الساعة 5 بعد الظهر.

السبت 20 إبريل

- الفيلم الحساس للصفحات.

الاحد 21 إبريل

- ظهور الموضوع فى الصحيفة.

الاثنين 22 إبريل

- الحضور إلى ميدان المعركة للمطالبة بترقيات وعلاوات المحررين ورئيس تحرير التحقيق.

الملحق الأول

وجهة نظر من الخـــارج
فى التحقيقات الصحفية

شهـدت السنوات الاخيرة عـددا من محاولات نقد أعـمال كتاب التحـقيقات الصحفيـة، بل وحتى نقد هؤلاء الكتاب أنفـسهم. وفى هذا الملحـق الموجز، وهو أول ثلاثة مـلاحق لهـذا الكتاب، نتـعرف علـى وجهـة نظر يقدمـها شـخص، يعمل فى حرفة أخـرى إزاء ما تقدمه التحقيقـات الصحفية لزملائه فى هذه الحرفة.

مشوقة للغاية تلك التحليلات للتحقيقات الصحفية التى يقدمها إيجون جوبا، استاذ التعليم فى جامعة انديانا. الذى اعتبر الصحافة مناقشة مفتوحة فى العلوم الاجتماعية وقدم شهادة رائعة لما يمكن أن يتعلمه المتخصصون فى تقييم البرامج التعليمية من كتاب التحقيقات الصحفية، وأيضا ما يجب أن يتجاهلوه فيها[1].

وحتى يتسنى له تحقيق ذلك، كان عليه أن يتحول بعقله حاد الملاحظة إلى تحليل ما نفعله وطريقتنا فى فعله. وإليك هذا المثال على طريقة تفكيره فى تحليل العقبات التى تشكلها مواقف العاملين فى الإدارة فى كثير من المنظمات الاخبارية (لاحظ حدة

ذكائه إزاء الادارة فى صالة التحرير. ويجب علينا أن نتعلم منه بنفس القدر الذى يمكن لزملائه أن يتعلموا منا).

- افعل تماما مثلما يفعل رئيس التحرير (باستخدامه هذا المصطلح فهو يعنى كل من له سلطة على كاتب التحقيق الصحفى) أى أن تعمل بفلسفة «مجلس الاخبار» وليس بفلسفة «كلب الحراسة»، وذلك حتى يصبح المختص بادارة التقييم أكثر نزوعا نحو التأكيد على الوصف أكثر من تأكيده على إصدار الأحكام وعلى العملية ذاتها أكثر من تأكيده على تأثيرها.

- تماما مثلما قد يسمح رئيس التحرير بمواضيع قد تكشف بعض الفضائح ويعارض فى الوقت نفسه المواضيع التى تمس الهيكل المؤسسى الأساسى للمجتمع، كذلك قد يسمح المتخصص فى إدارة التقييم بعمليات تقييم تكشف عن اختلالات طفيفة فى برنامج اجتماعى معين ولكنه يعارض عمليات التقييم تلك التى تتمسك بتقييم أهداف البرامج ذاتها فضلا عن تقييم التطابق بين الأداء والأهداف.

- تماما مثلما يكون رئيس التحرير عازفاً عن تقديم التحقيقات بسبب حالة اللامبالاة العامة بها، قد يكون المختص بإدارة التقييم، عازفا عن العمل لأنه لا يلحظ وجود المستمع المهتم بالحصول على نتائج تقييم قوية.

- تماما مثلما قد يسعى رئيس التحرير إلى إخفاء أشياء (تجنبا لكشف فضيحة) أو أن يتجاوز عن ذكر مشكلات معينة (من أجل الصالح الاجتماعى الأشمل)، كذلك قد يختار المختص بالتقييم «التغاضى عن ذكر مساوئ» برنامج ما أو التقليل من نقائصه إلى أدنى حد.....

- تماما مثلما قد يتجنب رؤساء التحرير الجدل حتى يستطيعوا التقدم فى مهنتهم، يجب أن يفعل ذلك المختصون بادارة التقييم.

- تماما مثلما قد لا يصل رؤساء التحرير إلى مواقعهم عن طريق الانخراط فى صحافة

التحقيقات، ومن ثم لايستطيعون فهمها ومساندتها، كذلك قد يكون المختصون بادارة التقييم.

إن الدروس المستفادة من هذه المقارنات واضحة وهي: أن المتخصصين بادارة التقييم الاجتماعى يمكن أن يؤثروا تأثيرا شديدا على نتائج التقييم، مثلما يفعل رؤساء التحرير إزاء مواضيع التحقيقات الصحفية [2].

هوامش

1- "Investigative Journalism" بقلم إيجون جى. جوبا فى كتاب "New Techniques for Evaluation" من تحرير نيك ال. سميث. (بيفرلى هيلز: دار سيج للنشر، Beverly Hills. Sage Bublications, 1981) ص. 167 - 262.

2- جوبا 223 - 240.

الملحق الثانى

وجهة نظر من الداخــل
فى التحقيقات الصحفية

قام الباحثـون فى جامعة نورثويسترن بانجـاز واحد من أكثر الأعمال تشويقـا وشمولا فى تحليل التحقيقات الصـحفية. ولا بد لكل المحـررين الصـحـفـيين أن يقـرأوا هذا الكتـاب وفيما يلى بعض مقتطفات منها.

يعتبر كتـاب «صحافة الغضب Journalism of Outrage» الذى وضعه مجموعة من أساتذة الجامعة بقيادة ديفيد ال. بروتس فى جامعة نورثويسترن[1] ، واحداً من أكثر الكتب دقة وتشـويقـا والذى يعد مرجعا دائما تقريبا عن كتاب التحقيقات الصحفية ومهنتهم.

ولو أنك حضرت أى مؤتمر لنقابة IRE منذ عام 1981، لربما كان بروتس نفسه قد طلب منك ملء استبيان عن كيفية أدائك لعملك. فقد أجاب على هذه الدراسة أكثر من 900 منا. هذا بالاضافة إلى أن بروتس أمضى أوقاتا مع كتاب التحقيقات الصحفية وفرق التحقيقات الاذاعية خلال عملية إنجازهم لستة تحقيقات وأجابوا على استفساراته عما يفعلون.

تناقش القضية الأولى تحقيقا أذيع تليفزيونيا فى جميع أنحاء البلاد عن الخداع والتلاعب فى برنامج للرعاية الصحية ممول فيدراليا (جاريك اوتلى، مجلة الأخبار NBC، 7 مايو 1987، والتى كانت جمعية «حكومة أفضل Better Government Association (BGA)»، وهى جماعة فى شيكاجو تقوم بعمل تحريات وكثيرا ما تعطى أفكارا لتحقيقات، لوسائل الاعلام فى شيكاجو وعلى المستوى القومى وتساعد فى عمل التحقيقات ذاتها التى تلى ذلك). أما القضية الثانية فتركز على حلقات نشرتها صحيفة شيكاجو صن - تايمز كشفت فيها النقاب عن مشكلات فى الابلاغ عن الجرائم الجنسية وإدانة مرتكبيها («وباء الاغتصاب: لا توجد امرأة محصنة ضده.Rape Epidemic: No Woman Immune» التى بدأ نشرها فى 25 يوليو 1982). أما القضية الثالثة فتتناول تقريرا لتليفزيون شيكاجو أذيع على عدة أجزاء عن ضباط الشرطة الذين اعتادوا التعامل بوحشية (بيتر كارل، تليفزيون WMAQ، فبراير 1983). والقضية الرابعة تناقش تحقيقا قامت به نفس المحطة التليفزيونية عن ممارسات التخلص من النفايات السامة فى إحدى الجامعات الكبرى فى الوسط الغربى (بيتر كارل، مايو 1984). وتدور القضية الخامسة حول تحقيق أذيع فى برنامج «60 دقيقة» عن عمليات اختطاف الاطفال الدولية (دايان سويار، «مفقود ؟»، فى اوائل عام 1987، التى كانت جمعية حكومة أفضل BGA قد كشفت عنها كما دار حولها أحد البرامج الذى كانت قد أذاعته فى وقت سابق لمحطة تليفزيون WBBM-TV). و القضية السادسة تناقش حلقات تحقيق صحفى نشرته صحيفة فيلاديلفيا انكوايرار عن عيادات الغسيل الكلوى التى أصبحت «ماكينات لتحقيق الربح». (الغسيل الكلوى: ماكينة أرباح،» بقلم ماثيو بيوردى، بداية النشر فى 15 مايو، 1988).

ونظراً لأن بروتس كان مسلحاً بالاجابات استنادا إلى السنوات التى قضاها فى إجراء لقاءات ودراسات مع كتاب التحقيقات الصحفية - فضلا عن حرية وصوله إلى التحقيقات قبل وأثناء وبعد إنجازها - بالاضافة إلى مايستند إليه من استطلاعات

للرأى أجراها مع القراء والمشاهدين قبل وبعد النشر أو الاذاعة، فقد كان أجدر مايكون بوصف هذه المهنة والتوصل إلى بعض الاستنتاجات بشأنها[2].

إن الكثير من هذه التحقيقات الصحفية لم تكن تبشر بامكانية الابتكار فيها: فقد كانت هذه التحقيقات تأتى من أماكن مختلفة، لا من مكان واحد، ويعتبر إنجازها عملية صعبة، (وتنطوى على كثير من الجهد فى جلب الوثائق وبعضها ليس كذلك)، وردود الأفعال تجاه الحلقات تنوعت إزاء أى «نتائج»، ونادراً ما تكون هناك تعبئة من جانب الجمهور «للمطالبة» بالتغيير نتيجة لكشف النقاب عن أمور غير سليمة، وعادة يحرص المسئولون الرسميون على الرد لأسباب مختلفة، غير أنهم أحيانا يتعاملون بفاعلية مع القضايا التى يثيرها الذين قاموا بالتحقيق الصحفى.

إن الجهد الخارق الرئيسى لبروتس تم تكريسه للقضاء على الفكرة الراسخة بأن، وسائل الاعلام تكشف النقاب عن مشكلة، يشعر بعدها الجمهور بالغضب، مما يجبر المسئولين بعد ذلك على مواجهة هذه المشكلة، إن كل من عمل حتى فى تحقيق واحد ثم راقب ماسيحدث بعد ذلك يعلم ذلك بالفعل.

غير أنه فى التحقيقات التى درسها بروتس، لم تكن المنظمات الاخبارية لتفعل مجرد الجلوس والانتظار لما سيحدث.

فقد أظهر بروتس كيف أن المحررين فى حالات الدراسة تلك يجرون غالبا اتصالات بالمسئولين العامين، ويتحدثون معهم قبل نشر الحلقات حول التغييرات ويتابعون التحقيق بنشر مواضيع متعددة. ويطلق بروتس على ذلك بناء جدول أعمال بين وسائل الاعلام والمسئولين عن السياسات، تحاول فيه وسائل الاعلام أن تكون هى المهندس، وغالبا ما تنجح فى ذلك.

أما بالنسبة لمن لم يعمل منا فى الأوساط التليفزيونية فى شيكاجو وفيلاديلفيا والتليفزيون القومى التى تعج بالمنافسة والحماس، والذين لم يستفيدوا من مساعدات منظمة للتحقيقات الصحفية من الدرجة الأولى مثل جمعية BGA، فإن دراسات الحالة

تلك ستكون بالنسبة لهم مصدرا لنوع من عدم الارتياح ولكنها فى نفس الوقت ستتيح لهم التفكير بإمعان فى مدى أهمية تلك العلاقة التى يطورها المحررون، مع بعض قطاعات الدوائر السياسية فى الحكومة. ويكون الأمر على هذا النحو بصفة خاصة عندما تبدو جهود وسائل الاعلام شديدة الاصرار على تحقيق نتائج تستطيع المنظمة الاخبارية حينئذ ويحق أن تتباهى بأن تحقيقها هو الذى نبه اليها[3].

إنه كتاب جيد، لابد لنا جميعا من قراءته. فبالاضافة إلى دراسات الحالة والتحليل النقدى، يقدم الكتاب فصلا ممتازا عن تاريخ التحقيقات الصحفية، كما أنه، على عكس العمل الذى يناقشه الملحق الثالث، ملئ بالتحليل الجيد الذى لايلجأ إلى تعميم الأحكام بدون مبرر[4].

واليك مثالان :

نستخلص من هذه المواضيع (دراسات الحالة) أن مهمة غربلة الأدلة تفجر مرحلة جديدة لوضع جدول زمنى تحقيقى. ففى هذه المرحلة، تبرز بعض المشكلات، بينما يأخذ البعض الآخر سبيله إلى الزوال. ومن الأهمية بمكان القول بأن اختيار المشكلات ليس له علاقة بالحقائق الاجتماعية الأكبر، بل على العكس، يقتصر هذا الاختيار على أكثر الحالات حيوية وجاذبية التى تناسب الخط الذى يسير عليه الموضوع. المحررون، بعد أن يبدأوا بالتحقيق فى أفعال غير سليمة محددة، وبعد أن يضعوا أيديهم على أنواع من الفساد التى تظهر لهم، يعودون فى مرحلة العرض إلى التأكيد على الحالات الصارخة التى صادفوها فى رحلتهم تلك. ولقد أطلقنا على هذه الظاهرة فى أماكن أخرى «منطق التخصيصية logic of particu- larism».

إن الحالات التى تستمر بعد عملية الغربلة تلك نادرا ما تقدم وصفا غير دقيق للحقيقة. ذلك أن مستويات الدقة والشمولية التى يعمل بها المحررون تكون بمثابة الضمان بأن كل واحدة من هذه الحالات صحيحة داخليا. أما مدى إمكانية تعميمها أو صحتها الخارجية فيمكن أن تساورنا الشكوك تجاهها.

وثمة استثناء إلى حد ما لهذه القاعدة حدث في تحرير التحقيق الصحفي الخاص بالاغتصاب وفي نشر التحقيق الخاص بوحشية رجال الشرطة. فعندما قام الصحفيون بتحرير الحلقات الصحفية، ركزوا على الأنماط الجغرافية للجرائم الجنسية والمشكلات البيروقراطية والاجتماعية التي ساعدت على إفرازها. وبالمثل استخدم المحررون الصحفيون في حلقات «العدالة تضرب» مجموعة من أساليب الجرافيك لإثبات أن كل حالة على حدة من حالات الوحشية كانت جزءا من نظام أكبر من الفساد.

غير أن منطق التخصيصية كان واضحاً حتى في هذه المواضيع. فعلى الرغم من اعتزام المحررين إدراج أمثلة إحصائية للضحايا في حلقات الاغتصاب، فانهم أدرجوا بدلا من ذلك تصويرا مثيراً لجرائم الاغتصاب، بما في ذلك لمحة مفصلة لتاريخ حياة امرأة تعرضت للاغتصاب مرتين. أما في الحلقات الخاصة بوحشية رجال الشرطة فانها ركزت على التفاصيل الدنيئة لضحايا حفنة من ضباط الشرطة. والحقيقة أن أكثر الحالات وحشية لم تكن من الحالات المتكررة للمتهم، وهي الزاوية التي ركزت عليها الحلقات.

هذا ليس معناه أننا نعني هنا أن الصحفيين يتجاهلون الصورة الأكبر أثناء عملية الغربلة. بل الأحرى القول أنها مسألة التأكيد على واقعة بعينها. فمن أجل إرضاء المشاهدين أو القراء، أصبح الدور المسيطر في الحلقات مرة أخرى هو عملية سرد المحرر للموضوع. ومن ثم، فمن أجل جذب القارئ أو المشاهد، نجد أن التركيز على الحالات وليس على نوعيتها، وأنه قد تم اختيار أكثر الحالات إثارة بدلا من الحالات التي لا توجد بها إثارة. لقد حدد الصحفيون لانفسهم الانماط، ويأملون في الوقت نفسه ألا يخطئ مستهلك منتجهم في التقاط الرسالة الأكبر. ولكن ذلك يحتاج إلى منطق استقرائي - أي المعرفة من خلال المثال - وإلى مشاهد أو قارئ لديه الإدراك الذي يجعله يفعل ذلك. (224 - 25)[5]. والفقرة التالية مقتطفة من الفقرات الختامية في ذلك الكتاب :

فى عام 1984، أعلنت مجلة اديتور آند بابليشر (Editor and Publisher) عن «موت» التحقيق الصحفى. وقد ثبت أن هذا التنبؤ كان مغرقا فى التشاؤم بلا داع، ومع ذلك فإنه من المعروف على نطاق واسع أن هناك عمليات خفض فى أقسام التحقيقات فى التليفزيونات المحلية وفى وحدات التحقيقات الصحفية فى الصحف [6].

وتشير الدراستان التى أجريناهما عن المحررين ورؤساء تحرير التحقيقات الصحفية فى عامى 1986 و 1989 إلى أن التحقيق الصحفى يحتفظ بجوهر قوته، على الرغم مما حدث من تحول فى الاتجاهات. غير أن الدراسات تشير إلى أن معظم الباحثين عن الفضائح مستمرون فى قضاء معظم وقتهم فى إجراء التحقيقات الصحفية كما كانوا فى الماضى. غير أن هناك اتجاه نحو عمل موضوعات قصيرة. وهذا، ربما يؤدى إلى انخفاض فى عدد التحقيقات المطولة التى كانت هى الركيزة التى دار حولها هذا الكتاب.

كذلك ربما أصبح كتاب التحقيقات الصحفية لا يمثلون الصفوة فى مهنة الصحافة. ذلك أن نجاح ورشات العمل لمحررى ورؤساء تحرير التحقيقات الصحفية التى يشارك فيها كل أنواع الصحفيين تشير إلى أن أساليب وتقنيات كتابة التحقيقات الصحفية قد أصبح يتبناها السواد الأعظم من العاملين فى هذه المهنة. وبذلك، ولئن كان قد تم حل وحدات التحقيقات المنفصلة فى المنظمات الاخبارية، إلا أن الممارسات المستخدمة فى التحقيقات أصبحت منتشرة على أوسع نطاق. لقد خلصنا فى عام 1986 إلى أن : «النتائج التى توصلت إليها الدراسة التى أجرتها نقابة IRE تشير إلى أننا لم نعد نشاهد أقساما للتحقيقات الصحفية باعتبارها فرعا من فروع الصحافة قائما بذاته فى المنشآت الصحفية مثلما كان الحال من قبل، لأن مايقومون به أصبح أكثر تقليدية. فاليوم أصبح الباحثون عن الفضائح أقرب إلى كلاب الحراسة اللحوحين منهم إلى الذئاب الجائعة.

إن الاتجاهات الظاهرة الجديدة فى التحقيقات الصحفية قد تبدو متناقضة نوعا ما. غير أنها تشترك فى عناصر معينة لها آثار كبيرة على الممارسات التى تحكمها فى المستقبل. إن انخفاض الموارد اللازمة للتحقيقات الصحفية، ولا سيما للتحقيقات طويلة الأمد، ربما تعنى زيادة فى التعاون بين الصحفيين وواضعى السياسات. وسوف يصبح الصحفيون أكثر استعدادا للتعاون مع المسئولين فى السلطة لأنهم سيكونون بحاجة إلى المعلومات بصورة أسرع، ولأنه لن يسمح لهم بالوقت الكافى لمتابعة مواضيعهم ليتأكدوا من إحداثها للأثر المطلوب. وبالمثل، فان من شأن استخدام أساليب وتقنيات التحقيقات الصحفية من جانب المحررين المختصين بجلب الأخبار الطازجة، والذين أصبح تبادل التعامل بينهم وبين المسئولين من الأعمال الروتينية، تسهيل الصحافة الائتلافية.

أما بالنسبة للمسئولين من واضعى السياسات، فإن هذه الاتجاهات ستوفر لهم فرصا إضافية لبناء صورتهم وجدول أعمالهم. إن تأسيس التحقيقات الصحفية كفرع قائم بذاته فى الصحافة يؤدى إلى تزايد فرص جذب اهتمام وسائل الاعلام لأنشطتهم التى تهدف إلى حل المشكلات. وسوف يتيسر لهؤلاء المسئولين الاقلال من اعتمادهم على حفنة من الصحفيين - الذين يرى بعضهم أنهم خصوم لكل المسئولين - وسوف يوسع من قدرتهم على تحقيق نتائج من خلال انتشار تعاونهم مع هؤلاء الصحفيين.

إن هناك آثاراً كبيرة ستترتب على هذه التطورات بالنسبة لواضعى السياسات العامة. فالتوسع فى الروابط بين وسائل الاعلام والسياسيين يعنى أن الصحفيين سيلعبون دوراً أكبر فى المساعدة فى وضع جداول أعمال واضعى السياسات، بل إن المضمون الحقيقى للمواضيع قد يصبح أقل أهمية بالنسبة لواضعى السياسات من قبل تلك الأنواع من التحالفات التى تتشكل بين الصحفيين والمسئولين.

ثانيا، إنه قد يكون من الممكن احتواء التأثير طويل المدى للتحقيقات الصحفية على السياسات بفعل التآكل فى التزام الصحفيين بالروح القتالية.

وربما يستطيع الباحثون عن كشف ما هو مستور الاستمرار فى وضع جدول أعمال متعمد لواضعى السياسات. غير أن خطة العمل، وهى لب عملية الاصلاح، ستظل - فى ضوء تحركهم من قصة إلى أخرى - خاضعة للمصالح الراسخة للمسئولين من واضعى السياسات.

وفى النهاية، تشير الاتجاهات الراهنة إلى أن عامة الجمهور سوف يلعب دوراً أقل نشاطا بالنسبة لواضعى السياسات، فقد أصبحت الديموقراطية الشعبية الامريكية ضحية للتطورات التى حدثت فى القرن العشرين فى وسائل الاعلام وفى المجتمع. فقد وصفت تحليلات الدارسين الشعب الامريكى بأنه «الجمهور الشبح» و «الجمهور الاسير» و«الشعب الذى يتمتع بشبه السيادة» و «الجمهور المتفرج». وقد أفرز عصر وسائل الاعلام الذى نعيش فيه، حسب كلمات أحد الدارسين، «ديموقراطية بدون مواطنين». ويسميها الآخرون «تصنيع الموافقة».

ويحق لنا تماما القول بأن الاتجاهات الراهنة فى مجال التحقيقات الصحفية سوف تزيد من تفاقم هذه المشكلة فى المستقبل. وسوف تستمر صحافة تبادل المصالح بين الباحثين عن كشف المستور وبين واضعى السياسات فى تجاهل الجمهور فى محاولات التوصل إلى حل للقضايا العامة المهمة. وحتى عندما لا يتسنى حل هذه القضايا، فسوف ينقاد الجمهور إلى الاعتقاد بأنه قد تم حلها بمجرد مشاهدة أو قراءة المواضيع التى يسوقها الصحفيون كردود أفعال. وربما لم نعد نشاهد تعبيرا عن غضب الجمهور إزاء المشكلات الاجتماعية المهمة فى الفترة الاخيرة، غير أنه قد يتضح أن إبداء الغضب فى الأوقات الراهنة قد أصبح لا لزوم له، حتى وإن لم يبدو على السطح.

إن هذه الاتجاهات ليست ثابتة. فقد تعود حركة التاريخ إلى الوراء إلى عصر الاصلاح عند منعطف ما فى المستقبل، ولقد خلصنا إلى أن الظروف ستكون مواتية لتلك المرحلة التاريخية عندما يعود اغتراب الجمهور عن السلطة، وعندما تشعل التغييرات فى وسائل الاعلام منافسة شرسة حول مواضيع تتناول الخلل

الاخـلاقى. وإن حـدث ذلك وحـينمـا يحـدث، قـد تعـود الأفكار التـقليـدية عن الديموقراطيـة الشعبيـة مرة أخرى لها صلة بالموضوع. وإلى أن يحين ذلك الوقت، سيظل التحقيق الصحفى عاملا مساعداً على إصلاح السياسات ولكن دون أن يكون بالضرورة أداة للتعبئة أو التنوير للجماهير على نطاق واسع.

هوامش

1- "The Journalism of Outrage" بقلم ديفيد ال. بروتس، وفاى لوماكس كوك، وجاك دى. دوبيلت، وجيمس اس. ايتيما، ومارجريت تى. جوردون، ودونا ار. ليف وبيتر ميللر. (New York: The Guilford Press, 1991).

2- بل إن بروتس يقدم لنا تعريفا أبسط للتحقيقات الصحفية، ألا وهو صحافة الغضب.

3- تبين لبروتس من اللقاءات الصحفية التى اجراها مع المحررين، وما يتمتع به من بصيرة، ومن الدراسات التى أجراها أن الكثير من الصحفيين يعتقدون أن «النتائج» (وهى بديل لكلمة «تأثير» أو مايحدث بعد نشر التحقيق) هو الوسيلة المناسبة لقياس مدى نجاح التحقيق. وهذا اعتقاد خاطئ لأن «النتائج» ليست هى وظيفة الصحفيين.

4- إن تعميم الأحكام بدون مبرر من الأشياء التى لا أوافق عليها.

5- إن الانسان ليصبو هنا إلي مناقشة وتحليل دور رؤساء تحرير التحقيق ورؤسائهم فى تحديد من هو الشرير الحقيقى على الاقل، عندما يكون التفكير غير واضح. ومن منا الذى سيحاول ويقول أن دور التحقيق هو إظهار الانماط والأسباب، أينما تيسر لنا، وأن دور الحكايات أو الأمثلة فى التحقيق هو الشرح وأن تضع القارئ داخل المشكلة، وللتدليل على أنها حقيقية بالنسبة لأولئك الذين وقع عليهم الظلم.

6 - فعلا، ولكن عدد الاشتراكات فى المسابقة القومية لنقابة IRE فى التحقيقات الصحفية يظل كما هو كل عام. وهو دليل على أن الالتزام نحو هذا النوع من الصحافة مازال قويا.

الملحق الثالث

وجهة نظر نقديـــة فى التحقيقات الصحفية

يستخدم استاذا الجامعة هنا أسلوبا مختلفا - هو اللقاء الصحفى المتعمق - مع المحررين الحائزين على جوائز وأساليبهم فى العمل. ولك أن تتشكك مثلى فى استنتاجاتهم. وسوف تحصل كنوع من الجائزة، على كتاب تعليمى عن تحليل الشكل الذى قدم به التحقيق، وهو أسلوب فى تحليل العمل الصحفى أصبح شائعاً الآن فى الاكاديمية.

ما الذى سيعود علينا من مناقشة كتاب الاستاذين جيمس اس. ايتيما وثيودور إل. جلاسر؟[1] لقد ظل هذان الاستاذان يجريان لقاءات صحفية مع المحررين الفائزين ورؤساء التحرير الذين فازوا بجوائز فى التحقيق الصحفى طوال عدة سنوات، وكان اهتمامهم الأساسى منصب على التعرف على طريقة عملنا وطريقة تفكيرنا إزاء ما نقوم به من عمل.

وقد تميزت الاستنتاجات التى توصلا إليها دائما بأنها مكتوبة جيدا، وأنها أحيانا تزيد من معارفنا، وأحيانا أخرى تكون خاطئة تماما.

وحتى يتسنى تفهم وجهة نظرهم بالكامل، فمن الأهمية بمكان أن تطلع على بعض المعارف الجانبية لتكتسب مزيدا من التبصر فى دراسة «الحكى» أو سرد القصص، وهو مجال يشق طريقه بقوة فى الدراسات الخاصة بوسائل الاعلام. وحتى يتسنى لنا اكتساب هذا التبصر الذى نحتاجه، فلن نجد دليلا أوضح ولا أحكم من ذلك الذى قدمه لنا آدريان تيللى فى كتابه "The Media Studies Book" [2].

إن دراسة الحكى، إذن، هو التركيز على طريقة السرد، سواء بالنسبة لنا أو للآخرين حولنا، فى التفاعل الشخصى بيننا وفى علاقاتنا بالوكالات الأخرى التى يدخل «قص الحكايات» فى عملها. وتعتبر وسائل الاعلام فى مقدمة الانتاج الذى يستخدم القص ويوفر لنا أمثلة ناضجة فى هذا الشأن.

ذلك أن وسائل الاعلام تنتج، وتوزع، وتقدم مجموعة واسعة النطاق من أنواع القصص التى تشترك فى سمات معينة ويمكن التمييز بينها لما فيها من اختلافات مهمة، وتشترك فى بعض سماتها مع عملية حكى القصص التى نقوم بها نحن ولكن لها سمات أخرى مختلفة أشد الاختلاف. وهناك اختلافات فى أشكال القص واختلافات فى المواقف التى يتم فيها القص، اختلافات بين أن يكون «زمن القصة» فى اليوم الدراسى وبين أن تسأل عما فعلناه فى المدرسة اليوم عندما نعود إلى المنزل[3].

وللتعرف على إمكانية تطبيق دراسة القص، على التحقيقات الصحفية، فسوف نحتاج إلى الشرح الذى قدمه تيللى عن التوازن وعن الشخصية كوظيفة.

أولا، ما يقوله عن التوازن :

إن الصيغة الاساسية.... هى.... عندما يتكون القص من عالم متخيل يكون قد حدث فيه حينئذ اختلال فى التوازن الأولى، بحيث ينتج فى النهاية توازنا

مختلفا وجديداً. قد يكون التوازن الأولى هو توازن فى العناصر الاجتماعية أو السيكلوجية أو الاخلاقية تبعا للنوع الذى تنتمى إليه القصة، مثل ذلك الانسجام فى التجمع الاجتماعى أو العائلى فى المشاهد الافتتاحية لقصة كلوت "Klute" أو الأب الروحى "The Godfather" ، أو مشهد خوزيه ويلز فى فيلم «خوزيه ويلز الخارج على القانون "The Outlaw Josey Wales" وهو يحرث تربة أرضه فى ذلك النهار القاتم، أو عملية إطلاق الصاروخ - أى ذروة الانجاز التكنولوجى - فى المشهد الافتتاحى لفيلم The Quatermass Experiment. بل إن عناوين الاعمال غير الروائية مثل أخبار الساعة التاسعة "The Nine O'Clock News" تبدأ بتوازن أولى - ألا وهو سلامة ومصداقية التقارير من عالم الأخبار - سوف يقطعه على الفور ذلك «العالم الآخر» من العنف والموت والسياسة. ثم يجئ بعد مجموعة من الاخبار عن الاحداث، تفسيرات لهذه الأحداث يقدمها نيابة عنا «خبراء»، ثم تنحل العقدة ويعود النظام فى صورة خبر أخير خفيف يوفر لنا الارتياح والانفراج فى توازن آخر جديد.

إن فكرة التوازن تثير تساؤلات حول كيفية عرض النظام الاجتماعى وكيف يكون توظيفه لإحداث نهايات داخل القصص. إننا نترك عالم الأخبار كما وجدناه فى البداية، لم يتحرك خلاله القارئ من مكانه خلف مكتبه ولتعود الموسيقى لتعزف من جديد، لقد انتهينا حاليا من التعامل مع «العالم الآخر» ونستطيع الآن المضى قدماً بسلام فى حياتنا. فى نهاية فيلم The Outlaw Josey Wales. هناك مجتمع جديد قد ظهر إلى الوجود - مجتمع متراحم ومستقر من الذكور والاناث، الشباب والشيوخ، البيض والحمر، لقد تم التعامل مع التهديد والاخلال بهذا النظام بالعنف - كما هو الحال بالنسبة لـ Redlegs - وبالتفاوض - مع المجتمع الهندى المحلى. إن الحل اليوتوبى لكثير من الروايات الخيالية والبرامج الاخبارية تتناقض مع الحلول الأكثر غموضا فى الامثلة الأخرى. ففى السياق النهائى لفيلم «كلوت Klute»، تترك برى دانيلز، وهى فتاة ليل كانت ضحية

لحملة إرهاب وحشية شنها ضدها أحد المرضى النفسيين، شقتها - بل ووجودها المستقل فى المدينة على مايبدو - وتذهب مع جون كلوت، المخبر الذى أنقذها - لتشاركه حياته فى تلك البلدة الصغيرة.

إن عقد مقارنة بين النظام الاجتماعى الأولى والنظام الاجتماعى فى النهاية تكشف دائما عن الكثير، فسوف تصبح الأسئلة الرئيسية هى : ما الذى تغير فى عالم القصة؟ ما الذى تحول؟ ماذا أضيف أو فقد أثناء عملية القص؟ كيف تغيرت مراكز القوة والأوضاع النسبية للشخصيات؟ وعبر مختلف أنواع القص، تبرز الأنماط وتتوقف مواقف السيطرة أو الخضوع التى تتخذها الشخصيات على النوع، أو العنصر، أو الطبقة أو على وضعها فى الأسرة. وهكذا، ففى فيلم The Quatermass Experiment، بينما يتضافر الطب والقانون والنظام والعلم ووسائل الاعلام معا لمنع وقوع كارثة، فإن العلم هو الذى يؤكد سيطرته واستقلاليته فى النهاية عندما يأخذ الاستاذ طريقه ليلا نحو مستقبل تكنولوجى. وقد تميز الفيلم بحوار حميم وقوى حول تسيد العلم باعتباره المخلص من مشكلات العالم. إن تحليل عملية القص على هذا النحو يمكن أن يتناول، أيديولوجيا، طريقة لغة القص، عندما يتكلم عن المنظمات وعلاقات القوى[4].

تستطيع هنا أن تلحظ مدى جاذبية وفائدة تلك الوسيلة التى تتيح دراسة مدى نجاحنا فى سرد حكاياتنا. ولا نحتاج إلا إلى عدة فقرات قليلة تدور حول «الشخصية كوظيفة» حتى يتسنى لنا اكتساب قدرة كاملة على التقييم.

إن الشخصيات لا يمكن فهمها من خلال معرفة من هى أو معرفة صفاتها، وإنما يمكن فهمها من الدور الهيكلى الذى تلعبه فى القصة. وهكذا فإن الشخصيات تقدم إما كأبطال أو أشرار أو لديهم عطاء (من المواهب أو المساعدات)أو عملاء ساحرين... إن هذا (النموذج) يمكن تطبيقه على أى عملية سرد أو قص وليس على مجرد القصص الخيالية، تطبيقه فى دراسة صحفية ما، على سبيل المثال، من أجل اكتشاف كيف تقوم أنواع الشخصيات والأحداث

بوظيفتها فى التقارير الاخبارية. والقصص الاخبارية تقدم أبطالا، فمن يساندون ويدافعون عن النظام الاجتماعي، وأشرار يسعون إلى الاخلال به وتدميره. ويبدو ذلك أشد مايكون فى التغطية الاخبارية للاعمال الارهابية، والاضرابات العمالية ولحظات الفوضى المدنية [5].

إن أوجه التشابه هنا - العالمين المتوازيين - عالم الكتابة الخيالية وعالم كتاب التحقيقات الصحفية تثير الاندهاش. من منا لايجلس متعمدا، بعد أن يحصل على كل الحقائق، ليكتشف طريقة مثيرة لسرد هذه الحقائق على القارئ، ولعرضها على المشاهدين، إننا فى مجال النشر، نسعى دائما إلى أفضل طريقة للكتابة - حتى من بين طرق رواية القصص - لمساعدتنا فى عملية الابلاغ، ونقترض من الأساليب بل وحتى من الحيل التى تبدو لنا ملائمة.

ومن ذا الذى يجادل فى صدق الفكرة القائلة بأنه مع مرور الأيام سيساعد التأثير الذى تتركه التحقيقات الصحفية فى الحفاظ على النظام الأخلاقى القائم؟ وقبل كل شئ، فانها تأتى فى ظل نظام قائم، حسبما عبرت عنه القوانين، والنظم، ومدونات السلوك، والاتفاقات الواردة فى العقود، أو أى معايير أخرى نجدها مقبولة بوجه عام وبعدها نقوم باستنتاجات تدور حول أشخاص نرى أنهم انتهكوا هذه المعايير.

إن مشروع التحقيق الصحفى أو التحقيق الذى يناقش السياسات العامة الذى يتميز بالتفوق، هو ذلك التحقيق الذى يتجاوز مجرد التعرف على المشكلة فى إطار الحدود القائمة، ليطلب منا، بدلا من ذلك، إعادة التفكير فى المشكلة كقضية كلية.

وفى كتاب «الشكل القصصى والقوة الاخلاقية» تحقيق البراءة والذنب من خلال صحافة التحقيقات "Narrative Form and Moral Force : The Realization of In-nocence and Guilt Through Investigative Journalizm"، ينشغل إيتما وجلاسر باثبات أهلية هذه المقولة.

فعلى مدى سنوات عديدة، أجرى إيتما وجلاسر لقاءات مطولة مع كتاب

التحقيقات الصحفية ممن «حققوا إنجازات ذات مستوى رفيع» أى كتاب التحقيقات الصحفية الذين فازوا بجوائز قومية.

كذلك انشغل الباحثان بعملية القص، غير أنهما قررا فيما يبدو أن المحررين الذين أجروا عليهم الدراسة لايتبنون الشكل الروائى فحسب بل إنهم بالفعل طبقوه، على نطاق ضيق على الأقل. أما إيتما وجلاسر فإنهما يتبنيان شكلا خاصا بهما فى القص - شكل من هم من خارج المهنة والذين جاءوا لإلقاء نظرة على من هم داخلها - ثم يكتشفان بعد ذلك أشياء لايعرفها من فى الداخل، ومن ثم يتوصلا إلى استنتاجات يعتقدان أنها جديدة، أو مهمة، أو تدعو إلى الدهشة. ومن أجل ذلك، فإنهما ينفخان فى فقاعة الهواء بأكثر مما تحتمل.

فعلى سبيل المثال، سوف نناقش ماذا فعل هذان المؤلفان إزاء التحقيق الصحفى الذى كتبه ويليام ماريماو تحت عنوان "The K-9 Cases" ونشر فى صحيفة فيلادلفيا انكوايرار، والذى أعلن فيه عن الهجمات غير المبررة للكلاب البوليسية فى المدينة والذى فاز به ماريماو بواحدة من جائزتى بوليتزر التى فاز بهما[7] (أدرج أيضا الموضوع الذى فازت به لوريتا توفانى بجائزة بوليتزر والذى دار حول حالات الاغتصاب التى تحدث فى سجن مقاطعة برينس جورج والذى أنجزته أثناء عملها فى صحيفة واشنطن بوست، وكذلك التحقيق الذى أذاعه بام زيكمان الحائز على إحدى الجوائز وهو بعنوان «جريمة القتل : رجل شرطة خارج على القانون Killing Crime : A Police Cop-Out» الذى أذاعه تليفزيون WBBM- TV فى شيكاجو).

وحتى يتسنى لنا فهم الشكل الذى أعطياه لتحليلهما، فإن علينا أولا تقديم بعض مايسعيان إلى إثباته والذى يحكم تفكيرهما:

من بين ما تنطوى عليه وجهة النظر بشأن العلاقة بين القصص التاريخية والحقائق التاريخية التى يفترض أنها تقوم عليها، أن التماسك الذى توفره القصة للحقائق «لا يتحقق إلا بتفصيل «الحقائق» لتتناسب مع متطلبات الشكل

القصصى». فلا يقع الاختيار إلا على الحقائق التى تناسب القصة، بل والأكثر من ذلك أن المؤرخ يقوم بالمزج بين الحقيقة والقصة، ليس بالضرورة عن قصد أو وعى منه[8].

إن المقصود هنا ليس إلغاء الفرق بين لغة الحقيقى ولغة المتخيل، أو حسبما يقول لاكان Lacan لغة الرغبة. بل الأحرى أن المقصود من هذا الكتاب هو التأكيد على مدى مايفعله القص فى تحويل الحقيقى إلى شئ فيه نوع من الرغبة، وذلك من خلال تماسك شكلى ونظام أخلاقى غير موجود فى الحقيقى[9].

إن صحافة التحقيقات تدافع عن الفضيلة التقليدية بالخوض فى قصص تدور حول ارتكاب رذائل رهيبة. إن قيمة العدالة، على سبيل المثال، تتأكد من خلال قصص عن حالات ظلم لا تطاق. وصحافة التحقيقات، مثلها مثل الأشكال القصصية الأخرى، تتمسك، وأحيانا تطور، التفسيرات المتفق عليها للصح والخطأ، البراءة والخطيئة، وذلك باستخدامها فى الحالة التى تعرضها، برغم أنها نادراً ما تقوم بتحليل هذه التفسيرات أو نقدها...[10]

ولئن كانت هذه المواضيع لا تتصدى غالبا للأخلاقيات العامة، إلا أنها تستطيع حسبما يقول محرر آخر «إدماجها والتعبير اللفظى عنها».... وهكذا، فإن هؤلاء المحررين هم الخلفاء المفكرون ليس للكاشفين عن المستور منهم فقط ولكن للنبى جيرمايا المتشائم الذى يتوقع نزول الكوارث فى المستقبل. إن المهمة الأخلاقية التى يقومون بها هى إثارة الغضب إزاء انتهاك القيم التى يعتز بها الناس وإزاء السلوك الواجب اتباعه فى الشئون العامة ويدعون ضمنا، إن لم يطالبوا صراحة، بالعودة إلى تلك القيم. وسبيلهم إلى ذلك هو نوع من الحديث بالاثباتات، إذا كنا سنستخدم أحد أوصاف أرسطو، يستهدف التمييز بين ما هو شريف وبين ما هو متين .....[11]

إننا نركز فى كل واحد من هذه التقارير على إنجاز اثنين من المهام الاخلاقية المحددة : التوصل من خلال القص، إلى الطهارة والإثم. وتتشابه استراتيجيات

القص للوفاء بهذه المهام فى هذه التحقيقات إلى حد مثير، غير أننا نزعم، بطبيعة الحال، أننا لم نعثر لها على السمات الجوهرية لكل اشكال السرد القصصى، ولا على صيغة لنجاح هذا النوع الخاص من السرد. إننا نسعى فقط إلى تقدير إلى أى حد يمكن الاستعانة بالسرد كقوة أخلاقية فى حياة المجتمع. إن القوة الأخلاقية التى قصد أن تتضمنها هذه التقارير، جاءت إلى حد بعيد نتيجة لعرض واقعة ظلم فى شكل قصصى تم سردها بمهارة شديدة.

إن هذه التقارير لا تتوقف عند التعرف على الأشخاص الذين تعرضوا لظلم واضح، ولكنها تعرضهم باعتبارهم ضحايا لديهم من البراءة مايكفى، على الأقل لجعل تعرضهم للظلم من جانب «النظام» حالة من الغضب المستند إلى الاخلاق[12].

كيف اذن، مع وجود هذه الخلفية، تسنى لهما استخدام مقالات ماريماو ولقاءاتهما الصحفية معه لاثبات وجهات نظرهما حول التحقيقات الصحفية؟

إليكم الفقرات التى تتناول ذلك:

هذا ما حدث بالنسبة لضحايا هجمات الكلاب البوليسية فى شوارع فيلادلفيا. إن التحقيق فى مأساتهم بدأ باخبارية بأن ضباطاً معينين من وحدة K-9 وكلابهم يقومون بالتدريب على أهداف حية فى الشوارع. وقد اتضح للمحرر على الفور أن حالات الهجوم جاءت على «كل درجات البشاعة». وكانت هناك حالات قليلة وقعت بالصدفة ضد «مواطنين أبرياء»،رغم أن حالات أخرى كثيرة كانت غامضة. فقد وقعت، على سبيل المثال، بعض الحالات فى محطات مترو الانفاق أو خارج الحانات فى ساعات متأخرة من الليل بعد أن تم استدعاء الشرطة إلى مسرح الأحداث. وأحيانا يكون الضحايا من الشباب من الرجال الذين استفزوا هؤلاء الضباط، غير أنه أصبح من الواضح أيضا للمحرر أن البراءة كانت هى الخط الجوهرى التى تقوم عليه القصة: "فى اعتقادى أنه كلما كان الشخص الذى وقعت ضده واحدة من هذه الهجمات بريئا بالفعل، كلما كانت هذه

الهجمات مثيرة للغضب وكلما أصبح من الضرورى منع وقوع مثل هذه الأشياء مرة أخرى... إنها تمثل موقفا قد يحدث لك، وأنت المواطن الطيب».

إن المحرر هنا، مثلما حدث فى موضوع الاغتصاب فى السجن، لديه عمل محدد وواضح ليقوم به، وكان لديه، فى هذا العمل، استراتيجية استخدام التفاصيل الساخرة والتحكم فى وجهة النظر.

مرة أخرى، نقول إن أكثر الأمثلة جاذبية على حرفة السرد لدى المحرر هى تلك الحالات التى تمثل فيها البراءة المشكلة القصوى. إذ يبدأ السرد فى مثل هذه القضايا ليس من وجهة نظر الضحية، وإنما من وجهة نظر شاهد. زوجان، وكلاهما مهنته المحاماة، عائدان إلى منزلهما بعد يوم عمل شاق يلحظان حركة غير عادية عبر الشارع «تقول سارة سولمسين أنها شاهدت من مكانها وهى واقفة عبر الشارع، على مقربة من الشرطة، عددا من ضباط الشرطة (يقذفون بشخص إلى الحائط الحجرى)، وشاهدت عصيهم التى تضئ ليلا، ثم بعدها بدأت فى العدو». وتقول بعد أن خلصت يدها من قبضة زوجها وعبرت شارع سيروس، أنه كان باستطاعتها رؤية أحد كلاب وحدة K-9 البوليسية وهو ينهش رجل شاب ملقى بلا حراك، فى وضع شبه مميت على الرصيف أمام نادى المهندسين. وتحكى قائلة، «شاهدت فكى الكلب يتحركان إلى أعلى وأسفل ثلاث أو أربع مرات. ولم يحاول أى من الضباط إبعاد الكلب عن الصبى. لقد كان ملقى هناك بلا حراك». أما بيتر سولمسين ، 29 عاما، والذى وصل إلى مسرح الحادث بعد زوجته مباشرة، ولكن لأن طوله كان ستة أقدام، فقد كان يستطيع رؤية الصبى وهو ملقى على الأرض ويديه فى الأصفاد، بلا حراك ......».

بعد رسم هذه الصورة لموقع الهجوم، تبين أن هذا «الصبى» يصل وزنه إلى 220 رطلا وعمره 17عاما، كان مخموراً إلى حد أنه لم يكن ليتذكر ماحدث بوضوح. غير أنه كان من الواضح أنه كان يتعارك داخل الحانة، وعندما دفعه أقرباؤه إلى الخارج، حسبما

ذكرت عمته، «وهو يلعن بألفاظ سيئة للغاية» وربما يكون أو لا يكون قد حاول توجيه لكمة إلى عمته أو الضابط الذى كان قد وصل إلى هناك بعد تلقى اتصالا بوجود مشاجرة. ولقد تم وضع يديه فى الأصفاد الحديدية، ثم بعد ذلك، وفجأة انقض فوقه الكلب.

من بين الحالات التسع التى تم استعراضها فى هذا الموضوع، اختار المحرر هذه الحالة باعتبارها أفضل مثال على التزامه فيما يقدمه من تقارير«بكل وجهات النظر الممكنة» والكشف عن «كل نقاط الضعف فى سلوك الضحايا» حتى يتسنى للقراء تحديد وجهة نظر خاصة بهم عما حدث: «لقد تحدثت مع عمة الضحية..... التى كانت فى موقع الحادث. وحصلت على تقارير ضباط الشرطة برغم رفضهم التحدث معى. وإننى أركز فى روايتى للحادث على أن (الضحية) كان سليط اللسان ولا يرعى أى حرمات، وكان مخموراً. وأنه كان بغيضا بل إن عمته (وصديقها) قالت إن الشرطة كان لها ما يبرر إلقاء القبض عليه بتهمة السلوك المخل، وأن رجال الشرطة مارسوا ضبط النفس إلى حد بعيد. ولقد قصدت أن أضع ذلك فى روايتى للموضوع لأنه تأكد لى ضرورة إلقاء القبض على (الضحية) ولكن ماحدث بعد ذلك، بعد أن تمت السيطرة عليه ووضعت يديه فى الأصفاد، ليس له ما يبرره».

ومع ذلك، فانه بابراز شهادة الزوجين سولسين اللذين أتيا إلى مسرح الأحداث فى ذات الوقت الذى كان فيه الضحية يتعرض لهجوم الكلب، يكون المحرر قد حدد الهدف الذى تعرض لهجوم الكلب بأنه ليس ذلك الشاب المخمور المهتاج، ولكنه ذلك «الصبى» الذى وضعت يديه فى الأصفاد وكان فى وضع أشبه بالميت».

من الأهمية بمكان الاشارة هنا إلى أن المحرر الصحفى لم يصف إبراز شهادة الزوجين سولسين بأنه أسلوب للاقناع بالايحاء. بل إنه فى الواقع نفى تماما محاولة إقناع القارئ بأى شئ. بل إنه وصف اعتماده على شهادتهما بأنه استخدام لأفضل الأدلة المتوفرة، تلك الأدلة التى يوفرها شهود العيان «ممن ليست لديهم أى مصلحة».

كذلك فانه من الأهمية بمكان الاشارة إلى أن شهادة الزوجين سولسين تكتسب أهميتها فى الموضوع - ومن ثم تكتسب واقعيتها - من وضعها فى إطار من «الوجود الاخلاقى»، تكون فيه البراءة والإثم هما الهم الرئيسى وأن الغضب تجاههما هو رد الفعل الوحيد المناسب. ومن ثم فإنه ليس من المستغرب حينئذ، أن تكون الفائدة من كل هؤلاء الشهود ليس مجرد وصف ضحية الهجوم بأنه ذلك «الصبى» وإنما أيضا لسماحهم للمحرر الصحفى بأن يدعو إلى الغضب عندما يقول فى تقريره«وبعد ما شعروا به من هول لما رأوه، عاد الزوجان سولسين مباشرة إلى منزلهما فى شارع جونيبر، على بعد خطوات قليلة من نادى المهندسين. لقد صرح لى بيتر سولسين بأنه كان يريد «أن يحدث شئ تجاه ما شاهده هو وزوجته من فورهما» [13].

لقد قال إيتما وجلاسر الكثير، ولكن ماخلصا إليه بعد كل ذلك هو:

إنه مع كل ما نكنه من احترام لما ينجزه هؤلاء المحررون، فان وجهة نظرنا هى أن تطور الحقائق، واختيارها وجمعها لتصبح موضوعا يحكى يخدم المهمة الاخلاقية التى يتصدى لها المحرر. هذه المهمة، حسبما يعترف المحررون أنفسهم بوضوح، هى إثارة الشعور بالغضب الناشئ عن دوافع أخلاقية - الغضب تجاه محنة تعرض لها ضحايا كانوا، رغم أنهم غير أبرياء كلية بمعايير قراء هذه الصحيفة من البيض من الطبقة الوسطى، لديهم من البراءة ما يكفى لأن يكون ماحدث لهم ظلما مثيرا للغضب، وكذلك الغضب إزاء انحطاط مسئولين كانوا، رغم عدم إدانتهم بارتكاب فعل إجرامى، مدانين على الأقل باللامبالاة والنفاق.

لقد تم إنجاز المهمة عن طريق تلقين المستمع لرد فعله تجاه مثل هذه الشخصيات من خلال سرد الأحداث بصورة درامية مثلما يحدث فى القصص التى تدعو إلى الفضيلة، بشكل أدق، من خلال استخدام تلك العناصر المتبعة فى كتابة القصص مثل وجهة النظر، والتفاصيل الساحرة، فيما يشبه الطقوس الدينية. (أشار ماريماو إلى أن قسم الشرطة نفى وجود مشكلة ورفض إجراء

لقاءات صحفية. ويصف إيتما وجلاسر ذلك بأنه «الإنكار فيما يشبه الطقوس الدينية والذى يفرض ميثاق الصحافة وجوده فى الموضوع»). وهكذا تخرج البراءة والاثم من مثل هذه الموضوعات حسبما تلقيناه من تعليمات بحيث تحدد لنا أى الصور نتطلع إليها فى خبرتنا الثقافية المتفق عليها حتى يتسنى لنا تحديد ماسوف نشرع به تجاه الأشياء المعروضة أمامنا. وهكذا، فإن هذه المواضيع هى التى تسمح لنا «بالحكم على المغزى الاخلاقى من التحقيقات الصحفية الانسانية حتى وإن زعمنا أننا نصفها فحسب"[14].

يعتبرا إيتما وجلاسر من الخبراء فى رواية القصص، ولا سيما فى الشكل القصصى الذى يفضلانه، أى فى الصحيفة الاكاديمية. غير أنه لو كان لقصتهما أن يستمع إليها (وتحظى بالقبول وتطبع)، فلا يكفى أن «يكتشفا» إن قصص التحقيقات الصحفية لها شكل أخلاقى نجد صدى له فى الأنواع الاخرى من رواية القصص. ذلك أن هذا الرأى ليس بجديد وقيل كثيرا ومن سنوات عديدة.

حسنا، نحن نتفق معهما، ولكن ماذا عن : الصحفيين الذين يتلاعبون فعلا فى المواضيع ليجعلوك تفكر على النحو الذى يريدونه. وبشئ من التحديد، أولئك الصحفيين الذين يتخذون من الكلمات اللاهثة أو الموحية أدوات لهم. وعلاوة على ذلك، يلجأون فى ذلك إلى التوسع فى تفسير مايسمى بالحقيقة. ونحن هنا لانتكلم عن أى صحفيين، بل عن أفضل الأفضل، فما بالك بالآخرين. الأدهى والأمر، أن معظمهم لايعرفون حتى أنهم يفعلون ذلك.

ولقد اثيرت هنا كثير من القضايا، غير أن هناك قضيتان منهما بحاجة إلى المناقشة.

إن إيتما وجلاسر يريدان منا أن نعتقد أنهما اكتشفا أن كتاب التحقيقات الصحفية يتلاعبون فى طريقة كتاباتهم ليجعلوا الأشخاص غير الأبرياء يبدون أبرياء حتى يستطيعون إثارة غضب القارئ أو المشاهد، والتأكد من أن القارئ أو المشاهد سيصدق هؤاء الكتاب بأنه توجد بالفعل مشكلة حقيقية.

إن مايسوقه الباحثان من «أدلة» ليست دامغة. ففى قضية ماريماو، من المفترض أن نشعر بالارتباك لأن الشاب المكبل بالاصفاد، كان قد تم اخضاعه بالفعل عندما تعرض للهجوم والعض من الكلب البوليسى، كان ضخما ومخمورا ويلعن بالالفاظ.

فهل يكون ماريماو هنا قد جعل شخصا ما يبدو بريئا وهو ليس ببرئ؟ كلا. فى الحياة الواقعية يتصرف الأشخاص العاديون أحيانا على نحو بطولى، والعكس بالعكس يرتكب الأشخاص العاديون أحيانا، أعمالا إجرامية، كما أن الاشخاص الذين يخرقون القانون أحيانا يتعرضون لظلم من ضباط الشرطة (أو من كلابهم).

ولو أن المقصود من الأمثلة التى ساقها إيتما رجلاسر كان إثارة غضبنا، إزاء المهارة التى يستخدمها الصحفيون للتلاعب فى مواضيعهم، فقد فشلا فى إثبات ذلك.

ذلك أنه لن يكون أبدا تصرفا سليما أن تجعل الكلاب ينهشون شخصا تم تقييده بالفعل، سواء كان مجرماً أم غير ذلك. كما أنه لن يكون تصرفا سليما أبدا أن يتعرض الناس للاغتصاب أثناء وجودهم فى السجون، سواء كانوا مجرمين أم لا، وأيضا لن يكون تصرفا سليما أن يخفف رجال الشرطة من وطأة بعض الجرائم حتى لا يكونوا مضطرين إلى متابعتها.

وماذا عن الأفكار الأخرى التى تدور عن استخدام أسلوب السرد القصصى؟

إننى أقر وأعترف بأننا جميعا نروى حكايات. وأيضا أقر وأعترف بأننى أتمتع بمهارة ما. وأخيرا، أقر وأعترف بأننى أصل إلى استنتاجات بشأن المواقف التى أكتب فيها تحقيقا وأننى أشرك القراء والمشاهدين فيما توصلت إليه من استنتاجات.

فى موضع آخر من هذا الكتاب، أشرت إلى أنه من واجبنا أن نتوصل إلى استنتاجات بشأن ما كشفناه فى تحقيقنا، فلا يكفى، مثلا أن تكتب 50 ألف كلمة عن المياه. ذلك أن مايريد القارئ أن يعرفه وما يجب علينا أن نقوله له هو كل ما عنى به البحث، على الأقل بالنسبة لنا. كما أنه يجب علينا بالطبع، أن نقدم للقارئ كل الأدلة - سواء كانت دامغة أو غير دامغة - التى نعثر عليها.

هوامش

1- إيتما الذى عزى له الفضل فى كتاب بروتس، يقوم بالتدريس فى جامعة نورثويسترن، ويقوم جلاسر بالتدريس فى جامعة ستانفورد. وكنت أنا واحدا ممن أجريا معهما لقاءات صحفية، ولكن بعد نشر المقالات التى استعرضت هنا.

2- "Chapter Three· Narrative" بقلم أدريان تيللى من كتاب "The Media Studies Book" من تحرير ديفيد لاستير(London: Routledge, 1991) ص 53 –79.

3- تيللى، 53 – 54.

4- نفس المصدر 54 – 57.

5- نفس المصدر 58 – 60 يرجع تيللى الفضل فى هذه الصفحات للنماذج التى قدمها تزيفان تودوروف وفلاديمير بروب، والتى حذفتها هناك ولكننى استعدتها هنا. ومن المثير للاهتمام هنا الاشارة إلى أن تودوروف كان يكتب عن نوع قصص الرعب القوطية وبروب عن الحكايات الشعبية.

6- البحث "Narrative Form and Moral Force : The Realization of Innocence and Guilt Through Investigative Journalism" بقلم جيمس اس. إيتما وتيودور ال. جلاسر فى The Journal of Communication، صيف عام 1988، ص 8 – 26.

7- ماريماو يعمل الآن مديرا للتحرير فى صحيفة بالتيمور صن. ولم أجرى لقاءاً صحفيا مع ماريماو أو أى من المؤلفين.

8- ايتما وجلاسر، ص 10 .

9- نفس المصدر، ص 11.

10- نفس المصدر .

11- نفس المصدر، ص 12 .

12- نفس المصدر، ص 12 – 13 .

13- نفس المصدر، ص 15 – 17 .

14- نفس المصدر، ص 24.

CONTENTS